ثورة عكاشة

سمير شحاته

الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما

كتاب السينما
الرابع والثلاثون
سبتمبر 2021

رئيس مجلس الإدارة
الأمير أباظة

رئيس التحرير
أحمد كامل

تنفيذ
محمود إبراهيم

الغلاف بريشة الفنان
عمرو فهمي

عنوان المراسلات:
الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما
٩ ش عرابى – بالقاهرة
ت: ٢٥٧٨٠٠٤٢
فاكس: ٢٥٧٦٨٧٢٧
البريد الإلكتروني:
info@eafwc.com

لماذا «كتاب السينما»

اختفى الكتاب السينمائي من حياتنا لندرة الباحثين الجادين، وتقاعد الذين كانوا يترجمون من أساتذة النقد السينمائى ورواده الأوائل في مصر.

ولم تعد المكتبة السينمائية تتلقف من المطبوعات الجديدة إلا الكتب التي تصدرها المهرجانات السينمائية، والتي لا تخرج أحيانًا عن مجرد كتب تحية وتمجيد تكريمية لمن تكرمه المهرجانات من السينمائيين.

وفي الوقت الذي نعاني فيه من ذلك الفقر، نجد العديد من كيانات الثقافة السينمائية تتأرجح بين الاستمرارية أو التوقف، أهمها سلسلة «آفاق السينما»، والتي تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، وكذلك مطبوعات الجمعيات السينمائية خاصة «نادي القاهرة للسينما»، والذي توقف في ظروف غامضة، وكان قد أصدر بعض المطبوعات.

ولذا اتجهت الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما لإصدار سلسلة «كتاب السينما»، بوازع من شعورها بالمسئولية الملقاة على عاتقها، من أجل نشر ودعم وتأصيل الثقافة السينمائية في مصر والوطن العربي. تحية لكل جهد يُبذل من أجل دعم الثقافة السينمائية في مصر، وأرجو أن يكون كتابنا قد وُلد ليستمر بكم، ولكم.

الأمير أباظة

ثورة عكاشة.. باعث النهضة

بقلم : سمير شحاته



الثمرة الأولى للثقافة تتجلى فى توعية الفرد بما له من حق فى الوجود، والإحساس بإنسانيته إحساسًا كاملًا.. وكما قال رامة كراشنة: المعرفة تدعو إلى الوحدة والتآلف.. على حين الجهل تتبعه الفرقة والتشتت.. من هنا انطلق د.ثروت عكاشة، يبنى ويشيد ويفتح أبوابًا ونوافذ على عالم الثقافة والفنون، التى تجعل من الإنسان إنسانًا.. ٢٠ وزيرًا بالتمام شغلوا مقعد وزارة الثقافة منذ وجودها بعد ثورة ٥٢.. كلهم اعتمدوا على ما أنشأه أول وزير للثقافة.. رأى أن العلم هو الثقافة وفنونها وعلومها وقيمها ومثلها. لذلك كانت أول الكيانات الثقافية التى شيدها (أكاديمية الفنون) منارة العاصمة، وأرادها ان تصل للريف والقرى والنجوع فأنشأ (الثقافة الجماهيرية).. فأحدث ثورة ثقافية وفكرية ما زلنا نتغذى من ثمارها ونتنسم رحيقها.

تولى ثروت عكاشة وزارة الثقافة ٨ سنوات.. لكن إنجازاته تشعرك أنه قضى عشرات السنين، وما زالت تشغى كخلايا نحل، وتشهد على العطاء الخارق لصاحبها.. وما تم من بعده في عشرات السنوات التى أعقبت تركه الوزارة، لا تزيد على عمليات تجميلية أو إضافات بسيطة، أو أنشطة ومهرجانات دعائية عابرة.

مر عكاشة خلال فترة الأربعينيات بفترة شك وقرأ للإمام الغزالى وقرأ كتاب «العودة إلى الإيمان» لهنرى لنك وهو طبيب نفسى أمريكى، وقرأ فى الكثير من المذاهب.. وما خرج به من هذه القراءات تستطيع أن ترسم ملامحه التى تتمثل فى: رهافة الحس، حيث الجمال الذى يتسم بالرقى والذوق

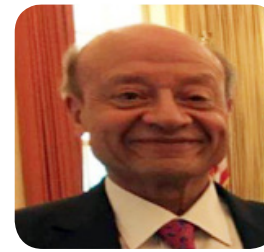
والشفافية.

ولد ثروت عكاشة بعد سنتين من ثورة ١٩١٩.. فى حى العباسية بشارع فاطمة النبوية.. بنفس الحى نشأ إحسان عبدالقدوس ونجيب محفوظ.. كان مثلهما، تواقًا للأدب والفن.. ومن قبلهما العسكرية مثل جده وأبيه.. وفى كلية أركان الحرب توثقت صداقته بجمال عبدالناصر وَعَبَدالحكيم عامر.. شاركوا ضمن الضباط الأحرار فى حرب ١٩٤٨.. لعب دورًا بارزًا كقائد لسلاح الفرسان في ثورة ١٩٥٢.. هو من وضع خطة الفرسان.. وخلال وجوده بباريس صادق وتعرف على أعلام الفكر والفن الفرنسيين.. كذلك استغل السنة التى عمل بها سفيرًا لمصر فى روما.. فجال بين متاحفها ودرس أهم أعمالها.

فكان مؤهلًا ليكون أول وزير للثقافة.. كانت الوزارة فى عهده بيت أغلب المبدعين، ليس على نمط «حظيرة المثقفين» كما ادعى غيره! ساعده أن عبدالناصر كان لديه مشروع ثقافى، وكان محبًا ومقدرًا للفن والفنانين.. اهتم بأن يكون عيد العلم عيدًا للفنان.. يحتفى بهم ويكرمهم ويمنحهم أوسمة الدولة.. ورأينا عبدالناصر يشاهد مع الناس عروض الباليه والمسرح والسيرك والعرائس وأيضًا حفلات أم كلثوم.

فكان مظلة قوية لثروت عكاشة الذى أثرى أرضنا وسماءنا وفكرنا وخيالنا.. كان نهرًا متدفقًا بالجهد والعطاء.. عزيمة وإصرارًا.. شديد الإيمان برسالته الثقافية.. قفزاته واثبة إلى المستقبل مع اهتمام بتراث الأجداد وإرث الأجيال.

أبى ثروت عكاشة
بقلم: د.محمود ثروت عكاشة



يعتبر الدكتورعكاشة شخصيةً فريدةً من نوعها، حيث كانت لديه القدرة على النظر إلى المستقبل، وأيضًا تكريس جهوده للحاضر فى نفس الوقت برؤية ثاقبة حول الثقافة لمصر والمصريين. حيث أنشأ أكاديمية الفنون، ودار الكتب، ومشروع الصوت والضوء، وقصور الثقافة، ومسرح العرائس، والسيرك القومى، وفرقتى الأوبرا والبالية وأوركسترا القاهرة السيمفونى إلخ..

أثناء عمله على إنقاذ آثار النوبة، كان رجلاً عسكريًا منضبطًا ومنظمًا. ومع ذلك كان رجلاً حساسًا قادرًا على حب الفنون وفهمها والحفاظ عليها.. لقد كان سياسيًا قادرًا على تكوين صداقات مع قادة العالم. ومع ذلك كان متواضعا بما يكفى للتعلم والعمل على الحصول على الدكتوراة من جامعة السوربون فى باريس.

الدكتور عكاشة هو من يمكن أن يطلق عليه لقب رجل عصر النهضة الحديث، مثل ليوناردو دافنشى ومايكل أنجلو. لقد كان مؤهلاً لفهم العديد من المجالات المختلفة مثل السياسة والارتقاء بالفنون، والعمل عند الحاجة على طلب مساعدة العديد من دول العالم لإنقاذ آثار النوبة لصالح التراث العالمى، وتجنيدها فى المساهمة فى حماية المعالم الأثرية للأجيال القادمة. ولقد كان ذلك جليًا في توليه منصب نائب رئيس لجنة اليونسكو الدولية لإنقاذ مدينة فينيسيا الإيطلية طوال أكثر من عقد من الزمان.

كمؤلف تعتبر موسوعتة للفنون «العين تسمع والأذن ترى» إنجازا لا

مثيل له فى الأدب العربى. إذ شملت الفن المصرى والعراقى والفارسى واليونانى والرومانى والبيزنطى والإسلامى، وفنون العصورالوسطى والنهضة والباروك والروكوكو وصولا للفن الهندى والصيني والياباني! هذابالإضافة إلى مؤلقاته، على سبيل المثال لا الحصر، تاريخ الموسيقى الجادة، وأساطيرالإغريق، وترجمة أعمال جبران خليل جبران، والشاعر أوفيد وبرنارد شو، فضلا عن موسيقاره المفضل ريتشارد فاجنر.

لم يكن ثروت عكاشة فقط عملاقًا في إنجازاته الثقافية المنقطعة النظير، بل كان أيضًا رب أسرة رائعًا محبًا وحانيًا وزوجًا وأبًا عظيمًا. أنا محظوظ جدًا لأننى نشأت على يديه لأنه كان مرشدى ومعلمى طوال حياتى.

لقد ساعدني في العديد من المناسبات فى اتخاذ القرارات الصحيحة. وفى الواقع أنا مدين له بالامتنان والحب لأنه كان له دور أساسى في نجاحى فى الطريق الذى أخترته، ألا وهو «الطب النفسى».

بصرف النظر عن تلك الشخصية الموسوعية، لا يفتنى أن أنوه أنه كان إنسانًا مرهف الحس، يهتم بالضعفاء والودعاء ودائمًا ما كان يناصر المظلومين والمضطهدين.

أبي أحبك وأفتقدك كثيرًا، وأنا أعلم أنك هناك فى السماء تنظر إلينا جميعًا وتبتسم..الله يبارك روحك.

ابنك المخلص: محمود

الكلمات لا تكفى

بقلم : نورا ثروت عكاشة



مهما عبرت بكلماتى، لن تفى بعرفانى وتقديرى وشكرى.. ولن توفيك حقك على عطائك الفياض الذى غمرتنى به.. كنت المنارة التى أصقلتنى بالأخلاق الحميدة والعلم والثقافة.. نعم الأب الحنون.

علمتنى الحرية فى إبداء الرأى والدفاع عن الحق والاعتزاز بالنفس والتفانى فى العمل.

والدى.. كم أنا فخورة بك.. بما قدمت وأعطيت للوطن.. فإشتراكك فى ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة سلاح الفرسان، كان أحد عوامل نجاح الثورة.

وأسست النهضة الثقافية لمصر.. بجميع فروع الثقافة المختلفة.. سينما ومسرح وأوبرا ودار كتب وقصور الثقافة وأكاديمية الفنون والفنون الشعبية والباليه والصوت والضوء وإنقاذ آثار النوبة، معبدى أبوسمبل وفيلة.. ومعرض الكتاب.. كما أضفت أكثر من خمسين مجلدا فى الثقافة والفنون لينتفع بها الأجيال.. وأعمال أخرى التاريخ يحفظها وأمين عليها وشاكر لك.

والدى.. لك تقديرى وامتنانى وحبى يا أعز الناس

ابنتك: نورا

ثروت عكاشة صحفيًا

ثروت عكاشة صحفيًا

قامت الثورة فى وقت كانت للصحافة فيه مدرستان أساسيتان.. مدرسة تهتم بالواقع بالتحليل السياسى الجاد.. ومدرسة تعتمد على الإثارة والإفصاح عن الأسرار الشخصية بأسلوب شيق جذاب.. في هذا الجو نشأت مدرسة صحفية وليدة مع ثورة ١٩٥٢.. لتكون تعبيرًا عما يتطلبه الوطن من خلال تفكير الضباط الأحرار وأسلوبهم.. والغريب انها اصطدمت بالمدرسة الأولى، واستعان مجلس قيادة الثورة ببعض أقلام المدرسة الثانية.. ليكونوا دعاة للثورة.. وإن لم يطمئن لهم ثروت عكاشة.. وأثبتت السنين صدق حدسه.. وكشفت الأيام عداءهم للثورة.

مجلة التحرير.. لسان حال الثورة

أصدرت قيادة الثورة فى شهر سبتمبر ١٩٥٢ مجلة (التحرير) نصف شهرية.. وأوكلت مهمة إصدارها إلى يوسف صديق.. (يوسف صديق هو بطل الثورة الحقيقى الذى أنقذ انقلاب يوليو من الانتكاسة فى اللحظة الأخيرة.. فهو الذى نفذ خطة الاستيلاء على قيادة الجيش، ومن ثم السلطة بأسرها في مصر فى الساعة الثانية عشرة مساء ٢٢/ ٢٣ يوليو ١٩٥٢).. أى قبل الميعاد الذى حدده جمال عبدالناصر بساعات قليلة.



لم يخف يوسف الصديق عندما أسند إليه مسئولية المجلة ميوله الماركسية.. تأكد ذلك بعد اختياره اليوزباشى أحمد حمروش رئيسًا للتحرير وهو ماركسى النزعة.. لذلك لم يكن محتوى المجلة على هوى قيادة الثورة.. فتمت إقالتهما مع صدور العدد الثالث للمجلة.. وأسند جمال عبدالناصر رئاسة تحريرها إلى ثروت عكاشة.. رأى فيه الشخص الأنسب لهذه المهمة لتجربته فى مجال الصحافة منذ عام ١٩٤٥.. وحصوله على دبلوم الصحافة من كلية الآداب عام ١٩٥١، إضافة إلى أنه متمرس فى الكتابة.. فقد صدر له ٤ كتب قبل الثورة.

ضمت المجلة فى هيئة تحريرها: عبدالمنعم الصاوى وعبدالرحمن الشرقاوى ومصطفى بهجت بدوى وسعد لبيب والفنانين عبدالسلام الشريف وحسن فؤاد وعبدالغنى أبو العينين وجمال كامل.. صارحهم عكاشة بأن المجلة ليست منبراً لليمين أو اليسار.. واستجاب الجميع مرحبين بهذا المسار.. وتمتعت المجلة بحرية لم تبلغها المجلات الأخرى.. فلاقت رواجاً غير مألوف وقتذاك.

طه حسين أول من أطلق كلمة (ثورة) على ٢٣ يوليو

كان يكتب لمجلة التحرير من خارج هيئتها: عبدالرحمن عزام وطه حسين ويوسف السباعي وراشد البراوى وأحمد حسين وفكرى أباظة وجمال عبدالناصر وخالد محيى الدين وصلاح سالم ومصطفى محمود وأحمد كامل مرسى وغيرهم..



كتب د.طه حسين مقالًا للمجلة يعيب على رجال يوليو تسمية ما قاموا به حركة.. وآخرون كانوا يستخدمون تعبير «الانقلاب» أو «الحركة المباركة» أو «النهضة».. وراح ينـدد باستخدام

تلك الكلمات.. وأصر على أن يحمل ٢٣ يوليو اسم «ثورة».

لم تدم العلاقات الطيبة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وعكاشة طويلاً.. فخلال مسيرة المجلة فى اتجاهها المتحرر.. اشتعل غضب بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة على ثروت عكاشة وعلى المجلة.. رأوا ما تنتهجه المجلة شططًا وتحريضًا.. فقد لعبت المجلة دورًا فى كشف أوضاع الريف التى تردت تحت سيطرة كبار ملاك الأرض.. وكانت المجلة سباقة فى المطالبة بالتصنيع مع مواكبة تحديد الملكية الزراعية.. إضافة إلى تحفيز الشعب على المشاركة في النضال الاجتماعى والسياسى، عبر تذكيره ببطولات أبنائه وبنماذج من بطولات إنسانية من مختلف شعوب العالم.. وحاربت المجلة سياسة الاحتكار فى السياسة والاقتصاد.. فكسبت الرأى العام الذى وثق بها إلى حد كبير.

سحب الثقة من ثروت عكاشة

في عيد الثورة الأول في ٢٣ يولية ١٩٥٣.. قرر ثروت عكاشة كتابة جانب من قصة الثورة الحقيقية.. ودعم مقاله بالصور الزنكوغرافية لبعض وثائق تنفيذ الثورة بعنوان «هكذا قمنا بالثورة».. تحدث فيه عما أداه سلاح الفرسان في ليلة الثورة، وهي الجزئية التى كان أحد المنوطين بها، كأركان حرب سلاح الفرسان.. وغضب صلاح سالم لأن اسمه لم يرد فى المقال.. وهو لم يكن له دور فعلًا فى هذه الليلة.

يقول عكاشة: لم يكن ذنبى أن الظروف وضعتنى فى موقع حساس ليلة الثورة.. وأن أوامر تنفيذ الثورة في سلاح الفرسان صدرت بخط يدى.. لكن يبدو أن ذلك لم يعجب بعض الذين تولوا مقاليد الأمور.. وإذا وزير الإرشاد القومى يعقد يوم صدور العدد الذى حمل مقال عكاشة فى ٢٣ يولية ١٩٥٣ مؤتمراً صحفيا.. وصف فيه مجلة التحرير بأنها لم تعد تعبر عن رأى القوات المسلحة ولا عن رأى مجلس قيادة الثورة.

كان هذا الموقف بمثابة إعلان رسمي من الحكومة بسحب ثقتها من مجلة التحرير.. وتقرر إصدار المجلة عن دار التحرير وخضوعها للرقابة.. مما يعنى تغيير سياسة المجلة.. وبالتالى يتحول عكاشة من ثائر وصاحب

رأى إلى مهادن يسعى في سبيل البقاء أيًا كانت التنازلات التي يقبل بها.. فذهب ثروت عكاشة إلى بيت جمال عبدالناصر فى نفس الليلة.. محتجًا على هذا القرار.. لم يعطه إجابة شافية.. فقدم استقالته فى لحظتها من رئاسة مجلة التحرير.

يقول خالد محيى الدين فى كتابه «والآن أتكلم».. أصدر ثروت المجلة بشكل جيد ونشر فيها العديد من المقالات الممتازة عن الدستور وعن الديمقراطية وبهذا أصبحت مجلة التحرير لسان حال للجناح الليبرالى في الثورة.. ونجحت المجلة وزاد توزيعها واستمر الأمر كذلك حتى ٢٣ يولية ١٩٥٣ عندما كتب ثروت مقالا عن دوره في الثورة.. وفيما يبدو أنه تحدث عن دوره كثيرًا وقلل من دور حسين الشافعى وصلاح سالم.. وانتهى الأمر بأن أرسل المقال محل الخلاف إلى عبدالحكيم عامر الذى قرأه وقال إنه ليس فيه شىء.

عكاشة خارج مصر خوفًا من انقلابه!

عقب استقالته من رئاسة تحرير المجلة.. أصدر مجلس الثورة قرارًا بتعيين ثروت عكاشة ملحقاً حربيًا.. وليست هناك أى علاقة بين تنحيته عن رئاسة مجلة التحرير وتعيينه ملحقاً حربيًا بالخارج.. إلا أن الغرض إبعاده عن مجلة التحرير وعن منصبه كأركان حرب سلاح الفرسان.. بل وإبعاده عن مصر.

غضب ثروت عكاشة لتعيينه ملحقًا عسكريًا لمصر في باريس.. ولم يكن يدرى أن ذلك القرار كان يمثل منحنى التغيير الحاسم فى مجرى حياته ويفتح له آفاقًا جديدة، ودراساته العليا ليصبح سفيراً ويحصل على الدكتوراه من فرنسا التى تؤهله ليكون بعد ذلك وزيرًا للثقافة.

يقول ثروت عكاشة: خيل إلىّ لأول وهلة أن الغرض من إبعادى عن مجلة التحرير إرضاء صلاح سالم.. لكن الغرض الحقيقى فضلا عن ذلك.. كان هو إبعادى عن سلاح الفرسان لما كان يعلمه مجلس الثورة من منزلة لى فى قلوب ضباط السلاح.

ولما كان يخشاه البعض منهم إذا تصوروا أنى قد أستعين يومًا بهذا السلاح في جولة مضادة.. وكذلك لمساندتي لخالد محيى الدين عندما جاءني جمال

عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ذات يوم ليسألانى عما إذا كان في إمكانى السيطرة على سلاح الفرسان إذا صدر قرار مجلس الثورة باعتقال خالد الذى كان على خلاف مع المجلس فرفضت الفكرة واعترضت على اعتقاله.

أصبح فى يقين ثروت عكاشة أن أعضاء مجلس قيادة الثورة قد استقر في أذهانهم منذ تلك اللحظة أن وجوده هو وخالد محيى الدين فى سلاح الفرسان يشكل خطراً ينبغى التخلص منه.. لاختلاف وجهات نظرهم عن وجهات نظرهما حول شكل الحكم الذى يجب أن يطبق بعد نجاح الثورة.. وكما يؤكد ثروت عكاشة: انهم توجسوا خيفة من أن يتطور هذا الخلاف إلى استعمال العنف لفرض آرائنا على مجلس الثورة استناداً إلى قوة سلاح الفرسان.. ولهذا ظلوا يترقبون الفرصة إلى أن سنحت.. بمقاله الأخير بمجلة التحرير.. فاتخذوه ذريعة ليدفعوه إلى تقديم استقالته.. وإبعاده عن سلاح الفرسان الذى يثير بوجوده فيه ارتيابهم وقلقهم.. فكان قرار مجلس قيادة الثورة بإبعاده عن مصر.. وغادر البلاد فى شهر سبتمبر ١٩٥٣.

«المستبد العادل» رؤية توفيق الحكيم تتحقق

قضى ثروت عكاشة عامًا واحدًا بعد قيام الثورة فى مصر.. كان خلال هذا العام شاهدًا على تثبيت أقدام الثورة.. بذلك الصراع بينها وبين طبقة كبار الملاك.. ثم صدور قانون الإصلاح الزراعى.. وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية.. وتطهير مؤسسات الدولة عامة وفرض الرقابة على الصحف.. ومطالبة الأحزاب بتطهير نفسها.. وإلغاء الرتب والألقاب.

ثم ما كان من مواجهة بين الأحزاب السياسية والثورة في ١٦ يناير ٥٣.. انتهت بحل الأحزاب حماية للوحدة الوطنية وإلغاء الدستور وتشكيل لجنة من خمسين عضواً من عناصر مختلفة من رجال القانون وغيرهم من طوائف أخرى.. وإعلان فترة الانتقال لمدة ٣ سنوات.. وأخيرًا ما كان من مفاوضات بين مصر وبريطانيا لتحقيق الاستقلال السياسى في نفس الوقت الذى كان الفدائيون يواصلون فيه عملياتهم ضد القوات البريطانية بمنطقة القناة.

ومن بين تلك الأحداث التي عاصرها أيضًا حادثة سلاح المدفعية ومحاكمة بعض ضباطه الأحرار فى يناير ١٩٥٣.. لاعتراض ضباط المدفعية

على انحراف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة عن المسار والمطالبة بأن يكون ممثلو أسلحة الجيش فى مجلس قيادة الثورة انتخاباً لا تعييناً، لا سيما أن مجلس قيادة الثورة لم يتألف بطريقة ديمقراطية.. بل كان أمر تشكيله إلى جمال عبدالناصر.. وكانت محاكمة ضباط سلاح المدفعية البداية لتطبيق الرأى القائل بأن الثورات تأكل أبناءها.

تغيرت بعض أسس المجتمع المصرى على يد «الطبقة الوسطى الصغيرة» التى كان منها أغلب رجال الثورة.. كذلك ظهرت من جديد فكرة «المستبد العادل» الذى لا يعوق قراراته أى معوق.. وهى النظرية التى نادى بها توفيق الحكيم في كتابه «عودة الروح» حين أشاد «بالزعيم المعبود» وترقب مصر له.. فسايرت فكره فكرة الزعيم المعبود وفكرة مركزية السلطة.

أنور السادات رئيسًا للتحرير

أصدرت ثورة ١٩٥٢ جريدة «الجمهورية» بعد مجلة «التحرير»، فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٣ وكان صاحب الامتياز البكباشى جمال عبدالناصر سكرتير هيئة التحرير الذى تقدم آنذاك بطلب إلى إدارة المطبوعات لإصدار جريدة يومية صباحية باللغة العربية.. أنشأتها الثورة لتتحدث بلسانها، وتدعو لها، وتتبنى قضاياها محلياً وعربياً وعالمياً.. وكان أول رئيس تحرير البكباشى أنور السادات.. كانت تصدر من قبل عن إدارة الشئون العامة بالقوات المسلحة، منذ صدورها في سبتمبر ١٩٥٢.

أول وزير.. وأول وزارة

دائمًا مع كل مشروع ثقافى او فنى أو أثرى جديد يصاحبه حرص ودقة شديدة باعتباره «مشروع الثورة» حتى لا يقال إن ثورة ١٩٥٢ تسببت فى تراجع وتخلف مصر.

مصر لم تكن عقيمة ثقافيًا قبل ثورة ١٩٥٢

من المستحيل الظن بأن تاريخنا الثقافى أصبح شيئًا بعد أن لم يكن شيئًا.. فقد كانت مصر تتمتع قبل إنشاء وزارة الثقافة بنهضة ثقافية وفنية شملت المسرح والسينما والأدب والنحت والتصوير إلى غير ذلك.. وحين اضطلع د.ثروت عكاشة بعبء وزارة الثقافة للمرة الأولى [من نوفمبر ١٩٥٨ إلى سبتمبر ١٩٦٢]، وجد الفرصة أمامه مواتية لكى يضيف إلى الجهود الأولى جهودًا أخرى واجبة تهيئ المناخ الملائم وتتيح الفرص وتزيل المعوقات فى سبيل المزيد من الازدهار.. فليس ثمة وزارة يمكنها خلق الثقافة.. إنما تنهض الثقافة على أكتاف المبدعين وحدهم.. وكان ما تم بفضل المثقفين الذين استعان بهم والذين هيأتهم النهضة الفكرية التى بدأت مع مطلع العشرينيات من القرن الماضى.. إضافة إلى جهود فتحى رضوان الذى حققت وزارة الإرشاد القومى فى عهده إنجازات تتميز بالجدية والابتكار.. قبيل إنشاء وزارة الثقافة.

مصلحة الفنون والمسرح القومى

كانت معظم الأجهزة الثقافية متفرقة بين وزارات مختلفة أبرزها وزارة المعارف العمومية.. لم يكن موجود جهاز ثقافى قائم بذاته إلا فى مجالين اثنين هما: الكتاب (إدارة الكتب)، والآثار (مصلحة الآثار).. وماعدا ذلك نواة أدبية وأخرى فنية.. النواة الأدبية وزارة التربية والتعليم بإنشائها إدارة عامة للثقافة انضمت فيما بعد بهيئاتها المختلفة إلى وزارة الثقافة.. أما النواة الفنية فهى مصلحة الفنون التى أنشأها فتحى رضوان وزير الإرشاد.. وقد أحاطها بعنايته الأديب يحيى حقى لترعى فنون المسرح والسينما والفنون التشكيلية.



يحيى حقى يتحدث إلى مصطفى محمود ويوسف السباعى وإبراهيم بيومى مدكور وعبدالرحمن الشرقاوى

ولا يمكن إغفال دور أحمد حمروش مدير المسرح القومى الذى أرسى له قواعد جديدة نهضت به.. مهد ذلك كله أن يمضى ثروت عكاشة فى رسالته عند الاضطلاع بأعباء الوزارة عندما وجد بين يديه هاتين النواتين.

كما أصدرت حكومة الثورة فى ٢٥ يناير ١٩٥٦ قانوناً بإنشاء المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في شكل هيئة مستقلة ملحقة بمجلس الوزراء.. تهدف لتنشئة أجيال من أهل الآداب والفنون، وإبراز الطابع القومي فى الإنتاج الفكرى المصرى بشتى ألوانه ويعملون على التقارب فى الثقافة والذوق الفنى بين المواطنين.. وتطورت تبعية المجلس إلى أن أصبح جزءًا من وزارة الثقافة فيما بعد.

عبدالناصر والمشروع الثقافى

كان جمال عبدالناصر يؤمن بأن ازدهار الثقافة يؤدى فى مجال الفكر ما يؤديه التصنيع الثقيل فى قطاع الصناعة، شغوفًا بأن يرى للقلم رسالة فى شحذ وجدان الأمة لا تقل عن رسالة المدفع فى حماية حدود الوطن، وفي تعانقهما معًا ما يتيح للأمة التطور والارتقاء.. ولا ننسى أنه لأول مرة فى التاريخ المصرى تنشأ وزارة للثقافة وأخرى للبحث العلمى عقب ثورة ٥٢.

وفى إطار الاهتمام بوجود مشروع ثقافى.. قال عبدالناصر لثروت عكاشة: علينا أن نغرس بذورًا جديدة لتنبت لنا أجيالًا تؤمن بحقها فى الحياة والحرية والمساواة، فهذا هو العناء، وهذا هو العمل الجاد.. إن مهمتك هى تمهيد المناخ اللازم لإعادة صياغة الوجدان المصرى، وأعترف أن هذه أشق المهام وأصعبها، وأن بناء آلاف المصانع أمر يهون إلى جانب الإسهام فى بناء الإنسان نفسه.

كان اهتمام الإنسان أكبر نحو الفوز بحقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلى أن أصبحت الحقوق الثقافية ومتعة الفنون ركنًا رابعًا من أركان الحياة، حين نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٦ «أن للإنسان الحق فى المشاركة بثقافة المجتمع والاستمتاع بالفنون وله نصيب ما يؤتيه التقدم العلمى من ثمار».

أول وزارة ثقافة فى مصر

الثقافة والفنون التى تقدمها الدولة ليس هدفها الربح.. الاستثمار فى بناء عقلية سليمة ثرية بالفنون والثقافة.. بدأ كيان وزارة الثقافة فى التبلور دون اسمها.. حين تأسست وزارة الإرشاد القومى فى أول عهد الثورة.. وجاء أول ذكر لوزارة الثقافة فى أكتوبر ١٩٥٨ حين أنشئت فى مصر في ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨.. حملت اسم «وزارة الثقافة والإرشاد القومى».. هى نتاج ثورة ١٩٥٢ والتحرر من الاستعمار.. فالثمرة الأولى للثقافة تتجلى فى توعية الفرد بما له من حق فى الوجود والإحساس بإنسانيته إحساسًا كاملا.. وهو ما يخشاه الاستعمار أينما حل.. لأن الحياة الثقافية تتطلب أولا وقبل كل شيء حرية البحث والنقد والابتكار والتعبير وإيصال النتاج الثقافى إلى الناس.. كان إنشاء وزارة للثقافة إيذاناً بتنظيم العلاقة بين الدولة وجهود المثقفين واستثمارها فى إثراء منجزاتها المادية والسياسية والاجتماعية بمنجزات ثقافية وفنية.

كان أمام ثروت عكاشة طريقان عليه أن يسلكهما معًا.. أولهما قصير والآخر طويل.. يرمى الطريق القصير إلى إمتاع المواطنين بالثمار العاجلة للثقافة التى تتنوع بين مسرحية جيدة وفيلم ممتاز ولوحة أخاذة وكتاب ممتع وبحث

شيق.. إلى غير ذلك من ثمار الثقافة.. أما الطريق الطويل فيهدف إلى تنشئة تنضج على يديه هذه الثمار بإنشاء المعاهد الفنية لتخريج الفنانين المبدعين، متمثلا قول فرجيل: «هكذا أيها النحل تصنع الشهد ولكن لا لنفسك».

رسخت فى نفس ثروت عكاشة ألوان من الاتجاهات والركائز.. على رأسها النظر إلى الثقافة نظرة إنسانية تحفز البشر على التضامن من أجل الارتقاء برفاهيتهم العقلانية والوجدانية.. بذلك تكون الثقافة للمتعلم وغير المتعلم على السواء.. الثقافة هى علوم الحياة.. فهى كالبحر تصب فيه أنهار المعارف جميعًا.. علمًا وفلسفة وفنًا وأدبًا.

مؤتمر عام للمثقفين بالأوبرا الخديوية

منذ اليوم الأول لتسلم عكاشة وزارة الثقافة عام ١٩٥٨ كان لديه رغبة لتحقيق التكافؤ الثقافى والاتصال بكبار المثقفين فى مصر، بمختلف التوجهات.. حتى لا تكون سياسة الوزارة سياسة فوقية لا مشاركة فيها للأفراد.



أم كلثوم ومحمد القصبجى وفكرى أباظة

وأنسب شكل للتعرف على مشكلات المثقفين وأمانيهم، وكل ما كان يشغل بالهم، وكل ما كان يشغل باله هو نفسه.. تجميعهم فى مؤتمر عام.. دعى إليه ثروت عكاشة في شهر مارس ١٩٥٩ بدار الأوبرا الخديوية.. كان من نتاج هذا المؤتمر، تكشف الرؤية الثقافية على لسان جميع الفئات.. ورسخت هذه التجربة ألوانا من الاتجاهات والركائز التى أنارت أمامه السبيل التى يتعين عليه أن يسلكها من خلال مسئوليته بالوزارة.



مع أحمد حسن ويوسف وهبى وأبوبكر خيرت وأحمد بدوى ومصطفى السعيد.. المؤتمر العام للثقافة بدار الأوبرا الخديوية ١٩٥٩

إن الثقافة الحقة علم وعمل معًا.. وبينهما يكون المثقف صاحب موقف.. فالثقافة ليست رداء يرتديه المرء حين يشاء وينفضه عن نفسه حين يشاء.. لذا كان الصدام بين المثقف وبين غيره دفاعًا عما يدين به من رأى.. وعسير على مثقف هذا العصر أن يعيش بمعزل عما يدور حوله من صراع بين فكر متخلف وفكر خلاق، فيقف موقف المحايد غير المبالى.. فهو لا يستطيع اليوم أن يفر بنفسه إلى جبل يعصمه كما فعل ابن نوح.. إنما موقف المثقف الحق من أحداث عصره أن يشارك فيها بكل ما أوتى من جهد وقوة ورأى ليدحض باطلا ويقيم حقاً.. عليه أن يعيش واعيًا بما يضطرب به عصره..

فيكون مع من يشرعون للعالم ويحققون أحلامه ويأخذون بأيدى أبنائه إلى النهج القويم .

الفنان فيلسوفًا سياسيًا

لم يعد مذهب الفن للفن، له شأنه فى عصرنا الحالى، بعد أن زاد ارتباط الفن بالمسائل الاجتماعية والسياسية والسيكولوجية.. وأما عن ارتباط الفن بالسياسة.. لقد كان الفنان على مر التاريخ فيلسوفا سياسيًا.. فالفن من مقتضياته التمرد والعصيان والاحتجاج على ما هو متراكم.. مثال ذلك: في متحف برادو بمدريد لوحة «جيرنيكا» للفنان پابلو پيكاسو (١٩٣٧) تعبيرًا رمزيًا صارخًا، احتجاجًا على القذف الوحشى لبلدة جيرنيكا خلال الحرب الأهلية الإسبانية بقنابل طائرات ألمانيا النازية.. ولدينا مثال آخر: خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ خرج علينا الموسيقار محمود الشريف بنشيد «الله أكبر» الذى ألهب حماس المواطنين.. ومن قبل محمود الشريف وضع الضابط الفرنسى الموهوب روچيه دى ليل نشيد «المارسيليز» الذى أثار الحمية فى جيش الراين ١٧٩٥، واتخذ نشيدًا للثورة الفرنسية.. ثم أصبح النشيد الوطنى الفرنسى.

حرية الفنان

أجمع المفكرون على أن الفنان الحق هو الفنان الحر.. وأن الدولة إذا ألزمت الفنان بأهداف عاجلة فإنها تكون ضحت بمستقبلها فى سبيل حاضرها.. على أن الحياة دومًا تتطلع إلى الحرية.. فالفنان الحق أوالمثقف الحق كلاهما فى غير حاجة إلى توجيه فكرى أو تلقين عقائدى.. فهو ابن نفسه وابن عصره يعيش في زمانه بحسه المرهف وبصيرته النافذة.. وكلما غاص فى أعماق مجتمعه أحس بالجماعية الإنسانية وانتقلت إلى قلبه نبضات الآخرين.

لقد تناول هذا الجانب وهو (حرية الفنان) د.لويس عوض أحد الأساتذة الذى تعلم على يديه د.ثروت عكاشة.. قال د.لويس: إن ما يسمى تحرير الثقافة من وصاية الدولة المقترنة بمسئولية وزارة الثقافة عن الثقافة.. محض وهم كبير، لأن وزارة الثقافة فى قمة المركزية الناصرية.

الحرية ليست حقا للكتاب والفنانين، بل هى واجبهم أيضًا، لأنها

وظيفتهم فى المجتمع.. كان عكاشة يحاول ألا يمنع قلمًا أو عملًا فنيا حتى لو واجه انتقادات كثيرة.. فى السينما مرر فيلم (شىء من الخوف) خلال توليه الوزارة.. وكان الفيلم أثار جدلا واسعًا حينها.. وفى عهده نشرت (أولاد حارتنا).. الرواية التى كفر بسببها نجيب محفوظ.. رأى البعض فيها ازدراء أديان.. سمح بعرض (الفتى مهران) رغم الانتقادات التى وجهت اليها حيث انتقد فيها عبدالرحمن الشرقاوى بشدة حرب اليمن فى عهد عبدالناصر.

الفن الرفيع للعمال

أهم التجارب التى قام بها ثروت عكاشة لتصل الثقافة والفنون للجميع بدون تفرقة.. فلا يمكن تصور إمكان قيام نهضة ثقافية قبل محاولة إزالة الحواجز والفواصل المنيعة بين طبقات المجتمع.. فأقيمت عروض خاصة للعمال، قدم فيها على مسرح دار الأوبرا الخديوية عام ١٩٦٠ فاصلًا من باليه أوبرا «الأمير إيجور» لإلكسندر بورودين، وأوبريت «الأرملة الطروب» المعربة لفرانز ليهار.. وكان التأثير عليهم نفس التأثير على نخبة المثقفين.

العلم والتصنيع والإبداع أمل الفقراء

أطلع د.ثروت عكاشة فى بحث تقدم به إلى معهد العالم العربي بباريس الأديب سير تشارلز عام ١٩٥٩ بمحاضرة ألقاها في جامعة كمبردج، تناول فيه موضوع «الثقافتين» The Cultures .. أثارت ثائرة بعض كبار الأدباء العالميين، حين نادى بضرورة أن يحتل «العلم والتكنولوچيا» المركز الأول فى برامج التعليم.. مناديًا بأن التصنيع هو أمل الفقراء.. فبسبب التصنيع أصبح الأفراد موفورى الغذاء قادرين على القراءة والكتابة.

كما غدا الكثير من شعوب العالم بسبب الثورة العلمية أغنياء.. حتى أصبح التحدى أمام العلم والتكنولوجيا والثقافة اليوم هو مدى ما يسهمان به فى تسخير إمكاناتهما غير المحدودة لخدمة البشرية عامة لقهر الفقر.. وإطراح الظلم السياسى والاجتماعى واستعادة الحقوق الإنسانية.

على حين رد خصومه أصحاب «النظرية الأدبية» بأن تقدم البشرية لا يقاس باليسر المادي بقدر ما يقاس بخلق المجال الذي يعاون فيه المرء أخاه ويتعاطف معه.. ذلك أن الأدب والفن يحثان الإنسان على أن يكون اجتماعيًا

ومتعاطفًا مع الآخرين.. الإبداع يرقى الإنسان إلى أسمى درجات الحس والذوق والجمال والنقاء، التى هى من سمات الإنسانية المثلى التى ينشدها الإنسان كى يحيا إنسانًا بحق على وجه الأرض.. يعيش للخير وللخير وحده.

تلك كانت الرؤية التي تمخضت عن تجربة د.ثروت عكاشة الخاصة وعن اللقاءات والمشاورات والمؤتمرات والندوات.. والتى اهتدى بها فى الحقل الثقافى.. لم يحد عنها طوال تحمله مسئوليته الوزارية.. سواء فى مجال الكتاب أو المسرح أو السينما أو الموسيقى أو تشييد قصور الثقافة والانطلاق بقوافلها إلى أقاصى الريف.. أو إنشاء أكاديمية الفنون بمعاهدها المتخصصة.. أو الحفاظ على التراث وإنقاذ معابد النوبة بعد أن أوشك النيل أن يبتلعها.

التزم د.ثروت عكاشة بما عاهد نفسه وغيره عليه.. كان عند وعده بربط مشروعات الوزارة بين النظرة الإنسانية وبين النظرة القومية.. والجمع بين التراث القديم والتطور الحديث، ورفع الحواجز بين طبقات المجتمع بتطوير الثقافة الإقليمية.. وإتاحة الفرصة للتفاعل بين أفراد الشعب وبين الفن رفيع المستوى.. مؤمنا بأن الأعمال الفنية لا ترقى إلى مرتبة الامتياز إلا حين تحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، ثم تضمين الثقافة قيمًا عالمية وإنسانية خالدة، الأمر الذي كانت له انعكاساته على كافة أنشطة الوزارة، وأخيراً إتاحة حرية الإبداع للفنان حرية لا معوق لها.

ما من شك فى أن التطبيق فى الستينيات من القرن الماضى يختلف عنه الآن فى العقد الثالث للقرن الـ٢١ لاختلاف الظروف أولًا وآخرًا غير أن جوهر النظرية يظل كما هو فى كافة الظروف .

أكاديمية الفنون

أكاديمية الفنون

ياللى بدعتوا الفنون وفى إيدكوا أسرارها.. دنيا الفنون دى خميله وانتوا أزهارها.. والفن لحن القلوب يلعب بأوتارها.. والفن دنيا جميلة وانتوا انوارها.. غناها محمد عبدالوهاب من كلمات صالح جودت.. نعم الفن لا يقف عند إبداع الجمال وتحقيق أسمى متعة للإنسان.. بل ينفذ إلى أعماقه ليوائم بين أمزجته ويحفظ له اتساق كيانه الداخلى.. ويرتقى بأحاسيسه ومشاعره.. ويسمو بالوجدان.

كان لابد أن تأتى على رأس اهتمامًات «مهندس الوجدان المصرى» ثروت عكاشة بثورته الثقافية أن يقوم الفن على أسس علمية، والبعد عن العشوائية.. فكانت الأولوية، بإنشاء أكاديمية تضم سبعة معاهد تغطى كافة ألوان الفنون.

معاهد علمية لتفادى الفنون العشوائية

كانت وزارة الثقافة الوليدة تتطلب نوعية خاصة من الأفراد الذين اكتسبوا إلى جانب العلوم والمعارف ثراء الموهبة وخصوبتها وسعة القدرة.. استشعر ثروت عكاشة هذا النقص فى الإمكانيات البشرية المتاحة، ويحتاجها لرسم سياسة طويلة المدى للإعداد لمستقبل العمل الثقافى.

لذا كانت إقامة معاهد للفنون بالنسبة لوزارة الثقافة نقطة بدء ضرورية في هذا الاتجاه، فقام مع نهاية عام ١٩٥٨ بتحديد القواعد والأسس التي تنهض عليها المعاهد الأربعة الأولى لتلك الأكاديمية المنشودة [المعهد العالى للموسيقى ومعهد السينما ومعهد الباليه ومعهد الفنون المسرحية].

حين أصبح إنشاء هذه المعاهد أمراً ممكنًا عرض عكاشة مشروعها على مجلس الوزراء، غير أنه لم يلق الترحيب المنشود.. بل أثارت وزارة التربية والتعليم مشكلة إنشاء معهد للموسيقى.. إذ رأت فيه ازدواجًا مع معهدها العالى للموسيقى.. أحس عكاشة فتورًا تجاه مشروعه.. فاستنجد بالرئيس جمال عبدالناصر الذى تحمس لمشروعه.. فأصدر قرارًا رئاسيًا فى أواخر خمسينيات القرن الماضى، بإنشاء أكاديمية كإحدى صروح التعليم المتخصصة فى تدريس الفنون.. هيئة مستقلة بذاتها، ورئيسها يعينه رئيس الجمهورية ولها

قانونها الخاص ولا تخضع لقانون الجامعات.. بحكم دراساتها ومناهجها الخاصة والمختلفة.

استمرت أكاديمية الفنون بهذا التميز الخاص ٣٠ عامًا.. إلى أن صدر للأسف قرار يخضعها لقانون الجامعات عام ١٩٨٩.

الأوقاف تساند مشروع الأكاديمية

رغم صدور القرار الجمهورى بإنشاء هذه المعاهد، فإن الدولة لم ترصد من ميزانية عام ١٩٥٩ أى مبلغ لشراء الأرض التى تقام عليها المعاهد أو لبنائها.. وأمام هذا الموقف لجأ عكاشة إلى أحمد عبدالله طعيمة وزير الأوقاف لمد يد العون.. فاستجاب على الفور ومنح وزارة الثقافة قطعة أرض تقع فى بداية طريق الهرم بشروط ميسرة وعلى مدى طويل.

لجأ ثروت عكاشة إلى مؤسسة دعم السينما التابعة للوزارة ليقترض مبلغًا يكفى تكاليف بناء المعاهد وخروجها إلى الوجود، وهو ما كانت اللوائح تسمح به.

وضع حجر الأساس وتكريم الفنانين

تتصدر الأكاديمية لافتة رخامية كتب عليها (تفضل السيد الرئيس جمال عبدالناصر فأناب السيد ثروت عكاشة وزير الثقافة والإرشاد القومى للإقليم الجنوبى لوضع الحجر الأساسى لمدينة الثقافة والفنون. ٢٩ المحرم ١٣٧٩ ٤ أغسطس ١٩٥٩).



عكاشة يضع حجر الأساس لأكاديمية الفنون

تضمنت احتفالية وضع حجر الأساس توزيع جوائز الدولة للفنانين لعام ١٩٥٩.. وتم تكريم المنتجة والممثلة آسيا ومحمود مرسى وفريد شوقى وصلاح أبوسيف وعزالدين ذوالفقار وهدى سلطان وشكرى سرحان وتحية كاريوكا ومريم فخر الدين.. واستقبل عكاشة فى اليوم نفسه أم كلثوم بمكتبه وأهداها درع وشهادة الثقافة والفنون.



مسرح سيد درويش

أنشئت قاعة تتخذ شكل المسرح أطلق عليها اسم «سيد درويش» عام ١٩٦٠.. لتكمّل المجمّع الرائع للأكاديمية.. كانت مرتبطة بشكل أساسى بالمعهد العالى للموسيقى.. تم تزويدها بكل المعدات وإتقان خصائصها الصوتية. يستوعب المسرح الواسع لهذه القاعة أوركسترا يتكون من ١٥٠ موسيقياً بالإضافة إلى كورال كامل.. تم تركيب أرغن ضخمًا، هو الأول من نوعه الذى يتم إدخاله إلى المنطقة.. صمم المسرح كى يلائم بشكل مريح جمهوراً متزايداً ومميّزاً من عشّاق الموسيقى.. واستغلت لعروض مسرحية فى المهرجان الدولى للمسرح التحريبى فى آخر الثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن الماضى.

جزيرة النور



مدخل أكاديمية الفنون يتصدره تمثال راقصة الباليه أنا بافلوفا

كان يطلق عليها مجازا (جزيرة النور).. هى أول مكان تعليمى لكل الفنون.. تخرج الأكاديمية فنانين فى مختلف الفن التعبيرى بمعاهدها السبعة.. السينما والمسرح والباليه والموسيقى العربية والكلاسيكية والفنون الشعبية ثم النقد الفنى.. واستعان د.ثروت عكاشة بخبراء أوروبيين للتدريس بالمعاهد إلى جانب الخبراء المصريين.. لم تقتصر الدراسة فيها على المصريين.. حيث تستقبل طلبة من دول أخرى خاصة البلدان العربية.

بدأت الدراسة فى معاهد الأكاديمية جميعها فى أكتوبر ١٩٥٩ فى أماكن مؤقتة متفرقة، إلى أن فرغت الوزارة من تشييد المبانى.. بدأت بأربعة معاهد، السينما والكونسرفتوار والفنون المسرحية والباليه، ثم الموسيقى العربية فى بداية السبعينات، ثم النقد الفنى والفنون الشعبية.. تعمل الأكاديمية على تخريج طالب قادر على شيئين أساسيين هما: تدريس ما تعلمه.. وأن يحترف ما تعلمه بممارسة الفن الذى تخصص فيه.

المعهد العالى للسينما

«المعهد العالي للسينما»، منشأة فنية علمية مستحدثة وغير مسبوقة فى مصر.. أرسى د.عكاشة حجر الأساس فى الرابع من أغسطس ١٩٥٩ وبدأت الدراسة الفعلية فى موقع مؤقت في الرابع والعشرين من أكتوبر من نفس العام.. يضم ٨ أقسام: السيناريو والمونتاج والإخراج والإنتاج وهندسة المناظر والصوت والتصوير والرسوم المتحركة.

أسند عكاشة إلى الفنان محمد كريم عمادة المعهد.. وساعده فى إعداد مناهجه الفنان أحمد بدرخان.. فوضعا معًا الأساس العلمى والإدارى السليم للمعهد فى قدرة فائقة وتفان مذهل.. وشاركهما كذلك أحمد كامل مرسى وعلى فهمى وغيرهما من كبار الفنانين السينمائيين.. ثم استقدم للمعهد فيما بعد خبراء فرنسيين وروسيين.. وتخرج جيل جديد من المخرجين الشبان المؤهلين تأهيلاً فنيًا عاليًا.. احتلوا مركز الصدارة فى حقل السينما والتليفزيون الذى أنشئ عام ١٩٦٠.. وأصبح المعهد عضوًا مؤسسًا فى منظمة سيليكت التى يتبعها كل معاهد السينما فى العالم.

كان المعهد يرسل بعثات لدراسة الماجستير والدكتوراة فى موسكو.. وهم من تحملوا مسئولية قيادة المعهد لمواكبة التطور.. فالتكنولوجيا موجودة بالسينما بشكل سريع جدا ومتلاحق.. والدارسون بالمعهد عليهم ان يكونوا على وعى كبير جدا بالمتغيرات التى تحدث فى صناعة الفيلم.. خاصة ما شاهدته فى السنوات الأخيرة من متغيرات التكنولوجيا الرقمية.. الديجيتال تكنولوجى.. الطالب يدرس جميع أنواع التصوير حتى التصوير الذى كان وقت إنشاء المعهد ولم يعد له وجود.. وفى قسم الإخراج تجرى اختبارات قبول دقيقة بحيث يضم القسم ٨ طلبة كل سنة.. وفى هندسة المناظر الاهتمام ان يتمتع الطالب بالخيال حتى لو لم يكن يتقن الرسم بشكل جيد.. لأن الخيال مهم فى تصميم الديكور المطلوب منه.. وفى السيناريو الذى يعد عصب الفيلم.. فكاتب السيناريو هو الشخص الذى يضع خطة الفيلم.

المعهد العالى للمسرح

بدأ تدريس فن التمثيل فى مصر ١٩٣٠ بقسم فى كلية الآداب بجامعة القاهرة.. ولم تكن تتوافر له كل المقومات والمزايا التى أنشئ من أجلها المعهد الجديد فى قلب أكاديمية الفنون.. وقد أرسى حجر الأساس في الحادى والعشرين من يولية ١٩٦٢. ليصبح «المعهد العالى للفنون المسرحية» تخرج منه أجيال وأجيال.. هو منارة على مستوى الوطن العربى.. فقد افتتح زكى طليمات أول عميد للمعهد، معاهد مماثلة بدول عربية.

كانت الدراسة على يد أساتذة درسوا فى اوروبا.. يشتمل على أقسام: التمثيل والإخراج، الديكور، والدراما والنقد.. وهى الأقسام التى تتكون منها الحالة الدرامية.. الدراسة ٤ سنوات تتمثل فى مراحل للتمثيل: العربى أولا ثم مسرح بالعامية المصرية ثم المسرح العالمى.

وبدأت تنقل ترجمات لكتب حديثة تساعد فى نقل فن الممثل الى منطقة أخرى فيها البساطة التلقائية وأكشن وتعبيرات العيون والوجه بدقة التفاصيل.. الاهتمام بالجهاز العقلى للممثل.. هو الذى يتحكم فى كل الأجهزة الحركى والصوتى والانفعالى.. يتدرب كل منها على حدى، لكن الجهاز العقلى هو الذى يحرك كل تلك الأجهزة.. أصبح يوجد اهتمام قوى ومكثف بلغة الجسد.

وقد أحدث د.فوزى فهمى عندما كان عميدًا للمعهد فى منتصف الثمانينات تطويرًا مهمًا بإمكانات المعهد، خاصة المسرح الذى لم يكن مجهزًا بتجهيزات الإضاءة والصوت والمناظر.



د.محمد مندور فى افتتاح معهد المسرح ١٩٥٩

المعهد العالى للباليه

كانت فكرة إنشاء هذا المعهد غريبة على بلادنا.. فهو فن أوروبى ترتاده الطبقة الأرستقراطية، نشأ فى عصر النهضة.. أرسى عكاشة حجر أساس «معهد الباليه» فى ٢١ يولية ١٩٦٢.. لكن الدراسة بدأت بمكان مؤقت بالطابق الثانى بمبنى معهد السينما فى أكتوبر عام ١٩٥٩.. ولما كان العالم كله يشهد للروس ومسرح البولشوى بأنهم أساتذة هذا الفن الرفيع.. عهده إلى خبراء منهم بالإشراف عليه منذ إنشائه.. بدأ بدعوة الخبير السوفييتى الكسى چوكوف فى ديسمبر عام ١٩٥٨ ليتولى مسئولية التدريب فيه.



تدريبات بمعهد الباليه ١٩٦٢

تبدأ الدراسة فيه من عمر ٨ سنوات، ففى هذا السن الصغير يسهل تشكيله فنيًا وأخلاقيًا وعلميًا وثقافياً.. على أن يكون خاليًا من العيوب البدنية خاصة العمود الفقرى والساق.. وإجراء اختبارات سمعية بصرية جسمانية.. التدريب شاق جدًا، يستغرق ٩ ساعات يوميًا.. يطلق على راقصة الباليه «باليرينا» والولد «باليرون».. يضم المعهد ورش ملابس واكسسوار وأحذية مخصصة لفن الباليه.

شهد المعهد تطويرًا فى السنوات الأخيرة.. وتم إعادة صياغة المعهد كله ومنهج التعليم.. يضم مسارح مزودة بشبكة إضاءة وصوت وديكور، وصالات متطورة للتدريبات.. وهى إمكانات يحتاجها طلبة الدراسات العليا والتصميم والاخراج، لمشروعاتهم.. بعد التطوير أضيف تدريس الرقص الحديث.. الرقص حفاة.. وهو اللون الغالب فى الرقص على عكس ما كان سائدا عند تأسيسه بعهد ثروت عكاشة.. كان الباليه الكلاسيكى محور الدراسة بمعهد الباليه.

المعهد العالى للكونسرفتوار

من حسن حظ «المعهد القومي العالى للموسيقى.. الكونسرفتوار» أن بناءه أقيم وفق تصميم ملائم لمهمته من البداية.. وكان د.عكاشة قد أرسى حجر الأساس له في ٢١ يولية ١٩٦٢.. وإن كانت الدراسة به قد بدأت من أكتوبر ١٩٥٩ بفصول إعدادية وثانوية وفصل أول من المرحلة العليا.. وأسند عمادته إلى المهندس الموسيقار أبوبكر خيرت.. وكان عهد إليه أيضًا التصميم المعمارى للمعهد.. حيث جمع خيرت بين الموسيقى والهندسة المعمارية.

يضم أقسام: البيانو والوتريات ونفخ وإيقاع.. وأقسام الغناء والتأليف والقيادة والأصوات وموسيقى الحجرة والمصاحبة وعلم الموسيقى.. يقدم المعهد الطلبة النابغين «السوليست» الذى يعزف منفردا مع البيانو او مع الأوركسترا.

المعهد العالى للموسيقى العربية

أوصى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٥٩ بإنشاء معهد دراسات الموسيقى العربية، يهدف المعهد إلى النهوض بالموسيقى العربية وتطويرها، وإعداد وتخريج فنانين متخصصين فى العلوم الموسيقية العربية وفنونها.. فنانين متخصصين فى العزف والغناء والتأليف الموسيقى.

وان كانت البداية الحقيقية لإنشاء المعهد تعود الى عام ١٩١٤ عندما افتتح مصطفى بك رضا أول ناد لعقد اجتماعات الموسيقى العربية.. وفى عام ١٩٢١ خصصت الحكومة المصرية قطعة أرض بشارع رمسيس لإقامة معهد الموسيقى العربية عليها.. بعدها بسنة افتتحه الملك فؤاد الأول وأطلق عليه اسم (المعهد الملكى للموسيقى العربية).. انتقل المعهد عام ١٩٥٩ إلى أكاديمية الفنون.. وتحول مقره بشارع رمسيس إلى مركز موسيقى يضم متحف محمد عبدالوهاب، ومتحف الآلات الموسيقية، ومكتبة ومسرحًا.

تم تطوير مناهج قسم التأليف كمناهج كلاسيكية للموسيقى العربية والعالمية.. وأدخل عليها تدريس استخدامات الكمبيوتر فى الموسيقى.. فجمع المعهد بين دراسة القديم والحديث.. ضم المعهد فرقة للموسيقى العربية، وبعد رحيل أم كلثوم عام ١٩٧٥ حملت الفرقة اسمها تكريمًا لها.

المعهد العالى للنقد الفنى

أقيم معهد النقد على مبادئ أساسية هى: أن ترى، أن تسمع، أن تتذوق الفن، أن تتوجه بالنقد بموضوعية.. فالهدف الرئيسى للمعهد هو توفير الكوادر القادرة على التقدير المستنير والنقد المتخصص للقيم الجمالية، وتدريس العلوم التي لا بد وأن تلحق بحركة الإبداع وفنون الأداء.

رغم ان دراسة النقد بدأت مع معهد التمثيل (معهد المسرح).. صدر فى ١٩٧٠ قرار جمهورى لتخريج نقاد فنيين فى مختلف الأقسام مثل: السينمائى والتليفزيونى والتشكيلى والأدبى والمسرحى والباليه والنقد الموسيقى.

كانت الدراسات العليا بمعهد النقد تقبل كل من يرغب من مختلف خريجى الجامعات.. هكذا أراد د.ثروت عكاشة.. إلى أن جاء د.فوزى

فهمى رئيسا للأكاديمية وقصر الدراسات العليا بالنقد على خريجى معاهد الأكاديمية وكليات الإعلام عام ١٩٨٩.. وطبق القرار بأثر رجعى مما استلزم قيام بعض الطلبة برفع قضايا لاستكمال دراساتهم العليا.. ونحج بعضهم فى ذلك واستكمل دراساته العليا.. وتم تقسيم المعهد الى قسمين (تذوق ونقد).. وبعد أن كانت الدراسة فى المعهد سنتين كاملتين (٢٤ شهرًا) ليحصل الخريج على «دبلومة».. أصبحت الدراسة ٨ شهور بعد أن خضعت لقانون الجامعات، بصدور القرار الجمهورى رقم ٤٠١ لسنة ٨٩ بتطبيق أحكام اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الجامعات رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢على أكاديمية الفنون.

المعهد العالى للفنون الشعبية

كان من أهم البذور الطيبة التي غرسها فتحى رضوان وزير الإرشاد في عالم الفن والثقافة «مركز الفنون الشعبية» الذى أنشأه عام ١٩٥٧ ليكون مؤسسة علمية لتسجيل التراث الشعبي بمختلف أنواعه.. أعيد مركز الفنون الشعبية، الذي قام فى مراحله الأولى بمسح ميدانى واسع، تحت إشراف عالم الإثنوغرافيا الروماني البارز تيبيريو ألكساندرو.. فكان نواة إنشاء المعهد العالى للفنون الشعبية، مهمته الحفاظ على الهوية والتراث والفولكلور.

أشار د.لويس عوض على د.ثروت عكاشة بإنشاء معهد متخصص للفنون الشعبية لما له من أهمية.. حيث إن ما يقوم به المركز من مسح وتسجيل وتوثيق لن تكون له صبغته العلمية إلا إذا أعد من يقومون عليه إعدادًا علمياً نظريًا.. وتحمس للفكرة، واستعان بعلماء متخصصين من بينهم إيفانز پرتشارد بجامعة أكسفورد لكتابة تقارير علمية تولى أمرها د.لويس عوض لتتجمع بين أيديهم العناصر الفنية والعلمية الضرورية لإقامة معهد على أرقى مستوى قادر على تطوير فنوننا الشعبية وتنقيتها من الشوائب وتخليصها من الجمود.

وقد أسند إلى المعمارى العالمى حسن فتحى تشييده، يعاونه الفنان عبدالغنى أبوالعينين بتخطيط الأرض المخصصة للمعهد على مساحة سبعة عشر فدانًا.. ثم وضع تصميمات مبنى المعهد والمتحف المفتوح الذى يمثل العمارة المصرية من أسوان جنوبًا إلى رشيد شمالاً.. ولقد خصص للمعهد قطعة

أرض إلى جوار سائر المعاهد بأكاديمية الفنون.. وأرسى حجر الأساس له في عيد الثورة العاشر عام ١٩٦٢.. غير أن الظروف لم تشأ أن تتحقق هذه الأمنية بالافتتاح على يد د.ثروت عكاشة.. وأرجئ الافتتاح إلى مارس ١٩٨٢.. إلا أنه جاء على غير المنهج الأول الذى رسم له.

يستقبل المعهد دارسين من جميع أنحاء الوطن العربى والعالم فمن بين الدارسين طالبة من اليابان حصلت على دبلوم الدراسات العليا ماجستير عن الفولكور اليابانى دراسة مقارنة مع الفولكلور المصرى.

الأكاديمية تفتح أبوابها لذوى الاحتياجات الخاصة

أهم تطوير شهدته أكاديمية الفنون، كان عام ٢٠١٦.. أى بعد تأسيسها بـ٥٧ عامًا.. وهو فتح أبواب معاهدها للموهوبين من ذوى الاحتياجات الخاصة.. معاهد الموسيقى العربية والكونسرفتوار والمسرح، ومعهد البالية.. وكل معهد له نوع إعاقة يمكن أن يقبلها.

الغريب أن الإقبال كان الأكثر بمعهد الباليه.. استقبل أصعب أنواع الإعاقة، الداون والاوتيزم والشلل الدماغى.. فى العام الأول انضم ٧ أطفال لمعهد الباليه، وارتفع العدد فى العام التالى ليستقبل ٢٣ طالبًا.. ويحصل الطالب على شهادة تمكنه من العمل بها سواء فى تدريب ذوى الاحتياجات الخاصة على الباليه أو يكون مساعد مدرب.

المعهد العالى لفنون الطفل

أحدث المعاهد التى انضمت لأكاديمية الفنون ليصبح عددها ٨ معاهد.. المعهد العالى لفنون الطفل.. وهو فكرة د.فوزى فهمى وقت أن كان رئيسًا للأكاديمية، وأعلن عن بدء تنفيذ البناء عام ١٩٩٠ بقرار جمهورى.. وأعلن فى أغسطس ٢٠١٩ عن قبول أول دفعة فى المعهد.

يضم المعهد أقسامًا للعرائس واللعب اليدوية، وشعبة تصميم العرائس والمناظر والأقنعة، شعبة تحريك العرائس، شعبة اللعب اليدوية والتشكيل الابتكارى.. وقسم الإنتاج للطفل، وقسم الإخراج والوسائط المتعددة (مرحلة الدراسات العليا).. المعهد يعد معلمًا للأطفال فى الموسيقى والرقص والمسرح والسينما والعرائس.

صناعة السينما

صناعة السينما

تنبهت حكومة ثورة ١٩٥٢ مبكرًا إلى أهمية السينما بجانبيها الفنى والاقتصادى.. فأصدرت عام ١٩٥٤ تشريعًا يقضى بدعم صناعتها، وفرضت ضريبة السينما.. غير أن غياب الجهاز المتخصص الواعى بأمور هذا الفن أدى إلى ذوبان تلك الحصيلة فى ميزانية الدولة دون أن تحقق الهدف الذى فرضت من أجله.. بدأ يأخذ الاهتمام شكلًا جديًا وملموسًا بإنشاء «مصلحة الفنون» عام ١٩٥٥ وعُين رئيسًا لها الكاتب يحيى حقى الذى أنشأ فى العام التالى «ندوة الفيلم المختار»، اتخذت من حديقة قصر عابدين مكانًا لعروضها.. وأخذت مصلحة الفنون على عاتقها إنتاج الأفلام القصيرة، سواء كانت ثقافية أو تعليمية أو دعائية، وهى المهمة التى كانت تضطلع بها إدارة السينما التسجيلية والقصيرة.

مؤسسة دعم السينما

اتخذت الدولة بعد ذلك خطوة متقدمة من خلال وزارة الإرشاد القومى عام ١٩٥٧ بإنشاء جهاز خدمات لتكوين نواة لتطوير هذه الصناعة على أساس سليم وأطلقت عليه اسم «مؤسسة دعم السينما».. غير أن هذه المؤسسة لم تبدأ نشاطها الفعلى إلا فى عام ١٩٥٩ بوجود وزارة الثقافة، حين اعتمد لها لأول مرة فى الميزانية مبلغ ٢٤١ ألف و٣٠٠ جنيه لإنتاج الأفلام وتوزيع وتسويق وتقديم جوائز للأفلام الجيدة من القطاع الخاص والمهرجانات الدولية والدعاية.. استغل جانب منه فى بناء معاهد أكاديمية الفنون وشراء أجهزة ومعدات إنتاج ومعمل ألوان.

وكان ثروت عكاشة لجأ إلى تلك المؤسسة، ليقترض مبلغًا يكفى تكاليف بناء معاهد أكاديمية وخروجها إلى الوجود، وهو ما كانت اللوائح تسمح به.. فى العام التالى ١٩٦٠ اعتمد لمؤسسة دعم السينما مبلغ ٣٠٠ ألف جنيه أنفق منها في نفس الأغراض مبلغ ٢٤٢ ألفًا و٦٠٠ جنيه فقط، وفي عام ١٩٦١ انخفض الاعتماد إلى ٢١٤ ألفًا و٣٠٠ جنيه أنفق منها مبلغ ٢٤٢ ألفًا و٦٠٠ جنيهات فى نفس الأغراض.



فيلم الناصر صلاح الدين

ومن هذا المبلغ ساهمت مؤسسة دعم السينما بإقراض شركة «لوتس فيلم» التى تملكها المنتجة آسيا مبلغ ٧٢ ألف جنيه مساهمة فى إنتاج فيلم (الناصر صلاح الدين) الذى أخرجه يوسف شاهين.. و«وا إسلاماه» إنتاج رمسيس نجيب، إخراج أندرو مارتون.. وإن كان تتر الفيلمين يخلو تمامًا من اسم مؤسسة دعم السينما!!

كما أقامت المؤسسة ثلاث مسابقات ذات جوائز مالية للأفلام المصرية.. وشجعت ترجمة الكتب التى تتناول حرفة السينما.. واستضافت عام ١٩٦٢ الدورة الثانية لمهرجان الأفلام الأفريقية والآسيوية بمشاركة ٣٢ دولة، وكان المهرجان الأول أقيم فى طشقند فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٨.

بدا دور المؤسسة فى مراحله الأولى الرعاية والدعم والإقراض والتمويل.. والحقيقة أن قرار إنشائها يعنى تدخل الدولة رسميًا فى صناعة السينما.. فخلال إدارة وزارة الثقافة للمؤسسة بالمرحلة الأولى (١٩٥٩ ـ ١٩٦٢)، وضعت لها أهدافًا محددة، منها رفع المستوى الفني والمهني للسينما بزيادة الاهتمام بالمشتغلين بها، ومنح الجوائز التشجيعية للأعمال الجيدة والمجيدين في الحقل السينمائى، وإيفاد البعثات الطويلة والقصيرة الأجل لدراسة الفن السينمائي في الخارج، وإعطاء الفرصة للعاملين في السينما لتوسيع

نطاق معارفهم عن طريق الاشتراك في مؤتمرات ومهرجانات السينما الدولية وإقامة أسابيع الأفلام العربية والأجنبية في الداخل والخارج، ومنح التسهيلات المالية للعاملين بصناعة السينما بإقراض الإنتاج الهادف، وتمويل الاستوديوهات بالقروض وضمانها لدى هيئات الائتمان، وتشجيع عرض الأفلام المصرية داخل البلاد وخارجها.

فى ضوء هذه الأهداف وضعت الوزارة للمؤسسة خطة متدرجة لإنتاج عدد محدود من الأفلام الروائية والتاريخية تم انتقاؤها بعناية لتتناول بعض الموضوعات الجادة من خلال شركة مصر للتمثيل والسينما.

ينابيع الشمس

كذلك أنتجت عددًا محدودًا من الأفلام التسجيلية اليسيرة التكاليف لتعبر عن قيم المجتمع ولتعرف المواطن ببلده وبتراثها الحضاري، وجاء على رأسها فيلم «ينابيع الشمس» - الذي أشرف على إخراجه المخرج الكندى چون فيني يعاونه مجموعة من الشباب المصرى الواعد، يتناول تاريخ نهر النيل من منبعه إلى مصبه فى إيقاع فنى رائع وأسلوب شاعرى لم يسبق إليه.. وكان الهدف منه التثقيف إلى جانب الدعاية وترويج السياحة .

تطوير استوديو مصر

حرصت الوزارة على عدم دخول المؤسسة في متاهة العمل السينمائى إلا فى حدود مرسومة، بالاكتفاء بضم استوديو مصر ورصد نصف مليون جنيه لتطويره والاهتمام برفع مستوى كفاءته على أساس جودة العمل السينمائى، لا تقوم فقط على الموضوع أو الإخراج أو التمثيل فحسب، ولكن على «التقنية» أيضًا، وهنا يمكن أن يفرض العمل الجيد نفسه بل ويؤثر في المنتجين الآخرين. وبالفعل تم تزويد استوديو مصر بمعدات حديثة للصوت والتصوير ومعامل لتحميض وطبع الأفلام الملونة وغير الملونة.

إنشاء النقابات الفنية

خلال هذه المرحلة [١٩٥٨ ـ ١٩٦٢] أنشأت وزارة الثقافة نقابات للمهن «التمثيلية والسينمائية والموسيقية».. وتكونت «جمعية الفيلم» في عام ١٩٦٠ لعقد الندوات السينمائية الدورية لعرض الأفلام المختارة وتنظيم

المحاضرات عن الفن السينمائي وتكوين مكتبة سينمائية.. وفى عام ١٩٧٢ تم الإشهار الرسمى باسم «جمعية نقاد السينما المصريين».. ووزعت الوزارة لأول مرة خلال أعوام ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١ جوائز مالية للسينما لتشجيع فروع الفن السينمائى من الفكرة إلى السيناريو إلى الحوار إلى الإخراج إلى الأداء والموسيقى والتصوير والتسجيل الصوتي والديكور.

وأنشأت وزارة الثقافة المركز القومى للأفلام التسجيلية ١٩٦٤.. قدم المركز مجموعة رائعة من المخرجين التسجيليين قدموا أفلامًا مهمة منهم هاشم النحاس وعلى الغزولى وصلاح التهامى وخيرى بشارة.

وواكب هذه الفترة النشطة تجاه السينما، تأسيس «المعهد العالي للسينما» في أغسطس ١٩٥٩ الذى فتح آفاقا جديدة لأصحاب المواهب التي كانت تتجه من قبل للدراسات التقليدية بغض النظر عن احتياجات المجتمع وتطوره وما جد من الأساليب التقنية في العالم.. وفي تحرك مواز اختارت الوزارة أفضل الكتب السينمائية العالمية وعهدت إلى المتخصصين بترجمتها، ثم أحالتها إلى مؤسسة النشر التابعة لها لإصدارها.

أضافت الوزارة في عام ١٩٦٢ مبدأ شراء نسخ من أجود الأفلام تشجيعًا للمنتجين على تقديم الأعمال ذات المستوى، بما أسفر عن إقبالهم على موضوعات لم تكن تطرق من قبل، وإلى الارتفاع بمستوى الفيلم المصرى إلى حد كبير، فتبدى مناخ من الاستقرار النسبى يسود قطاع السينما.

وفرضت على دور عرض الدرجة الأولى التي كانت مخصصة أصلاً للفيلم الأجنبي أن تلتزم بعرض عدد مناسب ومعقول من الأفلام المصرية الطويلة كي تتيح فرصة للمنافسة بين الفيلم المصري والفيلم الأجنبي.

تأميم صناعة السينما

ترك ثروت عكاشة وزارة الثقافة عام ١٩٦٢، وهو العام الذى شهد تأميم صناعة السينما في مصر.. رغم أنه لم يكن هناك أى تفكير فى تأميم السينما أو أن تتولى الدولة الإنتاج السينمائى لما كان يعنيه ذلك من الانزلاق في مشاكل لا حصر لها دون إعداد مسبق.

ولعل المسارعة غير المدروسة للسيطرة على السينما بعد ذلك هي التى أدت

إلى اقتحام الدولة ميدان الإنتاج السينمائى دون اهتمام بما يخلفه من آثار.. وكانت ثمة عوامل كثيرة مكنت لهذا التيار من التغلب.. فاندفع يجرف أمامه السينما المصرية إلى مرحلة جديدة هي المرحلة الثانية (١٩٦٣ - ١٩٦٦).

كانت الوزارة قد أعدت من قبل مشروع «قانون التنظيم السينمائي»، غير أنه لم يكن قد صدر حتى سبتمبر ١٩٦٢، بل أهمل شأنه تمامًا بعد ذلك على الرغم من أهميته القصوى وقتذاك، ويعزو د.ثروت عكاشة ذلك إلى أن الاتجاه قد تغير من محاولة الدولة رفع شأن السينما وهي فى أيدى أصحابها من القطاع أساسًا دون تدخل مباشر من الدولة إلا بالمشاركة في الإنتاج أحيانًا أو إنتاج عدد قليل من الأفلام الجديدة.

تغير ذلك الاتجاه رأسًا على عقب إلى ضم السينما كلها إلى الدولة إنتاجا وتوزيعًا وعرضًا، وهي فلسفة مغايرة تمامًا لما كان يراه فى هذا الصدد.

تراجيديا القطاع العام

تنبع أهمية مشروع قانون التنظيم السينمائى من أنه كان يجعل من مؤسسة دعم السينما الجهاز القائم بإنهاض كافة أنواع العمل السينمائى، كما يوضح الشروط الواجب توافرها فى المنشآت السينمائية كالإنتاج والتوزيع والاستوديوهات.. والضمانات اللازمة لحماية الفنانين والفنيين حتى طبقة الكومبارس من الاستغلال وتطبيق العدالة بينهم، وكذا وضع حلول لاستيراد الفيلم وتوزيعه وتسويقه، واستيراد الأجهزة والآلات.. كل ذلك تحت إشراف مؤسسة دعم السينما والوزير المشرف على الثقافة.. بلا حاجة إلى أية صيغة أخرى كالشراء أو نزع الملكية أو التأميم الشكلى.

عبدالناصر يتعجل الإنتاج لتفادى بطالة الفنانين

كان صلاح أبوسيف، الذى تولى قطاع الإنتاج بالمؤسسة فى تلك الفترة (من١٩٦١ وحتى ١٩٦٥)، يضع فى تقديره ستة أشهر كحد أدنى لبدء العمل فى أفلام القطاع الجديدة، لكن الرئيس عبدالناصر أمر بسرعة تحريك العجلة بعد أن تلقى برقيات كثيرة من سينمائيين عانوا من البطالة، بسبب نقل القطاع الخاص نشاطه إلى بيروت. وأمام طوابير العاطلين أمر الدكتور عبدالقادر حاتم، الذى تولى وزارة الثقافة والإعلام عام ١٩٦٢ خلفاً للدكتور ثروت

عكاشة بأن يتم التعاقد وبسرعة مع هؤلاء السينمائيين، للعمل فى أفلام سميت «حرف ب» لا تزيد تكلفة الواحد منها على العشرة آلاف جنيه.

الكلاسيكيات العظيمة.. إنتاج قطاع عام

كانت تجربة القطاع العام مليئة بالأخطاء لكن لم تكن كارثية تمامًا.. فقد أنتجت ومولت أفلامًا سينمائية تعرض قضايا الواقع والتحول الاجتماعى وعبق التاريخ، فأعفت السينمائيين من سيطرة رأس المال على السينما ومن قانون السوق التجارى المفروض عليهم وعلى الجمهور.. ومولت المؤسسة عددًا من الأفلام التى تعد من كلاسيكيات السينما المصرية، مثل: فيلم (القاهرة ٣٠) لصلاح أبو سيف ١٩٦٦ عن رواية لنجيب محفوظ تعبر عن مأساة الصعود فى المجتمع الطبقى.



فيلم القاهرة ٣٠

جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧.. دعاية الدولة قبل الحرب لم تتنبأ أبدًا من الهزيمة.. وبدأت محاسبة النفس.. والتخلص من شخصيات كانت عبئًا على الدولة.. ورفع سقف الحرية للسينما للتعبير عما يدور في نفوسهم ونفوس الناس.. فقدمت أفلام نقد لحكومة الثورة ولشخص الرئيس جمال عبدالناصر، من القطاع العام نفسه.. وكان ثروت عكاشة على رأس وزارة الثقافة.

من هذه الأفلام: (القضية ٦٨) لصلاح أبو سيف أيضًا عام ١٩٦٨ عن

مسرحية للطفى الخولى تدعو إلى إعادة بناء الدولة والمجتمع بعد هزيمة ٦٧.. وفيلم (الأرض) ليوسف شاهين ١٩٧٠ عن رواية لعبد الرحمن الشرقاوى تتناول الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر فى الثلاثينيات.. وفيلم (الحرام) لهنرى بركات ١٩٦٥ عن رواية ليوسف إدريس تعبر عن حياة الفقر والقهر لعمال التراحيل فى الريف.. وفيلم (سيد درويش) لأحمد بدرخان ١٩٦٦.. وفيلم (ثورة اليمن) لعاطف سالم ١٩٦٦.. والجزآن الأول والثانى من ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين) ١٩٦٤ و(قصر الشوق) ١٩٦٧ لحسن الإمام.. وفيلم (الرجل الذى فقد ظله) لكمال الشيخ ١٩٦٨ عن رواية فتحى غانم.. وفيلم (حكاية من بلدنا) لحلمى حليم ١٩٦٩.. ورقى كوميديا فطين عبد الوهاب بأفلام (الزوجة ١٣) ١٩٦٣ و(مراتى مدير عام) ١٩٦٦ و(أرض النفاق) ١٩٦٨..



فيلم المومياء

وأنتج القطاع العام أيضًا أهم ثلاثة أفلام لتوفيق صالح: (المتمردون) ١٩٦٧ عن رواية للكاتب الصحفى صلاح حافظ و(يوميات نائب فى الأرياف) ١٩٦٨عن رواية لتوفيق الحكيم و(السيد البلطى) ١٩٦٩ عن رواية لصالح مرسى.. وفى هذه الأفلام عبر توفيق صالح عن قضايا التمرد

والثورة، والقانون والعدل، وصراع القديم والجديد.

كما أنتج القطاع العام (جفت الأمطار) لسيد عيسى ١٩٦٦ عن رواية لعبد الله الطوخى، وهى تجربة فنية جديدة تتناول ارتباط الفلاح المصرى بأرضه. وشهدت هذه الفترة لأول مرة أفلامًا يصل انتقادها لثورة يوليو إلى حد الهجوم أحيانًا مثل (ميرامار) لكمال الشيخ، و(شىء من الخوف) لحسين كمال.. ومع ذلك لم تصادر هذه الأفلام ولم تمنع من العرض.

كما فتحت المؤسسة المجال أمام عدد من المخرجين الجدد المثقفين ليقدموا من خلالها تجاربهم الأولى مثل حسين كمال «المستحيل» ١٩٦٥ عن رواية لمصطفى محمود، و«البوسطجى» ١٩٦٨ عن رواية ليحيى حقى، و«شىء من الخوف» ١٩٦٩ عن رواية لثروت أباظة، و(الجبل) لخليل شوقى عن رواية لفتحى غانم مستوحاة من تجربة المهندس حسن فتحى فى قرية «القرنة» فى صعيد مصر، و(العنب المر) لفاروق عجرمة و(ثمن الحرية) لنور الدمرداش، و(أرملة وثلاث بنات) لجلال الشرقاوى، و(الجزاء) لعبد الرحمن الخميسى.

كما أن هناك أفلامًا فنية أخرى لا تنتمى إلى الواقعية مثل «مومياء» شادى عبد السلام (١٩٦٩) الذى يعبر عن بحث الإنسان المصرى عن هويته فى القرن التاسع عشر، والذى حقق نجاحًا عالميا لم يسبق له مثيل بالنسبة لأى فيلم مصرى حتى الآن.

إيجابيات وسلبيات تجربة القطاع العام

استمرت تجربة القطاع العام في السينما من ١٩٦٢ وانتهت رسمياً فى منتصف عام ١٩٧١ عندما تقرر تصفية «المؤسسة العامة للسينما» وإنشاء «الهيئة العامة للسينما والمسرح والموسيقى» بدلاً منها.

عرضت خلالها ٣٤٠ فيلم منهم ٤١ فيلما إنتاج القطاع العام مقابل ٢٨٩ فيلم للقطاع الخاص.. اى أن نسبة القطاع العام ٣٣٪ من سوق الإنتاج.. صنعها ٨١ مخرجًا منهم ٦٠ لأفلام القطاع العام و٢١ للقطاع الخاص.. اى بنسبة ٧٤٪ للقطاع العام.. من بين هؤلاء ٤٣ مخرجًا يقدمون أعمالًا لأول مرة منهم ٢٦ مخرجًا للقطاع العام و١٧ مخرجًا للقطاع الخاص.. أى بنسبة

٦٠٪ للقطاع العام للمخرجين الجدد.. بالنسبة للإنتاج المشترك مصرى أجنبى ٦ أفلام كلها من إنتاج القطاع العام أى بنسبة ١٠٠٪

هذه الأرقام تعكس تفوق القطاع العام في صناعة السينما.. لكن في المقابل لجأت الدولة إلى تأميم منشآت سينمائية لاستغلالها لصالحها.. وخلال السنوات العشر لم يحدث أى تطوير أو تحديث للمعدات بالاستديوهات والمعامل ولا دور العرض السينمائى.. بسبب الروتين الحكومى وانعدام الفكر والرغبة للتحديث.. فتخلفت عن مثيلاتها فى دول العالم.

وجاءت السبعينات بصناعة أفلام بأجهزة متهالكة ومتخلفة عما تستخدمها دول تقدمت بصناعة السينما.. مما اثر كثيرا على مسايرة السينما المصرية للسينما العالمية.

ثروت عكاشة يغير نهاية فيلم (جميلة بوحريد)

فيلم (جميلة بوحريد) لم يكن فقط تحفة سينمائية كلاسيكية.. ولكن كان صوت الحرية المكبوته، وطوق نجاة للمناضلة الجزائرية.. وبإنتاجها هذا الفيلم أنقذت ماجدة الصباحى، جميلة بوحريد من حبل المشنقة؟ الفيلم أنتجته عام ١٩٥٨ وقامت ماجدة بتجسيد دور بوحريد.. ونالت عنه كثيرًا من الجوائز كممثلة وكمنتجة.



فيلم جميلة بوحريد

تقول ماجدة: «كنت أريد المشهد الأخير في نهاية الفيلم يضم مجاميع مختلفة للثورة والثوار في العالم كله يتكلمون عن أزمة جميلة التي هي أزمة الجزائر، وكل الأراضي العربية المحتلة، وكل ضحايا الاحتلال في كل بقاع العالم.. لكن د.ثروت عكاشة ـ وكان وزير الثقافة والارشاد في حينها ـ أشار إلى أن يكون مشهد النهاية يضم مجاميع تظهر فيها أفريقيا فقط، ونفذ يوسف شاهين ما أراده عكاشة، وظللت غير راضية عن هذا المشهد.

انتهى تصوير الفيلم، وحضر فتحي الديب واللجنة العليا للجزائر وأحمد بن بيلا ـ الذى أصبح بعد ذلك أول رئيس للجزائر فى عام ١٩٦٢ ـ لمشاهدة الفيلم فى الاستوديو، ووقفوا فى نهايته، وأدى بن بيلا ومن معه التحية العسكرية الجزائرية، وصفقوا بشدة وشكروا ماجدة على تلك الهدية التي وثقت بها جرم الاحتلال الفرنسى.

وخرج الفيلم وعرض في سينما راديو فى عامى ١٩٦٠ و١٩٦١ وهو العام الذى تقرر فيه إعدام جميلة.. وقامت مظاهرات داخل السينما وعلت الهتافات لتحرير الجزائر.. وتحول لفيلم عالمى صنع المظاهرات فى كل بلد عرض فيه.. وكانت فرنسا تحتج فى كل بلد يعرض فيه.. وكتب عنه الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر والكاتبة سيمون دى بوفوار يمتدحانه. «لقد تسبب الفيلم في ضجة عالمية كبرى وضغط على الرأى العام العالمي فتراجعت فرنسا عن إعدام جميلة بوحريد.

عكاشة يعيد فاتن بأمر عبدالناصر

خيم الظلام على استوديوهات السينما بعد نكسة ٦٧، وهاجر الفنانون والفنيون إلى بيروت التي سعت لنقل صناعة السينما إليها، كما حاولت تركيا أن تنفذ إلى المنطقة العربية، لكنهم قدموا إنتاجاً سينمائياً هزيلاً.. باستثناء أفلام فريد شوقى التى لاقت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا في تركيا.

في أعقاب النكسة تواترت أنباء عن سفر الفنانة فاتن حمامة مع المخرج يوسف شاهين إلى لبنان لتصوير فيلم، والاستقرار هناك، ضمن الفنانين الذين تركوا مصر في تلك الفترة للعمل في بيروت لاستئناف نشاطهم الفنى بعد توقف الحركة السينمائية فى القاهرة.. ولم تعد فاتن حمامة.

استاء الرئيس جمال عبد الناصر وأصدر تعليمات لوزير الثقافة ثروت عكاشة بإبلاغ فاتن بضرورة العودة إلى الوطن والإقلاع عن فكرة الهجرة.. والبقاء مع بقية النجوم الكبار أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وفريد الأطرش فى البلاد حتى لا يكون لسفرها صدى سيىء يمكن استغلاله دوليا، وبالفعل استجابت فاتن حمامة لمطلب الرئيس عبد الناصر وعادت إلى مصر، وخلال سنوات قليلة دارت عجلة الإنتاج وواصلت عطاءها الفنى.

فنون المسرح

فنون المسرح

شهد المسرح المصرى ازدهارًا خلال الستينيات.. سايرت فترة تولى ثروت عكاشة وزارة الثقافة.. وهو بطبيعة الحال لم تبدأ من فراغ، وإنما وجدت مواهب مسرحية شابة تتفجر فى الخمسينيات: نعمان عاشور ويوسف إدريس وألفريد فرج وسعدالدين وهبة وصلاح عبدالصبور وعبدالرحمن الشرقاوى وصلاح جاهين ولطفى الخولى ورشاد رشدى وشوقى عبدالحكيم.. فتبنتها مسارح الدولة حتى نضجت بالممارسة العملية وانطلقت من عقالها، ثم جاء من بعد ذلك محمود دياب وعلى سالم ونجيب سرور.. وكان لتوفيق الحكيم كل عام أكثر من عمل على مسارح الدولة.. بينما كانت المسارح الأخرى غالبًا مشغولة دائمًا بتسلية الناس بسفاسف الفن.. كذلك انشأت وزارة الثقافة مسرح الجيب، ومن خلاله تعرف المثقفون المصريون بالمسرح الأوروبى التجريبى والطليعى كأعمال بيكيت ويونسكو ودورنمات وبيترفايس وجولدونى.. بمثل ما قام به المسرح القومى بعرض كلاسيكيات إسخيلوس وسوفوكليس وأرسطوفانيس وشكسبير وموليير وإبسن وتشيكوف وبرناردشو وسارتر وبريخت وأرثر ميلر ولوركا..

مؤسسة فنون المسرح والموسيقى

كانت نقطة البدء هى إنشاء مؤسسة عامة لفنون المسرح والموسيقى، تضم الكفاءات.. وكان الهدف المحدد لها هو إتاحة المناخ الموائم لأكبر انطلاق ممكن لطاقات الإبداع المسرحى والموسيقى والغنائى القومى.. ولإدخال صور التعبير التى تفوق علينا فيها غيرنا كالرقص الجماعى والباليه والغناء الأوبرالى والموسيقى السيمفونية وفن العرائس.. كانت النظرة فى ذلك الوقت.. أن كل شكل جديد من أشكال التعبير يتاح للثقافة القومية يحفزها على مزيد من الإبداع والإفصاح عن نفسها .

القومى وحركة مسرحية قوية

جاء «المسرح القومى» على رأس اهتمامات المؤسسة.. وكان قد نال فى عهد فتحى رضوان وزير الإرشاد القومى عناية مستفيضة، قبل وجود وزارة للثقافة.. وبعد نشأة الوزارة واختيار أول وزير للثقافة ثروت عكاشة.. اهتم

بالمسرح القومى ذات التاريخ العريق، بعراقة الأوبرا الخديوية بتأسيسهما فى وقت واحد للاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩.. ومن وقتها والمسرح القومى أحد العلامات الثقافية والفنية المصرية البارزة.

وقد دعمه د.ثروت عكاشة بعناصر جديدة ووضع له نظمًا ثابتة تطمئن أعضاءه على أرزاقهم.. ورفع مرتبات العاملين.. كما زوده بنصوص قيمة من الأدب المصرى والعالمى التى تكون له رصيدًا «ريرتوارا» مناسبًا.. وإتاحة الفرصة للكتاب بعرض مؤلفاتهم المسرحية ومكافآتهم عنها مكافأة مجزية.. فلمع عدد كبير من المؤلفين المسرحيين وأقبلت الطلائع الشابة لاقتحام هذا الميدان وإمتاع الجماهير بنصوص قوية محكمة تعالج العديد من مشكلاتنا الاجتماعية والقومية .

من بين هذه المسرحيات التى قدمت فى الفترة من سنة ١٩٥٩ إلى نهاية ١٩٦٢ ـ وهى فترة الولاية الأولى لثروت عكاشة لوزارة الثقافة ـ «زقاق المدق» لنجيب محفوظ و«الناس اللى فوق» لنعمان عاشور، و«الفراشة» لرشاد رشدى، و«مأساة جميلة» لعبدالرحمن الشرقاوى، و«القضية» للطفى الخولى، و«السلطان الحائر» لتوفيق الحكيم، و«ملك القطن» ليوسف إدريس، و«فى بيتنا رجل» لإحسان عبدالقدوس، و«أفراح الأنجال» لأحمد لطفى، و«المحروسة» لسعدالدين وهبة، و«حبل الغسيل» لعلى أحمد باكثير، و«أنتجونا» لسوفوكليس، و«كانديدا»، و«بيوت الأرامل» لبرنارد شو.



الناس اللى فوق والناس اللى تحت

كان دعم ثروت عكاشة للمسرح القومى مهما حيث كان الفنانون يهربون منه الى السينما كما فعل فريد شوقى وشكرى سرحان بعد أن قضيا فيه ٣ سنوات فقط.. حيث كانت الرواتب ضعيفة.. لكن عقب هزيمة ٦٧ وهجرة الفنانين إلى بيروت.. رفض شكرى سرحان أن يتخلى عن مكانه القديم المسرح القومى فى تلك الفترة العصيبة.. وقدم المسرحية السياسية الوطنية (آه يا ليل يا قمر) للمخرج جلال الشرقاوى، مقابل ٤٠٠ جنيه فقط.. وقدم بعدها مسرحية (أزمة شرف)، والمسرحية الدينية (رجال الله) وجسد فيها شخصية السيد البدوى.

المسرح الحر

حدث نمو وتطور للمسرح بما يشبه الثورة.. استمدتها أصلاً من ثورة ٥٢ ذاتها، ويشير إلى ذلك رشاد رشدى بقوله: نحن لا ننكر أنه كان للمسرح وجود قبل الثورة، ولكنه كان وجوداً مبعثراً يرتبط بقيام فرقة مسرحية او أخرى.. ويكفى ان توفيق الحكيم ظل يكتب للمسرح وحده حوالى ربع قرن، دون أن يقوم أى كاتب آخر يشبهه أو يختلف عنه. باستثناء الجهود الفردية لعزيز أباظة فى المسرح الشعرى، ولمحمود تيمور فى المسرح الواقعى، عندما جاءت الثورة. التى خرجت من رحمها أول فرقة مسرحية باسم «المسرح الحر» فى سبتمبر ١٩٥٢.

لم يقف التأميم فى بداية ستينات القرن الماضى عند الجانب الاقتصادى.. فقد امتد إلى الثقافة، وبالنسبة للمسرح، لم تكن جميع تفاصيل الصورة المسرحية وردية.. بل شهدت مراحل ازدهار وسقوط.. مما استدعى ظهور المبادرات وبعض الدعوات الجادة والشجاعة لتوجيه وتصحيح مسار الثورة، ومواجهة ديكتاتورية وقهر مراكز القوى التى شكلت خطراً جسيما فى تلك الفترة.. وحاولت منع تقديم عروض، ونجحت أحيانًا فى المنع.. من بينها على سبيل المثال: «سبع سواقى والأستاذ» لسعدالدين وهبة، «المخططين» ليوسف أدريس، «انت اللى قتلت الوحش» لعلى سالم.. غير أنه ومع هذه النهضة فى الجانب الثقافى بقيت مسألة حرية الإبداع والعلاقة بين المثقف والسلطة أمراً مثيراً للجدل.

تغير النظرة للفن والفنانين

إذا أمعنا النظر فى التدرج الفنى من أدنى إلى أعلى.. وجدنا أن الواجب الأول لوزارة الثقافة هو أن تحتضن من الفنون أعلاها وأسماها لا أحطها وأدناها.

اجتاز مجتمعنا فترة ركود طويل امتدت قروناً قبل النهضة الحديثة.. اتسمت معه كثير من ألوان التعبير الفنى بالجمود والتكرار والتقليد فسادتها الغلظة والضحالة.. وجنح بها إلى تملق الغرائز وتنمية الشعور بالأنانية الفردية مما دفع بالمجتمع إلى النظر إلى الفنون على أنها أدوات للترفيه والتسلية.. وإلى أهل الفن بكثير من الريبة أو الازدراء.. والشواهد على ذلك باقية ولا تزال رواسبها قائمة فى الحكم على ممثلى الفن القديم بأنهم كما كانوا يلقبون «مشخصاتية» وعلى المغنيين والراقصات بأنهم غوازى وعوالم.. وكذلك الشعراء والأدباء لم يسلموا من هذه النظرة التى فيها انتقاص.

ومع النهضة الحديثة أخذت هذه النظرة تتغير شيئاً فشيئا.. فإذا نحن نشاهد حشدًا من الفنانين فيهم من بلغ الغاية فى فنه وأصبح موضع التقدير من الجميع.. وتوارت الراقصة التى كانت تستثير الغرائز برقصات البطن.. ورأينا الراقصة كأحد عناصر الفنون الشعبية، وراقصة الباليه التى تقدم الرقص الشاعرى والتعبير الحالم.. وحل مكان الغناء الرتيب.. الغناء الأوبرالى وإنشاء الكورال الجماعى.. ومكان «المشخصاتى» الذى كان مثار السخرية، الممثل الدرامى المؤمن برسالته الفنية الرفيعة.. والمداح، والشاعر المبدع والأديب الناصع العبارة.

زيادة عدد المسارح ودعم الفرق الخاصة

أولت وزارة ثقافة ثروت عكاشة العناية بمشكلة نقص عدد المسارح التى تكفل توفير أكبر عدد من مقاعد المتفرجين.. وفى نفس الوقت إتاحة الفرصة لكافة المواهب أن تعتلى خشبة المسرح وتقدم الصيغ الفنية التى تبدعها.



سيدتى الجميلة (بروفة)

فشهد عام ١٩٥٩ إنشاء مسارح جديدة وتحويل بعض دور السينما إلى مسارح.. واستطاعت فى وقت وجيز.. وبأقل التكاليف أن تصل بعدد مسارح القاهرة من مسرحين إلى تسعة مسارح.. وبعد أن كان عدد المقاعد فى القاهرة مجتمعة ألفا وخمسمائة مقعد أصبح قرابة تسعة آلاف مقعد.

وقدمت وزارة الثقافة لفرق القطاع الخاص الجادة مثل «المسرح الحر» وغيره معونات تشجيعية مختلفة، بمنحها قدرا من المال تستعين به أو تأجير مسارحها لهم نظير مبالغ رمزية .

كان د.ثروت عكاشة حريصًا على مشاهدة عروض المسرح الخاص وتشجيعه.. فعندما شاهد عرض مسرحية (سيدتى الجميلة) للمخرج حسن عبدالسلام، بطولة فؤاد المهندس وشويكار.. نالت اعجابه وأرسل باقة ورد لصاحب فرقة المتحدين سمير خفاجى.. وعندما أرادت الفرقة عرضها على مسرح الدولة سيد درويش بالاسكندرية، أزال كل العقبات المادية تشجيعًا وتقديرًا للمسرحية وفنانيها.

العصر الذهبى للمسرح

يرى المخرج المسرحى الكبير جلال الشرقاوى أن أفضل فترة لفن المسرح هى فى عهد عبدالناصر ووزير الثقافة د.ثروت عكاشة.. على الرغم من أنه ضد الحُكم الشمولى، لكن الستينيات، هى العصر الذهبى للمسرح المصرى..

فكانت هناك بعثات لدول أوروبا.. وجاءت الأعوام من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣ ليظهر مؤلفون مسرحيون مصريون عظماء لم يسمع عنهم أحد.. ولكن كانت لهم نشاطات فى كتابة الرواية، وبالطبع كان أبوالكل توفيق الحكيم آنذاك، ونعمان عاشور، ورشاد رشدى، ولطفى الخولى ويوسف إدريس، ومحمود دياب، وميخائيل رومان، ونجيب سرور، وآخرين.

وعند افتتاح التليفزيون ١٩٦٠، تم تكوين ١٠ فرق مسرحية للتليفزيون، حتى يملأ مساحة البث.. وأسند د.عبد القادر حاتم وزير الإعلام، هذا المشروع العظيم للسيد بدير، فتم تقسيمهم بواقع ثلاثة «مسرح عالمى»، وثلاثة «مسرح حديث»، وثلاثة «كوميدى»، ومسرح واحد أطلق عليه «الحكيم» على اسم توفيق الحكيم ليكون من أجل «الأنفع والأرفع»، وكل فرقة منهم تقوم بإنتاج ٨ أعمال مسرحية فى السنة الواحدة بواقع ٨٠ عرضًا مسرحيًا.

قبل هذه الفترة كان الجمهور عدده ٤٤ ألف متفرج، وبعد هذه الفترة الخاصة بمسارح التليفزيون ارتفع الرقم إلى ٤٠٠ ألف متفرج، أى عشرة أضعاف، ويرى جلال الشرقاوى أن إنشاء مسارح التليفزيون مع عودة المخرجين المبعوثين من الخارج ومع ظهور المؤلفين العظماء ظهرت هذه النهضة العظيمة.. فبعد ٦٧ النظام خلق متنفسًا للناس، واتسعت مساحة الحرية نوعًا ما.. لذا كان عصر السيتينيات هو أعظم فترات المسرح المصرى حتى الآن.

مسرح العرائس

جاء فن العرائس دعمًا لإحياء فن الأراجوز أو «القرة قوز» وهى كلمة من أصل تركى تعنى العين السوداء.. لسوداوية نظرتها للحياة ونقدها الساخر.. وهو على وجه الدقة عبارة عن دمية قفاز.. وفن شعبى كان قد انكمش.. ولكى يحظى بإقبال الصغار والكبار على السواء.. استقدمت وزارة الارشاد خبيرتين رومانيتين وصلتا فى شهر سبتمبر ١٩٥٨.. وبدأتا تدريب الأفراد المختارين لإنشاء فرقة «مسرح العرائس» التى ما لبثت أن تزودت بعدد من الفنانين التشكيليين المصريين وبنصوص عربية كلف بها فريق من الأدباء.

إلى أن ظهر مع إنشاء وزارة الثقافة مسرحية «الشاطر حسن» أول عرض لمسرح القاهرة للعرائس عرض فى غرفة بدار الأوبرا فى التاسع من شهر مارس ١٩٥٩ تأليف صلاح جاهين وصمم العرائس والديكور ناجى شاكر إخراج صلاح السقا..

عبدالناصر وملك المغرب يشاهدان «الليلة الكبيرة»

(الليلة الكبيرة) تأليف صلاح جاهين واخراج صلاح السقا والحان سيد مكاوى وعرائس ناجى شاكر.. كانت مسرحية تجذب الكبار والصغار معا، لحبكتها الفنية الرائعة وشخوصها، التى تعكس وتحاكى الشخصيات الحقيقية فى المجتمع المصرى.



الليلة الكبيرة

فوجئ الجمهور بدخول الرئيس عبدالناصر بصحبة ضيفه الملك محمد الخامس ملك المغرب فى ٣ مارس ١٩٦٠ بمسرح العرائس المؤقت فى أرض

المعارض..

بعدها طلب الرئيس عبدالناصر من د.ثروت عكاشة بناء المبنى الحالى لمسرح العرائس بحديقة الأزبكية وكلفته الدولة حينها أكثر من مائة ألف جنيه.

واصل مسرح العرائس الاستفادة من الخبرة العالمية للاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والصين.. كما استفاد من الزيارات المتبادلة مع أشهر المسارح المتخصصة فى أنحاء العالم حتى فاز فى عام ١٩٦٠ بالجائزة الثانية فى مهرجان بوخارست العالمى لفن العرائس.. وبدأت وزارة الثقافة فى عام ١٩٦١ تشييد مبنى لمسرح العرائس بعد إجراء مسابقة لتصميمه بين المهندسين المصريين .

فن الباليه

فن الباليه

كان د.ثروت عكاشة جريئًا باهتمامه بفن الباليه، أحد أرقى الفنون. وجعله أحد أعمدة الفن السبعة بأكاديمية الفنون التى أسسها عام ١٩٥٩.. أثمر معهد الباليه بعد مضى ٧ سنوات أول فرقة للباليه فى مصر.. وخلال بضعة سنوات أخرى بدأ هذا الفن وكأن مصر إحدى الدول التى لها باع طويل فيه بفضل خبراء التدريس ومهارة الفنانين المصريين.. لتحلق فراشات هذا الفن الرفيع فى سماء مصر والعالم.

المرة الأولى وسام الجمهورية لراقصات

أنشئت فرقة الباليه عام ١٩٦٦، ضمت ماجدة صالح ومايا سليم، وعلية عبد الرازق، وديانا حقاق، وودود فيظي، الدارسات بالبولشوى بموسكو.. كن نواة الفرقة الوليدة مع عبدالمنعم كامل الشهير بـ(مايك) ورضا شتا.. قدمت أول عرض فى ٤ ديسمبر ٦٦ لباليه «نافورة بختشى سراى» للشاعر ألكسندر بوشكين، تصميم وإخراج الروسى ليونيد لافروفسكى، يحكى قصة حب مأساوية.



مع عبدالناصر وزوجته يشاهدون الباليه

وشهد العرض فى اليوم التالى للافتتاح الرئيس جمال عبدالناصر وزوجته بدعوة من ثروت عكاشة.. انبهر بما شاهده وأثنى على أداء الفنانين.. وأهدى أبطال العرض، الباليرينات الخمس الدارسات بالبولشوى وسام الاستحقاق: ماجدة صالح ومايا سليم وعلية عبدالرازق وديانا حقاق وودود فيظى. وهى المرة الأولى بتاريخ مصر يكرم راقصين من قبل الدولة فى مجتمع ينظر لمهنة الرقص باحتقار.

أصبح راقصو الباليه بين ليلة وضحاها رموزاً للتفوق والتميّز والاحترام.. وعندما تقرر تقديم عروض فرقة الباليه بالصعيد (أسوان)، كانت مجازفة خاصة وان هذا الفن الجديد الوافد إلى مصر هو فى أوروبا يكاد يكون قاصرًا على صفوة المجتمع.. والاعتماد على الأداء الجسدى فى التعبير للراقصات والراقصين.. لكن جاء إصرار عكاشة على العرض بالصعيد، تماشيًا مع سياسته أن الفنون والاستمتاع بها هى حق لكل أطياف وطبقات الشعب.. والانفتاح على ثقافات وفنون جديدة.

أمتلأ المسرح لكن لم يكن بين الجمهور أى امرأة! امتلأ بالرجال فقط! بزيهم المميز «الجلاليب والعمائم البيضاء»، كانوا فى حالة ترقب وحذر قبل المشاهدة.. ومع إسدال الستار اهتزت جدران صالة المسرح بالتصفيق.. لقى العرض والفنانون حفاوة شديدة..

وتحكى الباليرينا ماجدة صالح: عندما عرض الباليه فى أسوان تفاجأت فى الكواليس برجل بسيط يرتدى جلبابًا.. نظر إليها.. وقال لها: «يا سلام يا ست أما دى حاجة جميلة»، ووقتها عرفت أن إحساس العرض وصل للراجل البسيط.. وعند مغادرة فرقة الباليه أسوان، أوصلوهم أهل أسوان إلى محطة القطار بمظاهرة حب.

تصريح من بوليس الآداب

كانت الصدمة، عند اختيار ماجدة صالح ومايا سليم وثالثهما رضا شتا بمسابقة دولية بالاتحاد السوفيتى (روسيا)، طلب منهما موظف الجوازات تصريحًا من بوليس الآداب لأنهما راقصات!! وهما اللتان تسلمتا وسامًا من رئيس الجمهورية!!

تحكى الباليرينا الشهيرة د.ماجدة صالح انها اشتكت لوالدها د.أحمد عبدالغفار صالح الذى كان يشغل منصب نائب رئيس الجامعة الأمريكية.. ثار وغضب وقام بتمزيق الباسبور. واستخرجت باسبورا بانها طالبة جامعية، حيث كانت تدرس بكلية آداب عين شمس بنفس وقت دراستها الباليه بأكاديمية الفنون.. وكانت الأولى بامتياز بكلية الآداب ومعهد الباليه.

حريق الأوبرا الخديوية

تأثرت عروض فرقة باليه القاهرة عقب حريق الأوبرا الخديوية عام ١٩٧١.. والتى كانت تعد بيتًا لهم شهدت نمو الفرقة وتألقها.. وكان قد مر عام واحد فقط على رحيل جمال عبدالناصر، وتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية.

كنا ننتظر أن تقوم الدولة بتشييد مبنى الأوبر وإعادتها كما كانت، ودعمها بالتقنيات الحديثة، كما يحدث فى الدول التى تعرضت أهم مبانيها لكوارث مماثلة.. مثل كاتدرائية نوتردام فى باريس.

لكن للأسف أقامت الدولة جراج سيارات مكان الأوبرا.. كان ذلك مؤشرًا مخيفًا لتراجع الفنون والذوق الرفيع.

تجدد الأمل بعد افتتاح مبنى أوبرا القاهرة الجديد بأرض الجزيرة.. وقدمت مواسم منتظمة للكلاسيكيات العالمية.. وشاهدنا أول رئيس للأوبرا تم اختيارها من فنانى الباليه، هى الباليرينا ماجدة صالح.. وأيضًا كان بين من تولوا رئاسة أوبرا القاهرة راقص الباليه عبدالمنعم كامل.



الأوبرا الخديوية تحفة معمارية احترقت وأقاموا مكانها جراجًا للسيارات

الموسيقى والغناء

الموسيقى والغناء

كان ثروت عكاشة عاشقًا للموسيقى وفنونها.. خاصة الأوركسترالية والأوبرالية.. وعرف عنه ولعه بمؤلفات الموسيقار فاجنر.. وكان أول معهد الكونسرفتوار أول المعاهد التى أنشأها بأكاديمية الفنون.

«أوركسترا القاهرة السيمفونى» ولد فى الإذاعة

كانت إذاعة القاهرة أنشأت عام ١٩٥٦ أوركسترا.. لكن عانى كثيرًا بسبب ضعف الإمكانات المالية والإدارية التى تضمن استقرار «الأوركسترا» جهاز له دور ثقافى رئيسى فى المجتمع.. إذ كانت الميزانية تقوم على اتفاق ثلاثى بين دار الإذاعة ومصلحة الفنون ومصلحة السياحة وقتذاك.. يتحمل كل منها حصة مالية سنوية.. وسرعان ما تخلت بعض هذه الأطراف عن الوفاء بحصتها مما ربط بين استمرار وجود الأوركسترا ومدى استجابة جهات لا ترى دائمًا علاقة مباشرة بين رسالتها وعزف الموسيقى.

أدى ذلك إلى أن تضاؤل الارتباط الموسمى بين العازف والأوركسترا.. ولم تحقق الإذاعة نفسها للأوركسترا الجو الملائم لانتظام نشاطه ونموه.. مما دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب إلى التدخل.. فأوصى فى عام ١٩٥٧ بنقل تبعية الأوركسترا إلى دار الأوبرا وهى الموقع التقليدى للموسيقى الكلاسيكية.

واحتل أوركسترا الإذاعة مكانه بين أجهزة وزارة الثقافة والإرشاد القومى مع بداية عام ١٩٥٩ تحت اسم «أوركسترا القاهرة السيمفونى».. حيث صدر قرار مجلس الوزراء بنقل تبعيته إلى وزارة الثقافة وتحديد أهدافه.. ثم رصدت له للمرة الأولى من ميزانية الدولة عام ١٩٥٩ الاعتمادات المخصصة له.. وبذلك تهيأ لنشاطه أن يمتد إلى كل المجتمع المصرى، بدلًا من أن يقتصر عمله على تنفيذ القليل من الأعمال الموسيقية المرتبطة بالإذاعة.

وما لبثت الوزارة أن أوفدت نفرًا من أعضاء الأوركسترا المصريين فى منح خارجية لتجويد العزف وقيادة الأوركسترا.. ورفعت عدد العازفين إلى ثمانين عازفًا.. كما اشترك معه للمرة الأولى عنصر الغناء الجماعى [الكورال].. وارتفع عدد رواد الحفلات السيمفونية من ستة آلاف شخص عام ١٩٥٩

إلى الضعف تقريبا عام ١٩٦١..

جذب الأوركسترا المؤلفين الموسيقيين المصريين المعاصرين.. ولم يكن قد سبق للأوركسترا أن قدم سوى أعمال مؤلف واحد من القدامى «أبوبكر خيرت».. فعزف الأوركسترا من مؤلفات يوسف جريس وعزيز الشوان وحسين رشيد وجمال عبدالرحيم ويوسف شوقى ورفعت جرانة وغيرهم.

عبدالناصر يحضر حفل سيمفونى

عندما كان د.عكاشة سفيرًا لمصر في روما عام ١٩٥٨ حرص على لقاء المعمارى والمؤلف الموسيقى أبوبكر خيرت لتعزف مؤلفاته لضيوف السفارة، إيطاليين ودبلوماسيين، ليستمعوا لموسيقى كلاسيكية مصرية.. وأشادت إحدى دور الخبرة الموسيقية الإيطالية بموسيقاه.. وبعد تولى ثروت عكاشة وزارة الثقافة فى نفس العام عهد إلى أوركسترا القاهرة السيمفوني بعزف أعمال خيرت كاملة للجمهور.. فى حفل دعى إليه رئيس الجمهورية.. وكانت المرة الأولى التي يحضر فيها رئيس الدولة حفلاً سيمفونيًا.. ومع انتهاء الحفل قلد جمال عبدالناصر وسام الاستحقاق لأبوبكر خيرت.

وكان د.عكاشة اتفق مع إحدى الشركات اليوغسلافية لتسجيل أعمال أبوبكر خيرت على أسطوانات كي تكون في المتناول بأسعار زهيدة.. وسجلت جميع هذه المؤلفات بعزف أوركسترا بلجراد الفيلهارمونى وبقيادة المايسترو چيكا زدرا فكوفتش

الموسيقى الكلاسيكية لعامة الناس

من أبرز ما يذكر عن نشاط الأوركسترا خلال تلك الفترة خروجه إلى الجماهير.. بدلاً من قصر تقديم الحفلات على دار الأوبرا وحدها التى كان من النادر أن تمتلئ بالرواد على قلة عدد مقاعدها.. انتقل الأوركسترا إلى دار سينما قصر النيل التى كانت تضطر في بعض الحفلات إلى إغلاق شباك التذاكر أمام الرواد قبل موعد الحفل بعد أن ازدحمت بالمشاهدين.. كما خرج الأوركسترا للمرة الأولى لتقديم حفلاته خارج الوطن، إلى بيروت.

ومن نشاط أوركسترا القاهرة السيمفونى خلال تلك المرحلة، حفلاته بقيادة آرام خاتشاتوريان بأعمال من تأليفه.. وأقبل الجمهور على حفله المقام

بسينما قصر النيل وبلغ من الزحام ان افترشوا الأرض بصورة لم تحدث من قبل فى الحفلات الموسيقية..

توسع الأوركسترا ليبلغ عدد عازفيه مائة وعشرين عازفًا بحيث يمكن توزيعهم إلى شعبتين.. وأولى صالح عبدون مدير دار الأوبرا الخديوية اهتمامًا بالأوركسترا السيمفونى مما كان له أكبر الأثر فى تطويره.

التأثير والتأثر

كان ثروت عكاشة يرى الانفتاح على فنون الغرب الموسيقية.. تذوقها واستلهامها.. شيئًا مهماً.. فقبل ان نأخذ من موسيقاهم.. أخذوا من موسيقانا.. والشعوب عامة لم تجمد بتراثها وإلا وقفت عجلة الحياة.

أخذت أوروبا عن العرب أيام كان الفن الموسيقى أعلى مرتبة من فن الموسيقى الغربى.. وتعود الكرة فيبدأ الشرق يأخذ عن الغرب حين بلغ فى الفن الموسيقى شأنا ملحوظًا فى آلاته الموسيقية وعلوم التأليف الموسيقى.. مع الحرص ألا تطغى الموسيقى الأوروبية بكلياتها على الموسيقى العربية التراثية التي كتب لها البقاء.. والتى تتجلى فى الموشحات والسماعيات والبشارف وما إليها من قوالب رصينة.

وعلى هذا النحو مزج موسيقيون عرب بين الفولكلور العربى وعلم الموسيقى الغربى.. وخرجوا علينا بتجربة جديدة يستسيغها الذوقان معا، الشرقى والغربى.

فنرى الموسيقى الإيطالى پوتشينى يؤلف أوبرا «مدام بتر فلاى» مستوحيًا ملامح موسيقية يابانية.. ونرى بورودين الروسى يستوحي ألحان أواسط آسيا في أوبراه «الأمير إيجور».. ونرى رمسكى كورساكوف الروسى يستوحي ألحانًا عربية في «متتابعة شهرزاد».



الأخوان رحبانى وفيروز بوزارة الثقافة

كما نرى كامى سان صانص الفرنسى يستوحى فى الحركة الثانية من كونشيرتو البيانو الخامس ألحانا تمتد جذورها إلى صعيد مصر، ويؤكد هذا الرأى ما نزال نسمعه إلى اليوم من ألحان مماثلة تجرى لدى أهل الصعيد والنوبة.. فقد كانت لسان صانص رحلة إلى صعيد مصر، يقضى وقته خلالها فى «ذهبية» على النيل.. وكان يستمع إلى ما يدور حوله من ألحان ملأ صداها أذنيه ووجدانه.. فكانت منها هذه الجمل الموسيقية بمؤلفه.. وهو ما يؤيد أن ألحاننا العربية لها نصيبها هى الأخرى فى الموسيقى العالمية.

فرق للموسيقى العربية والأرملة الطروب

أفرز المعهد العالى للموسيقى العربية فرقًا تحافظ على تراث الموسيقى، وتغذية الفنون الموسيقية بالعناصر المؤهلة للعزف والغناء. كانت الفرق الموسيقية على مستوى عال ممثلة في: فرقة أم كلثوم للموسيقى العربية، وفرقة الإنشاد الدينى، وفرقة سداسى الموسيقى العربية .

انتعشت روح المسرح الغنائى.. برعاية الأديب يحيى حقى، فى عهد فتحي رضوان وزير الإرشاد القومى.. وقدم المسرحية الغنائية «يا ليل يا عين» سنة ١٩٥٦، بطولة نعيمة عاكف وشهرزاد ومحمود رضا ومحمود شكوكو، بالأشتراك مع مجموعة المنشدين.. تأليف علي احمد باكثير وزكريا الحجاوى،

ألحان احمد صدقى وعبد الحليم نويره وإبراهيم حجاج وصمم الرقصات محمود رضا ونفيسه الغمراوى، إخراج زكى طليمات..

وبوزارة ثروت عكاشة قدمت إلى جانب الأعمال القومية الهامة لسيد درويش وزكريا أحمد، عروضًا عالمية شهيرة.. بدأت بأوبريت «الأرملة الطروب» لفرانز ليهار وقام الشاعر عبدالرحمن الخميسي بتعريبها وأخرجها المخرج النمساوى نيزنر، بطولة رتيبة الحفنى وأميرة كامل ويوسف عزت.

ودعى عكاشة فى ليلة الافتتاح كبار أساتذة الفن والغناء والموسيقى والمسرح والأدب والفكر والصحافة.. واحتجزت مقصورة الشرف لسيدة الغناء العربي أم كلثوم بعد أن أوصى د.ثروت عكاشة بنفسه بتوشيتها بأجمل الورود والأزهار.. ويقول أنه ظل طوال العرض موزع القلب والعين بين أضواء المسرح والتماعات عيون المشاهدين.. ولم تكد تنتهى الأوبريت حتى توجه إلى مقصورة أم كلثوم.. ليستمع إلى رأيها فوجد منها حماسة متدفقة وإعجابًا عميقًا بأن توجد فى مصر تلك الطاقات الهائلة من الموسيقيين وأفراد الكورال والمغنين والمغنيات المنفردين والممثلين الذين يؤدون عملاً دوليا له قيمته العالمية بمثل هذه المقدرة والجدارة والتفوق.. وصارحته أم كلثوم بأنها باتت مؤمنة أن هذه الفرقة تستطيع أن تخرج للعالم وتبهره حين يتوافر لها أوبريت مصرى الموضوع والموسيقى .

ولمس نفس الحماس والإعجاب من د.محمد مندور والإذاعى سعد لبيب.. واعترف الكاتب أحمد بهاء الدين بأنه كان لا يسيغ فن الأوبرا والأوبريت لأنه لا يفهم لغة أغنياته فإذا بالأرملة الطروب بنصها العربى الشاعرى تفتح له عالم الأوبرا السحرى وتتيح له الألفة معه، وتتيحها في نفس الوقت لآلاف من المصريين، كما تحفز المؤلفين المصريين على أن يبدعوا في هذا المجال الذي يتهيبه الكثيرون.

وهكذا أثبتت تجربة «الأرملة الطروب» حاجتنا إلى إحياء فن الأوبريت الذى وضع سيد درويش لبناته الأولى وإلى تشجيع المؤلفين ليقدموا للجمهور متعة فنية ترقى بوجدانهم وتسري عنهم وتشحذ هممهم للإبداع والإنتاج .

استقبل الجمهور بكافة طبقاته سريعا الموسيقى العالمية.. فمهما اختلفت

القواعد، ليست هناك موسيقى غربية وموسيقى شرقية.. وإنما هناك موسيقى إنسانية وموسيقى محلية.. وموسيقى رفيعة وأخرى خفيفة.

ومشت الوزارة على سياستها وهو حماية التراث الإنسانى الرفيع سواء أنشئ وفقا للقواعد الغربية أو أنشئ وفقا للقواعد الشرقية.. التراث الإنسانى فى الآداب والفنون وفي الثقافة بوجه عام.. ومن هنا كان الاهتمام برعاية الموسيقى الإنسانية التى تعد نقطة التقاء كل الشعوب المتمدنة.

فنون شعبية

فنون شعبية

الفنون الشعبية أو الرقص الفولكلورى.. هى لوحات فنية مستوحاة من التراث.. تقاليد وعادات وحكاوى وأغانى ورقص شعبى واحتفالات وأعياد دينية وأساطير وحرف تقليدية.. كان يتميز بها المصريون زمان بالأقاليم والقرى والنجوع.. القليل منها باق والكثير أندثر بسبب التطور الحضارى.. من هنا تأتى أهمية فن الفولكلور وفرق الفنون الشعبية برقصاتها المستوحاة من هذا التراث حفاظًا عليه ولتتعرف عليه الأجيال المتعاقبة.. أدرك ذلك الشقيقان محمود رضا وعلى رضا.

تأميم فرقة رضا

أسس محمود رضا فرقته الخاصة للفنون الشعبية مع شقيقه المؤلف الموسيقى على رضا، والراقصة فريدة فهمى.. قدمت الفرقة أول عروضها على مسرح الأزبكية فى أغسطس عام ١٩٥٩، وبلغ عدد أعضائها عند التأسيس ١٣ راقصة و١٣ راقصًا و١٣ عازفًا، أغلبهم من خريجى الجامعات.. وطافت بلدان العالم ولاقت نجاحًا كبيرًا.

وبعدها بعام أنشأت الدولة ممثلة فى وزيرها ثروت عكاشة الفرقة القومية للفنون الشعبية.. كان لكل من فرقة رضا وفرقة الفنون الشعبية طابعها الخاص ولا تداخل بينهما.. فعلى حين كانت «النجومية» في فرقة رضا لفردين فحسب هما محمود رضا وفريدة فهمى.. كانت «النجومية» في الفرقة القومية للفنون الشعبية للفرقة جمعاء.. وهذا وذاك لهما مسوغاتهما في الميدان الفنى..



الفنان محمود رضا خلال التدريبات فى الستينات

أشاد د.ثروت عكاشة بفرقة رضا التى نشأت معتمدة على جهودها الذاتية شاقة طريقها بنجاح ملحوظ على يدى رائد فن الرقص الشعبى فى مصر ومصمم الرقصات الفنان محمود رضا.. وسرعان ما لبث ان تم تأميم فرقة رضا لتكون تابعة للدولة.. ففى عام ١٩٦١ صدر قرار جمهورى بتأميم الفرقة ضمن قرارات التأميم التي صدرت آنذاك، وأصبحت الفرقة تابعة للدولة وأبقت على إدارتها للشقيقين محمود وعلى رضا.. وظلت فريد فهمى هى الراقصة الأولى للفرقة.

عندما تولى عبدالغفار عودة رئاسة قطاع الفنون الشعبية التى تتبع له الفرقة، كان كثير الصدام مع الفنان محمود رضا.. كان محمود رضا يصر على أن يكون (فنانا) لا (موظفا) فى وزارة الثقافة.. ويحكى رضا: لما كنت وكيل وزارة فى وزارة الثقافة أيام فاروق حسنى تلقيت دعوة رسمية لحضور افتتاح متحف محمد محمود خليل بحضور الوزير وقيادات الوزارة، لم أذهب، لأنى أعتبر نفسى فنانًا، والفنان لا يسير وراء الوزير.. أى وزير... كانت تلك الواقعة من أسباب الصدام الذى تصاعد بين الفنان والوزير وانتهى بقرار من فاروق حسنى بإقالة محمود رضا من فرقة هو مؤسسها وكان صاحبها!!

الفرقة القومية للفنون الشعبية

أنشأت وزارة الثقافة عام ١٩٦٠ «الفرقة القومية للفنون الشعبية» على غرار الفرق القومية فى الدول المتحضرة لتطوير الأصول الشعبية في الرقص والموسيقى والأزياء.. واستعانت لإنشائها بخبراء من الاتحاد السوفيتى الذى كان في ذلك الحين أسبق من غيره فى هذا الميدان وعلى رأسهم الفنان إيجور رامازين.. وكان اختيار أعضاء الفرقة من خريجي المعاهد العليا المتخصصة في التربية البدنية والموسيقى.. واستغرق إعداد هذا الفريق وتدريبه تحت إشراف الفنان أحمد سعدالدين مدة طويلة ضمانا لنضجه وحماية له من مواجهة الفشل.



الفرقة القومية للفنون الشعبية

انتقت الفرقة لوحاتها وموسيقاها بعناية من محيط فنوننا الشعبية الأصيلة، خطى ورقصات وعادات وأعرافا وأنغامًا وإيقاعًا.. وكذا الأزياء التى أبدع الفنان عبدالغنى أبوالعينين تصميمها، وعرضتها على الجماهير بعد أن استوى لها عودها على مدى سبع سنوات من التدريب الشاق المتصل، فلاقت الإقبال والإعجاب الكثير.

طافت الفرقة عروضها أنحاء العالم شرقًا وغربًا وحققت نجاحات مبهرة.. وما لبثت محافظات الجمهورية أن أسرعت إلى تكوين فرقها للفنون الشعبية هي الأخرى.. واضطلع البارزون من الفرقة القومية، من بينهم الفنانين الموهوبين حسن خليل وكمال نعيم ومحمد خليل وسامى يونس، بتدريبها وإعدادها حتى انتشرت هذه الفرق بكافة المحافظات .

انتقادات بسبب الاستعانة بالخبرة الأجنبية

دعى د.ثروت عكاشة خبراء الموسيقى الشعبية من المجر ورومانيا لجمع وتسجيل ودراسة الموسيقى الشعبية المصرية من أنحاء الجمهورية، وأصدرت وزارة الثقافة فى عهده أسطوانات للموسيقى الشعبية المصرية.

وقد أثير جدل وقتذاك حول اختيار خبراء أجانب لهذا الفن الشعبى وفى مصر ما يغنى عنهم.. وفات أصحاب هذا الرأى أننا مهما كنا على علم بالفنون الشعبية فدخولنا فى هذا الميدان كان متأخرًا عن الدول المتقدمة فيه.. ويؤكد عكاشة: إن الاستعانة بهم كانت استعانة مؤقتة إلى أن يتقن فنانونا أصول هذا الفن على أسسه السليمة.. ويمكنهم أن يطوروه بأسلوبهم الخاص وبالطابع الذى يتفق ومقتضيات البيئة والمجتمع والتقاليد.. هى فرقة مصرية لحمًا ودمًا إلى اليوم.. ويعطى د.ثروت مثالًا لذلك بما فعله بطرس الأكبر حين عهد إلى مصممي رقصات الباليه الفرنسيين بتكوين فرقة الباليه الروسية بمدينة بطرسبرج التى استطاعت بعد انتهاء مهمة الخبراء الأجانب أن تقف على أقدامها مستقلة فضارعت ونافست أعظم فرق رقص الباليه فى العالم .

الثقافة الجماهيرية

الثقافة الجماهيرية

هذه هى المرة الأولى التى شهدت فيها مصر القصور الثقافية، والتى أصبحت بعد شيوعها فى أنحاء الوطن كله من المظاهر الحضارية الواضحة لجذب الجماهير للأعمال الفنية رفيعة المستوى.. جاءت فكرة إنشاء قصور الثقافة بعواصم المحافظات بتوجيه من الزعيم جمال عبدالناصر.. كان الهدف الرئيسى هو وصول الثقافة إلى الجماهير فى الريف وتنميتها وازدهارها.. والريف يحمل بصمات ثقافية قديمة تتمثل فى احتفاظه بكثير من تراث لفنون الرقص والموالد وافراح العرس والبكائيات وأغانى الحصاد.. وهكذا تتم فى الريف عملية تزاوج بين ثقافة عصرين، الحديثة والقديمة.. وكان خير ما يمهد لهذا ويؤكده ويوثقه هو إقامة القصور الثقافية بدءا من عام ١٩٥٩ ونشر قوافلها فى أعماق الريف..

إنشاء قصور الثقافة على الامتداد الجغرافى لمصر، كان مظهراً من المظاهر الحضارية التي هدفت الى إلغاء الأمية الثقافية فأضحت الجماهير تتقبل الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى الكلاسيكية. كان ثروت عكاشة يرى الثقافة حافزاً للبشر على التضامن من أجل الارتقاء بمستوى رفاهيتهم.

الاستفادة من تجربة الدول الاشتراكية

كان الإيمان بالعدل الاجتماعى في نشر النتاج الثقافى الحافز الأساسى لثروت عكاشة إلى الأخذ بنظام «قصور الثقافة» المطبق فى الدول الاشتراكية.. لذلك زار قصور ثقافة الاتحاد السوفيتى أثناء وجوده بها فى ديسمبر ١٩٦٠ وكان وقتها يرأس الوفد الثقافى المصرى. ورغم أن تنفيذه فى مصر يتطلب جهدا ليس سهلا.. يختلف عما عليه الحال عند السوفييت.. فإن هذا لم يثنيه عن تحقيقه قدر ما يستطيع.. فلقد كنا بمصر في حاجة ماسة إلى أن تجمع العقول عامة على ثقافة مشتركة ولا نترك العدد الأكبر من المصريين بعيدين عن الإسهام فى الثقافة والارتشاف من منابعها.. وما إن استوت تلك الفكرة على ما فيها من صعوبات وعلى ما يلزمها من جهد حتى أدرجت لها الميزانية المناسبة فى خطة التنمية الخمسية.

بعثة مصرية ليوغسلافيا لنقل خبراتها

لذلك كان أول ما اهتم به ثروت عكاشة عند توليه وزارة الثقافة عام ١٩٥٨ الثقافة الجماهيرية.. بالاستفادة من تجارب الآخرين فى هذا المجال.. أدرك مع زياراته لبلدان أوروبا الشرقية التى سبقتنا في هذا الميدان وكانت لها فيه خطوات راسخة خاصة يوغوسلافيا.. لهذا أوفد مبعوثين مصريين إليها لنقل ما عندهم من خبرة إلينا لنفيد منها فى تجربتنا.. وكان أن وقع الاختيار على نفر من المتخصصين كل فى شعبته أو فنه من مسرح وسينما وموسيقي وفنون تشكيلية ومكتبات وتنظيم وإدارة.. وأخذت هذه البعثة طريقها إلى يوغوسلافيا في أواخر نوفمبر ١٩٦١ وأمضت ثلاثة شهور فى التلقى والدراسة وتطواف الريف اليوغوسلافى ليعرفوا أسباب نجاح تلك التجربة هناك.. وقد وفقت تلك البعثة فى مهمتها وشهدت لها الحكومة اليوغوسلافية بجديتها وحماستها ودأبها على العمل والتحصيل.. ورفع المستشار الفنان أحمد لطفى رئيس البعثة تقريرًا وافيًا إلى ثروت عكاشة عما يراه ورفاقه فى التطبيق هنا بعد استئناسهم بما رأوه هناك.

المستشار أحمد لطفى ـ كان مديرًا لمكتب ثروت عكاشة، وكان متزوجًا من مغنية الأوبرا الشهيرة روجينا يوسف ـ اطلع بيوغسلافيا مع البعثة التى كان يرأسها، على نشاط السينما والمسرح والفنون التشكيلية (النحت والتصوير والرسم).. وجمعوا حصيلة ذلك في تقرير بكل هذه النواحى الثقافية.. أمر ثروت عكاشة على الفور بتنفيذه بمصر وأسند ذلك الى سعد عبدالحفيظ، الذى كان مع ثروت عكاشة في تنظيم الضباط الأحرار.

واستخلصت الوزارة منها خطة تنفيذية محكمة وتقدير ما هو جدير بالأخذ به.. فى الوقت الذي بدأت فيه الوزارة تصنيع المسارح والمكتبات المتنقلة على سيارات من نوع خاص ومجهزة لهذا الغرض لنقلها هى وآلات السينما إلى أعماق الريف.. وبدأ أيضًا فى تدريب العاملين وفق منهج مرسوم لتأهيلهم للمهمة التى سيضطلعون بها.

للثقافة قصر وبيت ودوار

كانت قصور الثقافة في مدن الأقاليم ليست إلا خطوة على الطريق الطويل من أجل بناء «بيت الثقافة» فى مراكز المحافظات.. ثم «دوار الثقافة» في سائر القرى يوما ما.. حتى يكون منتدى ثقافيًا فى كل مكان ترتفع به مدرسة.. فهو المكمل لرسالتها فى بناء العقل البشرى حتى يعطى الأمة بقدر ما يأخذ.. وحتى يغدو الإنسان المثقف المبدع هو نموذج الإنسان المصرى الحضارى فى كل مكان بأرض مصر.. كانت مهمة هذه القصور والبيوت والدوارات فى مبدأ الأمر أن تقتحم على الناس مقارهم وتدخل عليهم بيوتهم ومجتمعاتهم وأنديتهم.. تعرض نصيبًا من الأنشطة الفنية التى تزاول فى العاصمة من مسرحيات وأفلام ومعارض فنية وعروض موسيقية وخدمة مكتبية.

التليفزيون لا يستطيع القيام بدور قصور الثقافة

ولا نزاع فى أن رسالة قصور الثقافة وقوافلها تختلف الاختلاف كله عن رسالة التليفزيون، فثمة فارق بين العرض الحى والعرض المصور.. هذا إلى أن قصور الثقافة قد أعدت لحوار يدور بين الرواد المختلفين إلى القصور وبين المشرفين على تلك القصور بما يوضح لهم معالم قد تغيب عن أذهانهم.

فالتلفزيون والإذاعة وسيلتان لنشر الوعى حقًا ولكن ليستا وسيلتين كاملتين للتوعية والكشف عن كنه الحقائق.. فى حين أن قصور الثقافة بالأقاليم يمكن أن تكون مدارس ثقافية إلى جانب المدارس التعليمية، لهذه مهمتها ولتلك مهمتها لا تغنى مهمة عن مهمة.

بل إن هذه القصور الثقافية هي للريف المحروم والبعيد عن منابع الثقافة ألزم منها لساكنى العاصمة الذين فى متناول أيديهم كل مناهل الثقافة بفروعها المختلفة ولا يعز عليهم منها شيء.

نعلم كم يعانى سكان القرى من حرمان مثلا من مكتبات خاصة أو عامة.. وتكثر مثيلاتها فى العواصم.. ومع الوقت بعد أن ذللت له القصور الثقافية هذا الاحتياج.. أصبح لساكن الريف تلك المكتبات يتردد عليها متى شاء.. ومسارح يهرع إليها مع كل عرض يستمتع فيه بما يشاهده.. ثم أتت له تلك المعارض الفنية التشكيلية.. وأتيح له أن يشاهد تلك العروض

السينمائية والغنائية والفنون الشعبية التى كان إذا تاقت نفسه إليها سعى أيامًا وليال على أقدامه حتى تحفى.

كانت الخطة فى عام ١٩٦١ أن ترسى فى عاصمة كل محافظة قصراً وإعداد قوافل ثقافية تجوب القرى وتشيع الثقافة بين سكانها.. ليحطموا بذلك أسوار العزلة التي فرضتها عليهم عصور الجهالة.. إيمانا بأن الأعمال الفنية لا ترقى إلى مرتبة الامتياز إلا حين تحقق أكبر قدر من الخير لأكبر عدد من الناس.

جامعة الثقافة الحرة

هكذا كان الغرض من إنشاء قصور الثقافة.. إيجاد مراكز إشعاع تشع بنورها الثقافى على من تظلهم وتربط بين الثقافتين: ثقافة المدينة وثقافة الريف.. وبهذا تقرب بين هؤلاء وهؤلاء ثقافة وفنا.. وفي ظل هذا التمازج يمكن أن نجنى أثرًا مزدوجًا.. فكما يظفر فنان المدينة يوعى كامل وأعمق عن الريف ومشاكله.. كذلك سوف يظفر ساكن الريف بوعى عن ثقافة المدينة.

وهذا العبء الكبير كان يقتضي إنشاء إدارة متعاونة مع مؤسسات الوزارة الرئيسية من مسرح وموسيقى وسينما وخدمة مكتبية وفنون جميلة وشعبية.. وتكون هذه الإدارة قد أخذت مكان الجامعة الشعبية قديما التى آلت إلى وزارة الثقافة من وزارة التربية والتعليم وكان نشاطها محصورا في تعليم الفنون اليدوية والحرفية.. وأطلق على هذه الإدارة الجديدة التي تضم قصور الثقافة وقوافلها خلال تلك المرحلة اسم (جامعة الثقافة الحرة).

وقد راعى فى تصميم قصور الثقافة أن يضم القصر قاعة للعروض السينمالية والمسرح ومنتدى فكريًا وأدبيًا ومعرضًا للفنون التشكيلية وقاعة استماع موسيقى ونادىًا للأطفال ومراكز لتلقى فنون العرض والأداء الدرامية والشعبية والموسيقية ومكتبة.

سعد كامل

عمل عكاشة على أن يشارك المبدعون فى قيادة العمل الثقافى، بمختلف أجيالهم واتجاهاتهم الفكرية وأغلبهم من الشباب ومن أصحاب الفكر الثورى، حتى وإن تجاوزوا الاتجاه السياسى للسلطة الحاكمة، حيث

وضعهم على رأس المؤسسات الثقافية، بدءًا من رئاسة قصور الثقافة حتى رئاسة الهيئات الكبرى فى الوزارة، وإعطاؤهم كامل الصلاحيات للعمل بغير إملاء أو وصاية.

فبعد أن تغير اسم قصور الثقافة سنة ١٩٦٥ إلى الثقافة الجماهيرية.. كلف د.ثروت عكاشة سعد كامل لإدارتها.. كان سعد كامل أحد رموز اليسار المصرى الحالمين بثقافة جماهيرية حقة وحقيقية، وكان بعد أن خرج من السجن عام ١٩٥٩، أحد المشاركين في الحراك الثقافى والمقرب جدًا من ثروت عكاشة.. فكان دوره المهم بإدارة الثقافة الجماهيرية.

في ذلك الوقت، تأسست فرق مسرحية وغنائية وتم إنشاء مكتبات في قصور الثقافة، وأقام سعد كامل حفلات خاصة بالأوبرا للمثقفين من العمال وساكني المحافظات للارتقاء بالذوق الفني للمجتمع المصري، وكان شيئًا فريدًا أن تسمع فكرة أن يشاهد العمال عرض باليه لفرقة «البولشوي» الروسية الشهيرة».

كان أهم عامل أدى إلى نجاح تجربة «جهاز الثقافة الجماهيرية» العنصر البشرى المتميز فقد وقع اختيار ثروت عكاشة وسعد كامل في بداية التجربة على مجموعة من الكوادر الثقافية الشابة من أدباء ومسرحيين وفنانين تشكيليين ليكونوا القادة والمديرين الجدد لقصور الثقافة في عواصم المحافظات.. فتم اختيار الفنان «هبة عنايت» وزوجته الفنانة تماضر ترك لقصر ثقافة أسيوط، ويعقوب الشارونى لقصر ثقافة بني سويف، والكاتب محمد دياب لقصر ثقافة الإسكندرية، والفنان فاروق حسنى لقصر ثقافة الأنفوشى، والفنانة رعاية النمر لرئاسة قصر الجيزة، والفنان عزالدين نجيب لقصر ثقافة كفر الشيخ، والفنان هانى جابر لقصر ثقافة السويس.



سعد كامل

وهذه كلمة صدق للناقد والفنان التشكيلى عز الدين نجيب عن فترة عاشها عبر تجربة كان فيها شريكًا وشاهدًا، ليس بمحافظة كفر الشيخ التى قام فيها بتأسيس قصر للثقافة فحسب، بل فى عشرات المواقع على أرض مصر: كان عكاشة يحرض القيادات الشابة لقصور الثقافة بمعاونة رئيسها سعد كامل على الاستقلال الثقافى عن العاصمة، ويطالبهم بأن يجعلوا من القصر فى كل إقليم وزارة ثقافة مصغرة، يطلب ذلك من شباب أغلبهم دون الثلاثين، ومنهم أدباء وفنانون تشكيليون ومسرحيون، وآخرون ناشطون ثقافيون وجميعهم يمارس العمل القيادى، بل والإدارى، لأول مرة فى حياته.. من هنا تحققت موجات ثورية متنامية فى الإبداع المسرحى الشعرى والقصصى والتشكيلى، كأنها تنبع من منجم للمواهب لا ينضب، والتحمت أعمالهم بآلفات - مثل مليونيات اليوم - من الجماهير فى المدن والقرى والكفور فى أقصى المحافظات.. ولأول مرة نرى الجمهور - بعد انتهاء العروض والندوات - يتكلم ويبدى رأيه ويختلف وتتجلى من خلاله مواهب فى النقد، فيصبح مشاركًا حقًا فى العملية الثقافية.

قوافل وقصور ثقافة

أنشأت الوزارة عددًا من القوافل الثقافية.. كانت القافلة تتكون من ٣ سيارات: سيارة للمثقفين والفنانين المشاركين في البرنامج والأخريان تضمان مسرحًا متنقلًا ومكتبة ومعرضًا للفن التشكيلي وماكينة عرض سينمائي ١٦ ملم وشاشة وفانوسًا سحريًا وجهاز إذاعة ومولدًا للكهرباء.. وتم افتتاح نشاط القوافل الثقافية لأول مرة أواخر عام ١٩٦١ فى قرية مليج (شبين الكوم - المنوفية)، بحضور د.ثروت عكاشة.

تحررت الثقافة الجماهيرية من البيروقراطية، وقامت بتشخيص المشكلات تشخيصًا عميقًا، ثم تحديد خطوات العلاج، فانخرطت فى تلك المسيرة المهمة وانعقد مجلس دائم بقيادة «سعد كامل» وعضوية «ألفريد فرج» و«زكريا الحجاوى» ومن بعدهما «بهجت عثمان» و«حسين بيكار» و«زهدى» فنان الكاريكاتير.

دعمهم د.ثروت عكاشة وزير الثقافة الذى كان يدرك أن الثقافة يمكنها

أن تصل لأعماق الريف شرط أن يتوافر عناصر بشرية لها رؤية قادرة على الوصول إلى الجماهير وتفجير طاقته الإبداعية. وهذا ما حدث فقد كان يتوافد الآلاف من الجماهير قبل وصول القافلة بوقت طويل وتتحول ساحات القرى إلى حياة دافقة من المتعة والإبداع.

توالت بعد ذلك المشاركات الإيجابية من الفنانين والمثقفين فى تشكيل الفرق والاشتراك فى الندوات والقوافل التي تجوب القرى والنجوع، ومنهم على سالم، وعبد الرحمن الأبنودى، ومحسنة توفيق، وصلاح جاهين، وشريف حتاتة، ومحمد مصطفى مراد، وزكريا الحجاوى، وحسن فؤاد، وعبدالغنى أبوالعينين، ونخبة من النقاد والمخرجين والأدباء، وقد كانوا جميعهم نجومًا فى ذلك الوقت.. ذهب كل هؤلاء إلى عمق مصر الفقير ليحققوا أحلامهم ومشاريعهم الثقافية الطموحة، فقد كانوا يؤمنون بأن الثقافة يجب أن تخرج من أسوار القاهرة والإسكندرية لتصل إلى القرى والنجوع، لأن الجماهير الواسعة هي المعنية بتلك الثقافة، ومن حقها أن تبدع وتتذوق.

سعدالدين وهبة

كان د.ثروت عكاشة يحسن اختيار من يعملون معه.. وحتى لا يكون لخروج سعد كامل تأثير كبير على مسيرة تجربة الثقافة الجماهيرية.. اختار من بعده كادرًا ثقافيًا لا يقل عنه في كفاءته وقدراته.. اختار سعدالدين وهبة.. فصنع السعدان.. سعد كامل وسعدالدين وهبة العصر الذهبى للثقافة الجماهيرية برعاية وقوة دفع ثروت عكاشة.

حافظ سعدالدين وهبة على عوامل نجاح التجربة وأضاف إليها عوامل نجاح جديدة.. من أهمها حث رواد الأنشطة في قصور الثقافة على إنشاء جمعيات أهلية باسم «جمعيات رواد قصور الثقافة» داخل المواقع تدير بعض الأنشطة الربحية التي تحقق عائدًا ماليًا (عائد عروض الأفلام السينمائية وعائد بيع منتجات بعض الحرف اليدوية كالسجاد والكليم والجوبلان والخزف والفخار وغيرها).. واستخدام ذلك العائد في توفير ميزانيات لتمويل بعض الأنشطة المهمة كالمسرح والمسابقات الأدبية ومطبوعات الأدباء.

وفي عهد سعدالدين وهبة تشكلت عشرات من فرق المسرح والموسيقى العربية والفنون الشعبية، وأنشئت عدة فرق فنية متميزة مركزية كفرقة السامر المسرحية وفرقة الغورى للفنون الشعبية واتسع نطاق أندية الطفل التي بدأ ظهورها في أوائل الستينيات وكانت أنشطتها تجمع بين هدفي الترفيه والتثقيف.. وتبنت الثقافة الجماهيرية في مختلف مواقعها مهمة الحفاظ على حرفنا التراثية (بتدريب أجيال جديدة على طرائق إنتاجها) وتعريف الناس بقيمة ما تكتنزه في تفاصيلها من جمال وفن.



مع سعدالدين وهبة رئيس الثقافة الجماهيرية وفاروق حسنى مدير قصر الأنفوشى

كما تأسست أندية سينما بالقصور التي توجد بها قاعات سينما.. وتزويد العديد من قصورالثقافة بسيارات مجهزة كقوافل ثقافية من أجل توصيل خدمة الثقافة إلى أهالى الريف.. وفى عهده أيضًا نبتت فكرة إصدار مجلة باسم «الثقافة الجديدة».

جيل جديد من الأدباء والفنانين بالأقاليم

أسهمت قصور الثقافة إسهامًا حقًا فى خلق جيل من كتاب القصة والمسرح والشعر والزجل والموسيقى من أبناء الأقاليم، وتنافس في الحصول على الجوائز في المسابقات التي كانت تعقد بين أفراده وفرقه.. مما أخصب التربة الفنية بعناصر جديدة من العاملين بالمسرح والموسيقى الشعبية والأدب الشعبى، كما شجع على تطور فنوننا الأصيلة وتجددها وإثرائها بالاحتكاك بينها وبين غيرها .

وبهذا كان الاهتمام فى هذه المرحلة الأولى موجهًا إلى تهيئة الوسائل المادية التى تعين على إنشاء قصور الثقافة وقوافلها، كى تحمل رسالتها إلى الريف.. ثم إعداد من سيضطلعون بهذا العبء فى تلك القصور وما إليها من قوافل.. وكان عكاشة يعلم مع هذه التجربة أن دولة عظمى وهى فرنسا عندما أخذت في مشروع مماثل بدأت تخطط لعشرين قصرًا.. على حين دفعنا طموحنا، كما يقول ثروت عكاشة، إلى أن نبدأ تجربتنا بأربعة عشر قصر ثقافة بالعواصم وأحد عشر مركزًا ثقافيًا بالمدن.. هذا إلى إمدادها بسبع عشرة قافلة استوردناها من الخارج.. وعندها بدأ الريف المصرى يتذوق للمرة الأولى طعم الثقافة على أجنحة الأمسيات التي كانت تقام فيه.. وهرع الفلاحون لمشاهدة العروض المسرحية والسينمائية والمعارض الفنية.. وكم أحسسنا من هذه التجربة مدى تعطش أهل القرى لهذه الألوان الثقافية العطش كله.

من جماهيرية الثقافة إلى ثقافة القصور

تبدلت رسالة الثقافة الجماهيرية.. من جماهيرية الثقافة الى ثقافة القصور.. فقد جاء العام ١٩٨٩ ليشهد تغيير اسم «الثقافة الجماهيرية» بكل ما تحمله من دلالات ليصبح «الهيئة العامة لقصور الثقافة»، وقد واجه هذا التغيير رفضًا واسعًا من المثقفين والفنانين، لكنه أصبح واقعًا.. ولم تعد الثقافة «جماهيرية»! تحولت الثقافة الجماهيرية إلي هيئة عامة ذات طبيعة خاصة باسمها الجديد (الهيئة العامة لقصور الثقافة) مع استمرار تبعيتها إلى وزارة الثقافة.. وفقًا للقرار الجمهورى رقم ٦٣ لسنة ١٩٨٩.

أصبح من يرغب فى تلقي الخدمة الثقافية يتوجه إلى المنشآت المخصصة لذلك فى تناقض صارخ مع رسالة الثقافة الجماهيرية، التى كانت فى أحد معانيها حق المواطن فى تلقي خدمة ثقافية أينما وجد.. وهذا ما جعلنا نشاهد «سينما الشارع» و«مسرح الجرن» و«خيال الظل» وفرق موسيقية ومسرحية فى كل مصنع وشركة.. فلم تكن الثقافة والفنون حكرًا على فئة بعينها بل كانت حالة عامة تسرى فى عروق الملايين.. فكانوا أكثر تفاعلًا مع الفنون والثقافة التى خاطبتهم بلغتهم وارتقت بهم، وغيرها من أشكال الخدمات الفنية والثقافية، لقد تبدد الإرث الذى صنعه سعد كامل ورفاقة وخلال الـ٣٠ سنة الأخيرة.. وصارت المنشآت الثقافية مهجورة معظم الأحيان، لا ترى فيها الجمهور إلا قليلًا.. وتراجعت الكفاءات التى تدير النشاط ذاته، وغاب المشروع الثقافى تمامًا.

في سنواته الأخيرة قبيل الرحيل.. قال د.ثروت عكاشة: أشعر بالأبوة تجاه هيئة قصور الثقافة، وأردت دائمًا خلال فترة عملى كوزير للثقافة أن يشارك الشعب فى تذوق جمال الثقافة وذلك بأن ننقل أنشطتنا إلى أماكن وجود الفلاحين والعمال.. الثقافة الجماهيرية فى مضمونها تعنى تخلى الثقافة عن نخبويتها وتحولها إلى ثقافة مبنية على مبدأ تكافؤ الفرص من أجل تحقيق حلم العدالة الثقافية، وعبر عنه عبدالناصر بقوله «أن تصبح الثقافة والفنون الراقية فى متناول الجماهير العريضة وأن تخرج من أسوار القاهرة والإسكندرية لتصل إلى القرى والنجوع».

شلل وتطرف وانهيار بقصور الثقافة

لعدم مسايرتها التطورات الحديثة ولا مواكبة وسائل التواصل الإلكترونية.. واختراق أجهزتها بأفكار رجعية إخوانية وانتشار الأفكار المتطرفة فى الـ٣٠ سنة الأخيرة.. أصيبت كثير من أجهزة قصور الثقافة بالشلل والتراجع عن أهدافها التى كانت تسمو بالإنسان فى القرى والأقاليم فكريًا ووجدانيًا.

كثير من قصور الثقافة مغلقة منذ وقوع المأساة الشهيرة بمسرح قصر ثقافة بنى سويف عام ٢٠٠٥ في عهد وزير الثقافة فاروق حسنى، عندما شب حريق اثناء عرض مسرحى، راح ضحيته ٥٤ فنانًا وصحفيًا وناقدًا إضافة الى

عدد كبير من المصابين.. فلم تتوفر في القصر أبسط أنواع الأمان والتأمين.. وهو ما تعانى منه حتى الآن عشرات القصور وبيوت الثقافة، وبعضها لا يصلح لبشر.

يقول د.جابر عصفور وزير الثقافة الأسبق: قصور الثقافة أخطر جهاز بالثقافة .. يوجد نحو ٥٥٠ قصر ثقافة.. يمكن ان تعطى مصر وتربط بين جنباتها لو كانت فعالة.. حاليًا مشلولة.. ومحاولات أن تتحول الاماكن لنشر الدعوى.. بدلا من أن تكون أماكن إشعاع لنشر الثقافة.

يحكى أحد الكتاب الكبار أنه عند تنفيذه تكليف من وزارة الثقافة بتولى منصب مدير قصر ثقافة قشتمر.. اكتشف تحول القصر، كغيره الكثير من قصور الثقافة، الى خلايا إخوانية.. فقد فوجئ بأنه هو نفسه محاصر بخلية إخوانية من الملتحين ومدير القصر بالإنابة يجلس على مكتبه يرتدى جلبابًا!!.. استقبلوه بامتعاض.. شباب الكتاب زهدوا عن هذا القصر.. بعد ان أصبح النشاط كله يتمحور في الدين والمواعظ وفقا لأفكارهم.. ليس هناك أى نشاط ثقافى يجذب الشباب إليه.. تحول القصر إلى أحد القلاع الاخوانية.. حتى المكتبة حجبت الكتب الثقافية ويعرضون ما يروق لفكرهم ومشايخهم .. وهناك قصور أخرى اكتشف عرضها كتب سيد قطب.. فترك الكاتب القصر ورفض يستلم إدارة القصر وعاد الى القاهرة.

هذا نموذج يوضح ما وصلت اليه قصور الهيئة.. للأسف لم يحسنوا اختيار الشخصيات التى يمكن ان تعيد الحياة والحيوية لقصور الثقافة.. في وقت تحتاج فيه إلى رؤية جديدة وسياسات مغايرة وإمكانات مادية كبيرة.. حيث تلتهم رواتب العاملين بالهيئة ٩٠٪ من ميزانيتها!!

أحد أبرز وأكبر مشاكل مصر فى عهد الرئيسين السابقين أنور السادات وحسنى مبارك وحتى الفترة التى نعيشها حاليًا (عام ٢٠٢١) إهمال التعليم والثقافة، فلم تعد المدارس الحكومية، كما كانت توقظ الوعى القومى، وتهتم بالتعليم، وتربط التلاميذ بالمجتمع وبالثقافة، وانتشرت شرائح مختلفة ومدارس تعليم يؤجج الطبقية.. ما بين تعليم خاص ومميز وسوبر.. وأسوأها التعليم الحكومى.. ولم تعد قصور الثقافة، شعلة ثقافية تنير المدينة

والأقاليم وما حولها.

من خلال قصور الثقافة ظهر ونبغ الكثير من الشعراء والأدباء الذين أثروا الحياة الثقافية فى مصر فى ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن الماضى.. حتى ماتت هذه القصور وتعرضت إلى الإهمال وتراجعت قيمة الثقافة فى هذا الوطن.. نعم هناك قصور تشغى بالنشاط مثل قصر السينما، وتوجد محاولات لتحديث بعض قصور الثقافة.. لكنها محاولات ضئيلة جدا لا تتناسب مع الرسالة التى انشئت من أجلها الثقافة الجماهيرية.

الصوت والضوء

الصوت والضوء

بقيت تلك الآثار أكثر من أربعين قرنًا من الزمان، تستشعر هيبتها وجلالها، لكن لا تحس لها همسًا.. فألقى عليها الضوء ليزيد تراثنا الخالد إشراقًا.. وتم تزويدها بالصوت.. لتنطق الآثار المصرية بأربع لغات، وما زالت نصوصها الأصلية قائمة حتى الآن بأصوات أشهر الفنانين المصريين.. إنه مشروع الصوت والضوء الذى أبهر العالم.

تماثيل الفراعنة تتكلم

كانت البداية التفكير فى كيف تدب الحياة بالمعابد والتماثيل، وكسر حالة السكون وصمت الفراعنة.. فكان السعى لإعادة التماثيل الفرعونية للحياة برؤية عصرية.. تحكى وتتحدث إلينا.. من هنا جاءت فكرة تنفيذ مشروع «الصوت والضوء».. بمناطق أهرام الجيزة والقلعة ومعابد الكرنك وفيلة وأبى سمبل.. فقدمت عروضًا لآثارنا العريقة فى صورة فنية مشرقة تضم في تركيبها الصورة والرواية التاريخية والأداء الفنى والموسيقى بأسلوب عصري يضاعف المتعة والمعرفة ويرقق الذوق ويهذب المشاعر.. تحكى على لسان أبوالهول ورمسيس بأسلوب عصرى يضاعف المتعة والمعرفة.. بعد أن كانت تلك الآثار القديمة حجارة صماء بكماء.. هي البراعة فى اختيار مفردات من ثقافات العصور السابقة وفنونها لوضعها فى إطار البناء الحضارى المعاصر وعبر وسيلة تتلاقى فيه الحضارات جميعاً لإثراء ثقافتنا الجديدة.

فبعد أن ظلت مئات السنين جامدة في أماكنها لا تنطق.. أصبحت اليوم صفحة منشورة نقرؤها ونستمع إليها وكأنها صور حية تروح وتغدو فى الحياة حافلة بأصوات أبطال مسرحيين قوميين بل عالميين يسعى لمشاهدتهم والاستماع إليهم الناس من هنا ومن هناك من مختلف الجنسيات واللغات.. ولا غرو فالفن لغة العالم أجمع لا تحده حدود .

البداية فى الأهرامات والقلعة

ما كاد ثروت عكاشة يتولى شئون وزارة الثقافة عام ١٩٥٨ حتى استدعى بعض الفنانين والمتخصصين من باريس رغم أن العلاقات الدبلوماسية كانت لا تزال مقطوعة بين مصر وفرنسا ـ عقب تأميم القناة والعدوان الثلاثى ـ استقر الرأى على إمكان تحقيق هذا المشروع بدءًا بمنطقة أهرام الجيزة لتغطية التاريخ الفرعوني وقلعة صلاح الدين لتغطية التاريخ الإسلامى.. ثم الانتقال إلى الكرنك حين يفرغوا من التجربة الأولى.

فعهد عكاشة إلى لجنة من علماء الآثار والتاريخ بإعداد المادة العلمية للمشروعين.. وعهد إلى عالمة الآثار المعروفة كريستيان نوبلكور أن تلقى نظرة على هذه المادة العلمية.. وأسند إلى الأديب الفرنسى جاستون بونير إعداد النص الفنى المصاحب للعرض.. فجاء نصه ليصل الإنسان بتاريخه ويبعثه على التفكير والتأمل.. فضلاً عن الخيال المحسوب الذى أضفاه.. مما جعل النص وكأنه شعر لا نثر يوائم سكون الليل وهدأته.. وعهد إلى الفنان جاستون پاپلو بالإخراج الضوئي الذى به تبرز معالم الأثر وما وراءه من خلود وعقيدة وعراقة أحجاره العتيقة على وجه لا يبعث على الملل.. كما كلف الموسيقار الشهير جورج ديلرو بوضع الموسيقى المصاحبة.. وأشرك معه المؤلف الموسيقى حليم الضبع الخبير في الموسيقي الفرعونية، فأوفده إلى باريس لمعايشة الموسيقار الفرنسى وتزويده بالألحان القومية لإضفاء الطابع المصرى الأصيل على النص الموسيقى.

فالموسيقى تصاحب هذه المشاهد وتبعث الرهبة في النفوس شأنها شأن تراتيل الطقوس الدينية.. وما لها من جلال فى الفضاء المحيط بالأثر.. وفى الحق لقد وفق هذا الموسيقار في أن يعيد إلى الخيال مجد الفراعنة.



حليم الضبع مؤلف موسيقى الصوت والضوء

فيكشف العرض للمواطن المصرى عن ماضيه العريق.. إذ ينصتون لصوت التاريخ وهو يسرد عليهم أحداث السنين في تتابع وفي سكون الليل وهدأته، وقد لف الضوء بأثوابه المختلفة ما بين البياض والزرقة الخافتة والحمرة الداكنة والصفرة البرتقالية تلك الآثار مع أنغام الموسيقى الشجية فيجارى السمع البصر.. فإذا الماضي السحيق حاضر حى بين يدى الرائى.. وإذا الناس في جو آخر غير ذلك الجو الذي كانوا يرون فيه هذه الآثار في وهج الشمس اللافحة.. أضفت الإضاءة الفنية سحرًا وتأثيرًا متدفقًا فى النفوس من صوت أبى الهول الذى خرج عن صمته بعد آلاف السنين ليحكى تاريخ أمة عاصر نهضتها الكبرى.

وعهد د.ثروت عكاشة إلى بعض أساتذة الجامعة الذين لهم خبرة واسعة باللغتين الفرنسية والعربية بترجمتها إلى العربية.. وصاغها شعرًا الشاعر صالح جودت.. فجاء النص العربى تحفة رائعة تفاعلت فيها وتضافرت عليها بصدق جهود هذه الكوكبة من الأدباء والشعراء والعلماء.. وقام نجوم فرقة «الكوميدي فرانسيز» بتأدية النص باللغة الفرنسية، ونجوم فرقة «أولدفيك» باللغة الإنجليزية ونجوم المسرح الألمانى بهامبورج باللغة الألمانية، ونخبة من نجوم «المسرح القومى» باللغة العربية.

وكان ثمة العديد من العقبات التي كان يمكن أن تؤجل المشروع.. ورغبة

من د.عكاشة في تذليل كافة هذه العقبات، أعلن تاريخ افتتاح المشروعين بادئًا بمشروع أهرام الجيزة حتى يلتزم كل من الفريقين الأوروبي والمصرى بالموعد المحدد.

جمال عبدالناصر و١٧ رئيسًا

افتتح الرئيس عبدالناصر مشروع الصوت والضوء فى الثالث عشر من أبريل ١٩٦٠.. لقى العرض تقديرًا صفق معه المشاهدون دقائق متصلة.. بحضور الأدباء والفنانين وأعضاء مجلس الأمة وبعض الضيوف الأجانب، من بينهم ولى عهد اليونان وقتذاك الأمير قسطنطين والأمير صدر الدين خان وغيرهما من كبار الأدباء والدبلوماسيين الأجانب.

قفز المشروع إثر افتتاحه إلى صدارة المعالم السياحية في بلادنا حتى بات الرئيس عبدالناصر لا يزوره زائر من رؤساء الدول إلا صحبه لمشاهدة هذا العرض، فبلغت هذه الزيارات سبع عشرة مرة في رفقة سبعة عشر رئيس دولة، وما يزال هذا المشروع يستأثر بزيارة من يزور مصر من الضيوف والسائحين.

تكلف عرض الصوت والضوء بالهرم مائتى ألف جنيه.. ومبلغًا آخر زهيدًا شيد به مبنى «بهو خوفو» لخدمة زائري المشروع، وأن عدد رواد هذا العرض فى الـ٣٢ عامًا التى أعقبت الافتتاح «يونية عام ١٩٩٢» بلغ ستة ملايين مشاهد، وبلغ إيراد العروض عن – نفس الفترة ما يربى على واحد وعشرين مليونًا من الجنيهات.. أى حقق أرباحًا ٣٠ ضعف تكاليف إنشائه.. علما بأن هذا العرض لم يتوقف ليلة واحدة منذ افتتاحه حتى الآن سوى في أضيق الحدود وقت الحروب وحظر التجول.. وهو لا يزال يقدم بالنص الأصلى الذى تم تقديمه بلغاته الأربع منذ نحو ٦١ سنة.. لم يمسسه تغيير.. وإن تكلف تجديد المعدات المستهلكة بعد خمسة عشر عامًا ٣١٥ ألف دولار.

امتد مشروع الصوت الضوء ليشمل قلعة صلاح الدين ثم معبد الكرنك... وفي ٢٣ يوليو ١٩٦٢ افتتح الرئيس جمال عبدالناصر «عرض الصوت والضوء بقلعة صلاح الدين»، وكان المشروع قد تكلف مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه.. واستمر يقدم عروضه إلى أن توقف في ٥ يونية ١٩٦٧

بسبب إغلاق المنطقة مساء لظروف الحرب.

إطلاق الصوت والضوء بالكرنك

بعد عودة ثروت عكاشة لوزارة الثقافة بولاية ثانية عام ١٩٦٦، استأنفت العمل في الإعداد «لمشروع الصوت الضوء بالكرنك».. وثمة اختلاف هنا صاحب عروض الصوت والضوء بما يتواءم مع موقع وهندسة بناء معابد الكرنك ومساحتها الممتدة.. حيث يبدأ العرض من مدخلها بعد طريق الكباش فيصغى المشاهدون عند المدخل إلى مقدمة تاريخية وفنية تحت اللوحات الضوئية المعبرة مع صوت الموسيقى.. ثم ينتقلون بين صالة الأعمدة وجنبات المعبد في طريق مرسوم يوضح المراحل التاريخية لهذا المعبد العظيم.. حتى إذا بلغوا البحيرة المقدسة وجدوا أماكنهم تنتظرهم حيث يطلون على المعبد والبحيرة من هضبة مرتفعة يسمعون منها بقية الرواية التاريخية إلى نهاية العرض الفنى.

اكتمل العمل في هذا المشروع مع مطلع عام ١٩٧٠.. وكان مقررًا أن يفتتحه عبدالناصر في خريف العام نفسه.. غير أن المنية واتته رحمه الله قبل ذلك.. كما ترك د.ثروت عكاشة وزارة الثقافة فلم يشهد افتتاحه فى ١٩ ديسمبر ١٩٧٢.. وقد تكلف هذا المشروع مليونًا من الجنيهات.. وبلغت إيراداته حتى نهاية شهر يونية ١٩٩٢ نحو أربع وعشرين مليونًا من الجنيهات.. وبلغ عدد رواده عن نفس الفترة خمسة ملايين مشاهد.. ويدلنا هذا على أن مشروعات الصوت والضوء كانت إلى جانب ما حققته من كسب أدبى وفنى حققت كسبًا ماديًا أيضًا.

مسارح الصوت والصوء والآثار للغناء والتمثيل

النجاح في بعث الحياة فى الآثار بعروض الصوت والضوء.. كان دافعًا إلى التفكير فى إنشاء مسارح لإقامة المهرجانات الفنية في الأماكن الأثرية.. وبدأ تنفيذ الفكرة للمرة الأولى في أغسطس ١٩٦١ بالمنطقة المجاورة لأبو الهول حيث قدمت على مسرحها فرقة «أولدفيك» الإنجليزية الشهيرة خلال أربع حفلات مسرحيتى «روميو وجولييت» لشكسبير و«سانت جان» [القديسة جان دارك] لبرنارد شو.. ورغم أن العرض أقيم فى شهر أغسطس..

كان الطريق الصحراوى من الإسكندرية للقاهرة يعج بأرتال السيارات تقل الوافدين للاستمتاع بهذا العرض.

أم كلثوم تغنى لفيلة على مسرح أبوالهول

من أكثر الصور المحببة.. صورة لأم كلثوم مع أبوالهول.. تقف بنفس الشموخ وبخلفية تاريخية تعبر بصوتها الفريد عن بلد عريق بحضارته وتراثه.. شدت أم كلثوم باغنية «الأطلال» في حفل فوق مسرح أبوالهول، أسهمت بدخله في إنقاذ معبد فيلة عام ١٩٦٨.



ام كلثوم غنت على مسرح الصوت والضوء ومسرح أبوالهول

كذلك غنت أم كلثوم هذه ليلتي ١٩ يونية ١٩٦٩ على مسرح أبو الهول، وغنت على مسرح الصوت والضوء.. وغنى على هذا المسرح فرانك سيناترا وبيرل بيلى وغيرهما.. وأدت عليه فيما بعد فرقة «باليه كوفنت جاردن الملكية» رقصاتها فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ خلال الاحتفال بالعيد الألفى لمدينة القاهرة.. كما جرى إعداد المسرح الروماني بالإسكندرية بمعاونة البعثة البولندية التي كانت تقوم بالتنقيب في المنطقة لعرض المسرحيات الكلاسيكية.

ومن المناطق الأثرية أيضًا.. استخدم صحن وكالة الغورى لتقديم بعض المسرحيات والعروض الفولكلورية التى ظفرت بإقبال منقطع النظير.. كما استغلت الوكالة فى الوقت نفسه مركزاً لإحياء الصناعات التقليدية.. كان عكاشة قد وكل إدارة مشروع الصوت والضوء منذ عام ١٩٥٩ إلى فؤاد العرابى.

الفنون الجميلة والمتاحف

الفنون الجميلة والمتاحف

أنشأ ثروت عكاشة مراكز فنية متخصصة مثل: الحرف التقليدية بوكالة الغورى، البحوث الفنية ببيت السنارى، الفن والحياة بسراى المانسترلى، النسجيات المرسمة بحلوان، الخزف بالفسطاط، مراسم الفنانين بوكالة الغورى وقصر المسافر خانة.. واستضاف بمصر مشاهير الفنانين الأوروبيين، وعرض أعمالهم فى بعض الفنادق الكبرى.. واستضاف مشاهير النقاد والمفكرين الفرنسيين لإلقاء محاضرات.



من لوحات الفنان محمود سعيد

ووفر المناخ الذى يتيح لكل مبدع ان يعبر بريشته او قلمه عما يريده بدون أى قيود.. وتجلت سمات الشخصية المصرية التى جعلت من تماثيل السجينى ولوحات الجزار وندا وحامد عويس وصلاح عبدالكريم.. وحتى اللوحات العارية لمحمود سعيد، والتجريدية لرمسيس يونان وفؤاد كامل.. واللوحات التعبيرية لأنجى أفلاطون وهى فى سجن القناطر بعهد عبدالناصر.. ولوحات تحية حليم وعفت ناجى وجاذبية سرى.. تحظى بمكانة رفيعة فى مصر والعالم.. لقد حقق كل هؤلاء الحرية لأنفسهم فى حدها الأقصى، وتكفل ثروت عكاشة بتوفير الحصانة لها والتفرغ لإنتاجها والتكريم لأصحابها.

مراسم للفنانين بالبيوت الأثرية

اتجهت وزارة الثقافة نحو إقامة المراسم الجديدة.. ورأى ثروت عكاشة أن بعض البيوت الأثرية تعتبر رؤوس أموال وطنية موروثة يجب أن تُستغل مثل مبنى «المسافرخانة» و«وكالة الغورى» و«بيت السحيمى» فجعل غرفها مراسم ومحارب للفنانين تكون لهم مقراً دون أن يتكبدوا أجرًا، يستمدون من تلك البيئة الأثرية المشبعة فنا وجمالاً.

كان هذا كله يجرى تحت رقابة الوزارة حتى لا يساء استخدامها في غير الغرض المخصصة له، غير أن هذه الرقابة قد غابت فيما بعد.. فلم تعد تلك المراسم تؤدي الغرض المنشود منها بل أنها غدت تستخدم في غير وجهها الحق بعد أن أسيء استعمالها .

تسويق واقتناء

من خلال اهتمام ثروت عكاشة الكبير بالفنون التشكيلية والمتاحف العالمية.. ساعد الفنانين على تسويق أعمالهم وتنظيم المعارض وأنشأ متاحف تساير المتاحف العالمية.. وتم تكليف بعض الفنانين بإقامة جداريات ضخمة بمحطات السكك الحديدية ومراكز الاتصالات الكبرى ومجمعات المحاكم.. والحرص على توفير مزيد من الاعتمادات المالية لاقتناء الأعمال الفنية.. كما اتفق عكاشة مع وزارة الخارجية على تخصيص مبلغ معين سنويًا لاقتناء أعمال فنية تعرض فى السفارات والقنصليات بالخارج.. ولا تزال إلى اليوم هذه الأعمال الفنية مفخرة بعثاتنا الدبلوماسية في الخارج.. ولو أن الوزارات الأخرى حذت هذا الحذو لتزايدت فرص التسويق والعرض فى سبيل خدمة عامة حيوية ولازمة.

ليس من المنطق أن ينتج الفنان ويكدس ما أنتج في مخازن لا ترى النور.. وهناك واقعة شهيرة للفنان جمال السجينى.. عندما تكدست أعماله ببيته.. قام بإلقائها فى النيل احتجاجًا على عدم وجود منافذ للتسويق والعرض.

ولذا كان لتسويق الأعمال الفنية من الأهمية لربط الناس بفن الفنان.. ساعدت وزارة الثقافة الفنان على تسويق أعماله لاستثمارها فنيًا وماديًا.. وتشجيع الناس على الاقتناء لتكون معايشة دائمة للفن.. مما يتيح فرصة

تطوير الذوق الفنى بين الناس.. وتقتنى متاحف الدولة الأعمال الكبرى.. إذ هى ضرورية للفنان نفسه وتوقظ من إلهامه.. كما هى ضرورية لكافة الناس .

ثبت أن لدى الناس الرغبة فى الاقتناء، لكنهم لا يعرفون الطريق إلى العمل الفنى.. فأقامت وزارة الثقافة سوقًا لبيع الإنتاج الفنى سنة ١٩٦٧ و١٩٦٨ و١٩٦٩.. ونجحت هذه السوق نجاحًا كبيرًا. ولعل أهم نجاح حققته أنها نقلت كثيرًا من أعمال الفنانين إلى المنازل لتعايش الناس.. واتجهت الوزارة إلى اقتناء الأعمال الكبرى وإيداعها متحف الفن الحديث وغيره من المتاحف الفنية الأخرى وقصور الثقافة.. كذلك سفاراتنا في الخارج والمرافق والمؤسسات الكبرى داخل البلاد كالمطارات ومحطات السكك الحديدية وأماكن التجمعات تقنى هذه الأعمال على أن تكون منتقاة بعناية حتى لا نهبط بمستوى وترتقى بثقافتهم الفنية.. واهتمت وزارة الثقافة بإقامة معارض لأعمال الفنانين.. وتأجير أبهاء الفنادق الكبرى لعرض تلك الأعمال.

ثم كانت التفاتة نحو الفنانين أنفسهم الذين قد يضطرهم السعي وراء العيش إلى بذل الجهد في عمل مرهق غير مناسب يصرفه عن فنه، وقد يقع في أسر ظروف نفسية واجتماعية تحول بينه وبين الإبداع.. ومن هنا جاءت أهمية التفرغ للفنانين.

تفرغ الفنانين لأول مرة منذ العصر البطلمى

تقدم د.لويس عوض لثروت عكاشة في مطلع عام ١٩٥٩ بمذكرة مستفيضة تتناول موضوع «تفرغ الفنانين» تحمس لها الوزير، إذ كان يشاركه رأيه الثاقب فى أن واجب وزارة الثقافة هو حماية المواهب.. بمنح الفنان الواعد فرصة التعبير عن نفسه بعيدًا عن مشكلات الحياة وعوائقها.. ثم تقدمه بعدها للجماهير.. وعندها يستقل في مسيرته الفنية بعد أن منح فرصة العلم والتفرغ وبعد أن تم تقديمه للجماهير.. وهكذا أرسى «نظام التفرغ» الذى تقدم فيه وزارة الثقافة راتبًا شهريًا للفنان مدة عام أو أعوام حسب تقييم لجنة من المتخصصين والنقاد المشهود لهم فى هذا المجال.. عهد بها إلى الفنان حامد سعيد حتى يتفرغ الفنان تفرغًا كاملاً لإبداعه الفنى.

كانت هذه التجربة هى الأولى من نوعها فى مصر.. وان كانت هناك تجربة مماثلة ترجع إلى العصر البطلمى عندما كان متحف الإسكندرية يمنح العلماء العاملين في مكتبته الشهيرة مرتبات شهرية ليتفرغوا إلى أبحاثهم في مجالات تخصصهم .

أتاحت تجربة نظام التفرغ للفنان عزلة يبدع فيها آمنًا مطمئنًا.. احتضنت الوزارة هذه التجربة ـ إلى أن ترك ثروت عكاشة الوزارة في خريف عام ١٩٦٢ ـ تفرغ ثلاثة وثمانين فنانًا تشكيليًا وأربعة من الموسيقيين وأربعين كاتبًا واثنين من المشتغلين بالفن السينمائى.. فدفع كثيرًا من الطاقات لا سيما في مجال الفنون التشكيلية نحو الاكتمال.. بل كشف عن مواهب كان يمكن أن يجرفها تيار الحياة دون أن يتنبه لها أحد.

الملاخ وراغب يشرفان على تأسيس متحف مختار

أنشأت وزارة الثقافة «متحف المثال محمود مختار».. جمعت فيه أعمال هذا الفنان الرائد فى مبنى فريد وضع تصميمه المعماري رمسيس ويصا واصف.. وافتتح مع العيد العاشر للثورة سنة ١٩٦٢.. أشرف على تأسيس وإعداد المتحف كل من الفنان راغب عياد صديق محمود مختار، والكاتب الصحفى والأثرى كمال الملاخ.. ونقلت رفات مختار إلى مقبرة داخل المتحف.. وهو أول متحف لمثال مصرى وأنشئ تكريمًا وتخليدًا لذكراه وتقديراً لفنه ونبوغه.



من أعمال الفنان محمود مختار

يقع المتحف فى أجمل بقعة فى القاهرة وسط حدائق الجزيرة وداخل حديقة الحرية وفى مواجهة دار الأوبرا المصرية.. محمود مختار (١٠ مايو ١٨٩١ - ٢٨ مارس ١٩٣٤) صاحب تمثال نهضة مصر، أعاد فن النحت ثانية فى ثوب جديد منذ أن توقف الفن المصرى بانتهاء العصر الفرعونى. ويحتوي المتحف على عدد ١٧٥ عملاً من أعمال مختار المنفذة بمختلف الخامات.. البرونز والحجر والبازلت والرخام والجرانيت والجص.. بالإضافة إلى أدواته الخاصة التي كان يستخدمها في النحت وكذلك وثائق وصور نادرة لمختار وأهم الجوائز والأوسمة العالمية التي حصل عليها.. وفي مدخل المتحف تجد رأس تمثال الزعيم سعد زغلول، تلك الشخصية التى تأثر بها «مختار» فى جميع أعماله الفنية، وجسّدها فى كثير من الأعمال.

وتقديرًا وعرفانًا للدكتور ثروت عكاشة.. اختارته جمعية أصدقاء متحف مختار فى اجتماعها يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٨ ـ أى بعد تركه الوزارة بـ١٨ عامًا ـ عضوًا شرفيًا اعترافًا بفضله وجهوده فى إنشاء متحف المثال الكبير محمود مختار خلال توليه وزارة الثقافة.

تم إعادة افتتاح المتحف في إبريل ٢٠٢١ في عهد وزيرة الثقافة إيناس عبدالدايم بعد ترميمه وتطويره ليتوافق مع أحدث أنظمة العروض المتحفية.

متحف محمد محمود خليل وحرمه

تنفيذًا لوصية المرحوم محمد محمود خليل وحرمه قامت الوزارة بإعداد بيته.. الذى تم تشييده عام ١٩١٥ على الطراز الفرنسى على مساحة ٥٣٨,٧٥م٢ وتحيطه حديقة يصل مساحتها إلى ٢٤٠٠م٢ ويطل على نيل الجيزة ـ تحول ليكون متحفًا يحمل اسمه واسم حرمه يضم مقتنياته الفنية الزاخرة بلوحات المدرسة الانطباعية الفرنسية وتم افتتاحه أيضًا فى عيد الثورة العاشر فى يولية ١٩٦٢.. وصاحب حفل الافتتاح سجلاً مطبوعًا لجميع المقتنيات وأوصافها.. غير أن هذا السجل للأسف أستولى أحدهم عليه.. اختفى تمامًا.. ولولا أن ثروت عكاشة احتفظ بنسخة منه ما كان له أثر يرى.



من مقتنيات متحف محمود خليل وحرمه

يعتبر متحف محمد محمود خليل وحرمه أحد أهم المتاحف فى مصر حيث يضم مجموة هائلة من روائع الفن العالمي من تصوير ونحت وخزف وجوبلان وغيرها.. لكن تبقى مجموعة الأعمال الخاصة بفناني القرن التاسع عشر في أوربا هى الأهم والأشهر لأنها تضم ٨٧٦ عملاً لأبرز فناني المدرسة التأثيرية، وبعض أعمال فنانى المدرستين الرومانيتكية والكلاسيكية.

تم تجديد المتحف عام ١٩٨٩ واستمرت عمليات الترميم والتطوير ٦ سنوات، وافتتح فى عام ١٩٩٥.. ويتفرع من متحف محمود خليل جزء مهم وحيوى، كموقع خاص للعروض المتحفية المتغيرة لرواد الفن التشكيلى المصرى والعالمى، هو قاعة «أفق واحد للعروض المتغيرة» تبلغ مساحتها ٣٤٠ متراً وقد افتتحتها سوزان مبارك في ٨ مارس ١٩٩٧ وكان أول معرض تشهده معرض (وجوه الفيوم).

قصر الفنون

حشدت وزارة الثقافة كل الإمكانات لإقامة «قصر للفنون» لجعله مجمعًا فنياً يستوعب النشاط الفنى بالعاصمة.. وليصبح إشعاعًا على الحركة الفنية التشكيلية والتعبيرية جميعًا.. وضع ثروت عكاشة حجر أساس القصر فى يوليو ١٩٦٢ فى الأرض الواقعة خلف مبنى المتحف المصرى.. لكن

الأرض تم سحبها من قبل لجنة تخطيط القاهرة الكبرى لمد نهاية شارع رمسيس [كوبري ٦ أكتوبر الآن].. فاتجه التفكير إلى الحديقة الفسيحة التي يستقر متحف محمد محمود خليل وحرمه في طرفها والممتدة بين نهر النيل وشارع الجيزة على مقربة من كوبري الجلاء.. لتكون مقر هذا القصر.

عهد عكاشة إلى المهندس الإيطالى «فرانكو منيسى» مصمم متحف مركب خوفو بعد ترشيح منظمة اليونسكو له بوضع تصميم لقصر الفنون.. بحيث يضع في اعتباره اجتذاب جماهير الشعب بجميع فئاته وطوائفه من مختلف سنوات العمر.. وانتهى في تصميمه إلى أن يجعل القصر يبدو وكأنه ذراعان مفتوحتان تحتضنان الرواد محطمًا بذلك جميع أشكال البناء التي تبعث الرهبة في الشخص العادي وتباعد بينه وبينها.

يضم الجناح الأول، وهو الهرمى الشكل، متحفى «مستنسخات المدارس الفنية العالمية عبر التاريخ»، و«الفن الحديث».. و«قاعة عرض الفنون المعاصرة» و«قاعة الحفلات» التى تتسع لألف شخص مزودة مقاعدها بآلات استماع للترجمة الفورية.. وتستخدم لعروض نادى السينما والمسرحيات والحفلات الموسيقية والمحاضرات الفنية.

الجناح الآخر «المكتبة الفنية» التي تتسع لحوالي سبعين ألف كتاب تتناول الموضوعات الفنية المختلفة، وتتيح للمتردد عليها أن يخدم نفسه بنفسه.. و«مكتبة الأسطوانات» يمكن أن تضم ثلاثين ألف أسطوانة تدار إما فى قاعة الاستماع الجماعي أو فى كبائن الاستماع الفردى..

ويضم أيضًا جناح أطفال يشمل متحفا للقصص والحكايات المصورة باللوحات والتماثيل ومكتبة وقسما للألعاب يحتوى على نماذج عديدة لمختلف اللعب منذ أقدم العصور مع بيان التطور الذى طرأ عليها.. فضلاً عن قاعة لحفلات الأطفال تقدم بها العروض السينمائية والمسرحية لا يشترك في أدائها غيرهم بعد تدريبهم، ثم مسرح العرائس.. يحتوى هذا الجناح أيضًا معهد «التذوق الفنى» التابع لأكاديمية الفنون فضلاً عن عشرة مراسم تطل على النيل يقيم بها الفنانون المتفرغون.

دار ابن لقمان

أقامت الوزارة «متحف دار ابن لقمان التاريخى» بمدينة المنصورة.. افتتحه الرئيس جمال عبدالناصر فى شهر مايو ١٩٦٠.. تضم قاعة العرض الرئيسية، لوحات زيتية لخريطة الدلتا المصرية، لشرح خط سير الحملة الصليبية داخل مصر عبر نهر النيل (فرع رشيد) حتى وصولها إلى مدينة المنصورة، واشتباكها مع الأهالى الذين أعدوا لهم كميناً داخل شوارع وأزقة المدينة.. وواجه الأهالى جنود الحملة الصليبية بأدوات حديدية زراعية بسيطة من بينها الفأس.. وهو ما تبرزه إحدى اللوحات بوضوح، حيث تبيِّن فلاحاً مصرياً يخنق جندي فرنسي، بالإضافة إلى مشاهد من معركة شعبية محتدمة انتهت بفوز المقاومة الشعبية على جنود الحملة، وطردهم من المدينة.



حديث باسم بين عبدالناصر وعكاشة فى متحف ابن لقمان الذى افتتح ١٩٦٠

حالة المتحف اليوم (عام ٢٠٢١) يرثى لها.. يعانى المتحف حالياً من عدم الإقبال عليه.. عدد الموظفين يفوق عدد الزوار.. يرجع سبب عزوف الزائرين إلى قلة معروضات المتحف وعدم تطويره.

اختفاء مستنسخات فن التصوير العالمى

راودت ثروت عكاشة عام ١٩٦٠ رغبة فى إنشاء «متحف للمستنسخات

في فن التصوير العالمى» مستعينًا بالكتالوج القيم الذى أعدته منظمة اليونسكو في مجلدين.. أحدهما للصور الكلاسيكية منذ عصر النهضة والآخر للتصوير المعاصر.. وطلب من سفراء الدول التى تمتلك هذه اللوحات فى متاحفها إهداءنا ما تستطيع من مستنسخات بشرط أن تكون من الطبعات التى أقرها كتالوج منظمة اليونسكو ضمانا لجودة مستواها.. وانهالت على الوزارة هذه المستنسخات التى تم الاحتفاظ بها إلى حين عرضها فى متحف المستنسخات «بقصر الفنون» الذى كانت الوزارة تزمع تشييده.

تلك كانت النواة الأولى للمشروع الذى كنا نملك إلى جواره أكبر مجموعة أثرية من العصر الفرعوني والعصر اليوناني الروماني والعصر القبطي والعصر الإسلامى.. غير أن ثروت عكاشة باختفاء هذا المشروع مع تقلده لوزارة الثقافة للمرة الثانية!.. ولا يدرى أين ذهبت تلك المستنسخات الفنية!! وقرر أن يستعيض عن تلك المستنسخات باستخدام الشرائح الملونة وأجهزة الكمبيوتر فضلاً عن الصور المستنسخة التى يمكن أن يعاد اقتناؤها من جديد.



سرقة المستنسخات

فنون السيرك

فنون السيرك

فى بداية الستينيات.. لم تسلم شركة أو مؤسسة من التأميم، كبرت أو صغر حجمها، وضمها إلى ممتلكات الدولة.. حتى الفرق الأهلية لألعاب السيرك لم تسلم من التأميم.

تأميم سيرك الحلو وعاكف

كانت فرق ألعاب السيرك الأهلية التى تم تأميمها عام ١٩٦١.. تتحكم فيها بصفة أساسية عائلتان شهيرتان رائدتان فى هذا المجال، هما عائلة: (الحلو).. وقد تأسس سيرك الحلو عام ١٨٨٩ على يد محمد على الحلو الذى حاول الاستفادة من الفرق الأجنبية التى كانت تقدم عروضا فى عهد الخديو إسماعيل.



محمد الحلو حفيد مؤسس سيرك الحلو فى فيلم البحث عن فضيحة

ينتمى إلى هذه العائلة الفنان محمد الحلو، حفيد مؤسس السيرك.. كان قد شارك بأدوار صغيرة فى نحو ٣٠ فيلمًا من بينها البحث عن فضيحة، ورصيف نمرة خمسة، وابن حميدو، وعنتر بن شداد.. كان من أشهر مدربى الأسود، عمل فى السيرك القومى بالعجوزة في فترة السبعينيات.. لقى مصرعه في حادثة شهيرة فى منتصف الثمانيات عندما انقض عليه الأسد «سلطان» ولفظ أنفاسه الأخيرة في المستشفى.. ففى أحد العروض، حينما استدار محمد

الحلو ليتلقى تصفيق المتفرجين بعد استعراض ناجح مع الأسد (سلطان)، وفى لحظة خاطفة قفز الأسد على كتفه من الخلف وأنشب مخالبه وأسنانه في ظهره.. وسقط الحلو على الأرض ينزف ومن فوقه الأسد الهائج.. واندفع الجمهور والحرّاس يحملون الكراسي. وهجم ابن الحلو على الأسد بقضيب من حديد وتمكن أن يخلص أباه ولكن بعد فوات الأوان. ونقل الي المستشفي وتوفي بعد ذلك بأيام. كانت آخر كلمة قالها محمد الحلو وهو يموت: أوصيكم ما حدش يقتل سلطان. تم ارسال الاسد الى حديقة الحيوان باعتباره مفترسا وخطر على العمل بالسيرك.. وبعد أيام مات «سلطان».

والعائلة الثانية هي عائلة (عاكف) أسس السيرك إسماعيل عاكف فى محافظة طنطا عام ١٩١٢، وهو والد الفنانة نعيمة عاكف.. التي كانت تتقن المشي على الحبل ولعب الأكروبات قبل أن تتجه إلى التمثيل فى السينما في خمسينات القرن الماضى.. من اشهر افلامها: فتاة السيرك، تمر حنة، لهاليبو، وأربع بنات وضابط.. وحصلت نعيمة عاكف على لقب أحسن راقصة في العالم من مهرجان الشباب العالمي بموسكو عام ١٩٥٨ ضمن خمسين دولة شاركت في هذا المهرجان.. اغتال مرض السرطان شبابها.. ماتت وعمرها ٣٧ عامًا.



نعيمة عاكف

السيرك القومى

اهتم جمال عبد الناصر بإنشاء سيرك، بعد أن أطلع على التجربة السوفيتية التى بُهر بها عندما زار الاتحاد السوفيتى آنذاك.. من هنا جاءت فكرة إنشاء السيرك القومى.. بغرض توفير خدمة ترفيهية للناس الغلابة بأسعار رخيصة يستطيع أن يقبل عليها الجميع..

يقول د.ثروت عكاشة انه بناء على رغبة شخصية من الرئيس عبدالناصر وضعت وزارة الثقافة نـواة (السيرك القـومى) لإحياء فنون السيرك الشعبية التي كادت تنقرض والتى هبط مستواها وتعثرت نتيجة للظروف الاقتصادية التى مرت بها مشروعات السيرك الخاصة والفردية مع أهمية هذا الفن للترويح عن الأطفال بل والكبار.

تأسس السيرك القومى عام ١٩٦٠.. وكان مقره الحديقة الخلفية لقصر عابدين.. وعقب إعلان التأسيس، انضم إليه بعض أفراد عائلتى (الحلو وعاكف) ليكونا نواة وعصب هذا السيرك.. واستقدمت وزارة الثقافة الخبير السوفييتي مايسترنكو الذى مضى يطوف بصحبة الفنانين المصريين بفرق السيرك الأهلية وببعض مدن الأقاليم لاختيار العناصر الصالحة.. ثم أجرى اختبارا لكل المرشحين للالتحاق بالسيرك القومى قبل إنشاء مركز التدريب مع مطلع عام ١٩٦١.. وذلك تحت إشراف الفنان أحمد سعدالدين.. وكان د.ثروت عكاشة قد ظل بأخر سنوات عمره يشعر بالأسى والندم على أنه لم يجز هذا الرجل لإخلاصه وجدارته.

استـعـانـت الوزارة إلـى جـوار الفنان مايسترنكو بخبراء سوفييت آخرين فى فنون السيرك المختلفة إلى أن أخذ التدريب حقه.. فقدم السيرك القومى أول عروضه فى يناير ١٩٦٦.. وتحققت شهرة السيرك ومجده على يد الخبراء الروس.. واصلوا تدريب اللاعبين لمدة أربع سنوات متصلة.

وبعد ذلك تم إرسـال عشرات البعثات إلى الصين وروسيا حتى عام ١٩٧٥.. وأصبح السيرك القومى واحـدًا من أهم الكيانات التى تقدم فنون السيرك فى العالم.. وحصل على جوائز عالمية فى مهرجانات «باريس» و«مونت كارلو» و«الصين» و«فيتنام» و«المغرب».

السيرك شاخ ويحتاج تطويرًا

شهد مجلس الشعب استجوابًا من النائب تامر عبدالقادر لوزيرة الثقافة إيناس عبدالدايم في يناير ٢٠٢١.. طالب فيه بالاهتمام بالسيرك، قائلا: السيرك القومى شاخ ولا يوجد من يهتم به.. وأعلنت وزارة الثقافة في فبراير ٢٠٢١ بأن عمليات التطوير مستمرة فى السيرك القومى، بجميع المواقع حيث تنتشر عدد من شعب السيرك في أكثر من مدينة.. وتم تحديث سيرك «جمصة» و«١٥ مايو» بأحدث الأجهزة الإلكترونية من الصوت والإضاءة، وتم تشييد شاشة عرض عملاقة، وسيتم تصنيع خيم جديدة.. وتم إلحاق ٢٠ طفلاً ممن أتموا السن القانونية للعمل بالسيرك القومى، وتنظيم دورات تدريبية لهم في فنون السيرك، ليكونوا نواة جيل جديد من الفنانين المتخصصين في هذا المجال.

الآثار.. ومعجزة القرن العشرين

الآثار.. ومعجزة القرن العشرين

«أنا المحتفي بتاريخ مصر.. من يصن مجد قومه صان عرضًا».. صدق أمير الشعراء أحمد شوقى.. هكذا كان د.ثروت عكاشة الذى لولا جهوده بمعاونة منظمة اليونسكو لاختفت آثار النوبة من الوجود.

لم ينس عكاشة كتابًا اطلع عليه بعنوان (موت فيلة) للأديب الفرنسى الشهير بيير لوتى، صدر عام ١٩٠٧.. كان المؤلف ممن يهيمون بتراث مصر ويقدسونه.. وأصابه الفزع لما نال بعض هذا التراث من غمر المياه له بعد أن شيد خزان أسوان خلال الفترة من ١٨٩٩ و١٩٠٦.. وضع حجر أساسه الخديوى عباس حلمى الثانى وافتتح فى عهده.. وإذ بالمؤلف يناشد المثقفين المصريين بأن يهبوا للذود عن تراثهم متخذا من غرق جزيرة فيلة لؤلؤة مصر رمزًا لموت مصر القديمة، وإيذانًا بنهاية هذه الأمة التى خلقت أول حضارة وأروعها.. ولإنقاذ معابد فيلة يستلزم بداية سحب المياه من تحت قدمى إيزيس.. وأنهى كتابه بصرخة فاجعة يتمنى فيها على المصريين أن يهرعوا الى الحفاظ على تراثهم كى يبقى نبعا تستلهمه إلى الأبد الأجيال القادمة.. أن الحياة إلى زوال ولكن الفن والآثار خالدة.

الحيرة بين التنقيب والحماية

واجه د.عكاشة سؤالًا هامًا كان لابد من الإجابة عليه إجابة حاسمة.. أن يفاضل بين أمرين.. التوسع فى سياسة الحفر لنستخرج كل يوم أثرًا جديدًا من جوف الأرض فنضيف إلى ما لدينا من تراث ضخم ومتنوع آثارًا جديدة لا شك فى روعتها.. أم أن الواجب العلمي والعملي يقتضى أن نتريث قليلاً لترميم ما لدينا من آثار حفاظًا عليها مع تحسين مواقعها وتسجيل ما يحتاج منها إلى تسجيل ومع تناول بعضه بالنشر العلمى سواء فى الكتب أو الدوريات المتخصصة.. ومع التفكير في حلول جديدة تنظم حراسة الآثار المتناثرة هنا وهناك في أنحاء الدولة على وجه يضمن لها السلامة والأمان ويقيها عبث العابثين.. فهى لا تزال إلى اليوم مكدسة فى المخازن بطريقة بدائية تعرضها للتلف والضياع ولا تحول دون أن تمتد إليها يد سارق.. حتى إذا فرغنا من هذه المهمة الرئيسة نعود إلى سياسة التنقيب من جديد؟.

لم يكن الوقوف على إجابة لهذا السؤال أمرا هينا.. فقد كان أى كشف جديد وما فيه من إغراء تمليه رغبة إنسانية دفينة من العسير مقاومتها.. فضلاً عما يمكن أن يحدثه قرار إرجاء أعمال الحفائر من تأويلات ضارة في بعض الدوائر العلمية.. وانتهى الأمر إلى الأخذ بسياستين متلازمتين: الأولى إعطاء الأسبقية الأولى للترميم والتنظيف والتسجيل والنشر العلمى. والثانية تشجيع البعثات الأجنبية على مواصلة الحفائر والتنقيب حرصا على أن يستمر تيار علم الآثار متجددًا ومضطردًا، خاصة وأن أى كشف جديد قد يزيح ستارا عن غموض يكتنف ما تم اكتشافه فعلاً، وقد يضيف تفسيرات من الجائز أن تغير من تفسيرات سابقة .

الاتحاد الاشتراكى يرفض التوعية بالتراث

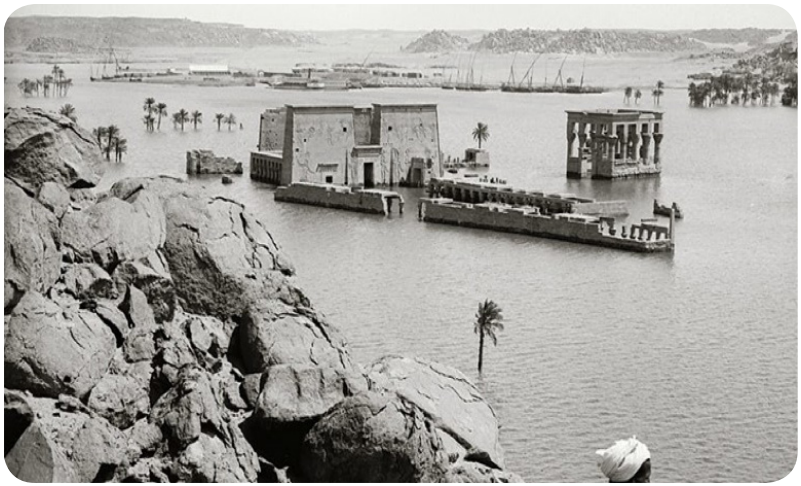
تطلع ثروت عكاشة إلى ربط الأثر بالناس لضمان حمايته.. لكن سرعان ما تبين أن هذا الربط ليس ميسرًا لوقوع الأثر فى أماكن مكدسة بالسكان.. بل منها ما بات يستغل فى غير الأغراض التى ينبغى أن يخصص لها.. كما هو الحال فى الآثار الإسلامية بالقاهرة ورشيد على وجه الخصوص.. وطلب من مصلحة الآثار حصر هذه الآثار حصرا علميا ودقيقا ووضع برامج زمنية لترميمها وصيانتها.. وطرح فكرة تكوين جمعيات ثقافية أو نواد فنية بالأحياء التي توجد بها آثار إسلامية بهدف إشاعة نوع من التوعية الفنية بهذا الآثار تغرس في المواطن الصلة بتراثه وتنمي فيه حاسة تذوق ما ينطوى عليه من إبداع فنى..

غير أن هذه الأمنية لم يتحقق منها شيء لتقاعس الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى من بعده عن مد يد العون لنا فى هذا المجال.. وقد كان ذلك أحد سلبيات التنظيم السياسي تجاه وزارة الثقافة .

طائرة عسكرية لوزير الثقافة

عند تقلد ثروت عكاشة منصب وزير الثقافة فى نوفمبر ١٩٥٨.. زاره السفير الأمريكى ومعه روريمر مدير متحف المتروبوليتان بنيويورك، وبادره قائلا: جئت أشترى واحدًا أو اثنين من معابد النوبة المحكوم عليها بالغرق جراء بناء السد العالى.. ضاق عكاشة بأن يدور فى خلد أحد أن يكون تراث

أسلافنا يباع ويشترى.. ورد عليه معاتبًا: تراث الأسلاف ليس معروضًا للبيع.. والجدير بمتحف المتروبوليتان أن يبادر بالعون العلمى لإنقاذ هذا التراث الإنسانى بدلًا من التفكير فى شرائه.



معبد فيلة قبل إنقاذه من الغرق

كان هذا اللقاء هو شرارة ميلاد مشروع أثرى يعد من أعظم الإنجازات فى القرن العشرين.. فقرر منذ اللحظة أن يقوم بنفسه بتفقد منطقة النوبة مع د.أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس ومدير مركز تسجيل الآثار والمهندس محمد مهدى رئيس الإدارة الهندسية بمصلحة الآثار.. واستقلوا طائرة هليكوبتر وضعتها القوات الجوية تحت تصرفه لتفقد حال مختلف المواقع الأثرية.. وأمضوا أسبوعين بين معابد النوبة متنقلاً بالباخرة ما بين وادى حلفا جنوبًا حتى أسوان شمالاً.. أدرك عكاشة ضرورة التحرك السريع، وأسبقية عن غيرها، لإنقاذ معابد النوبة السبعة عشر نظرًا للمصير المأساوى الذى يحيط بها.. وإلا على عاشقى الآثار إلقاء نظرة الوداع على آثارنا ومياه البحيرة الجديدة تبتلعها فى جوفها الرهيب لتخفيها عن عيوننا إلى الأبد.

كان المفروض ان تقوم وراء السد العالى بحيرة صناعية فسيحة تمتد حوالى

٣٠٠ كيلو متر فى أرض مصر وحوالى ١٨٧ كيلو مترًا فى أرض السودان.. ويرتفع منسوب المياه فيها الى ١٨٠ مترًا فوق سطح البحر.. ومعنى هذا أن تغمر مياه البحيرة الجديدة جميع آثار بلاد النوبة المصرية والسودانية إلى الأبد.. ولن يفلت أيضًا معبدا أبوسمبل أكثر معابد المنطقة ارتفاعا من هذا المصير الفاجع الذى لم يتعرضا له من قبل.. عند بناء خزان أسوان الذى لاتتخطى ارتفاع مياهه ١٢١ مترًا.. أى أقل من مستوى السد العالى بـ٦٢ مترًا..

هكذا كانت الصورة أواخر عام ١٩٥٨.. أيد مكتوفة أمام بناء السد العالى وخطر محدق بآثار النوبة الغالية.. والسؤال الذى بدأ يتردد بذهن ثروت عكاشة.. كيف لثورة ١٩٥٢ أن تشترى رخاء المستقبل بالتفريط فى معالم خالدة من تراث الماضى؟ وكيف يكون مستقبلنا مشرقا إلاّ إذا كان امتدادا لماضينا العريق؟

اللجوء إلى اليونسكو

خلال عمله ملحقًا عسكريًا بباريس على مدى ٣ سنوات.. تابع عن قرب نشأة منظمة اليونسكو كإحدى منظمات الأمم المتحدة الوليدة التى ينص ميثاقها على صيانة الآثار الفنية ذات الأهمية التاريخية.. فقرر ان يلجأ إليها من خلال كريستيان ديروش مستشارة اليونسكو بمركز تسجيل الآثار بمصر والتى كانت شديدة القلق على الآثار المهددة بالغرق.



فيتوريو مدير منظمة اليونسكو باريس ١٩٥٩

عرض عكاشة قضية آثار النوبة على المجلس التنفيذى لليونسكو بباريس فى يونيو ١٩٥٩.. ورغم العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين مصر وفرنسا حينذاك لبى عكاشة الدعوة بعد استئذان رئيس الجمهورية.. كان عدد الدول فى منظمة اليونسكو فى ذلك الوقت ١١٣ دولة.. تحمست اليونسكو ومديرها فيرونيزى لمشروع إنقاذ آثار النوبة على أن تتحمل مصر ثلث تكاليف المشروع بموافقة الرئيس جمال عبدالناصر.. اغرورقت عيني ثروت عكاشة بدموع الفرح، وهو يتمتم عبارة الشاعر اليونانى منائدر (ما أسمى الإنسان بين المخلوقات حين تتكامل له إنسانيته).

وأوفدت اليونسكو بعثات خبراء جيولوجيين ومهندسين ومعماريين لوضع تقارير عن معابد النوبة وإمكانيات إنقاذها.. واعتبر المجلس الأوروبى آثار النوبة أحد الكنوز الكبرى للتراث الثقافى الإنسانى.. وأن هناك مسئولية تقع على عاتق أعضاء المجلس الآوروبى إزاء العمل الذى تدعو له مصر واليونسكو.. وتقدمت حكومة ألمانيا الاتحادية بمشروع لإنقاذ معبد كلابشة الذى يعد أكبر وأهم معابد بلاد النوبة من الناحية الأثرية.. وشاركت بريطانيا فى مشروع ابوسمبل بمبلغ ٢١٢ ألفًا و٩٢٥ دولارًا.. وساهمت السويد بمبلغ نصف مليون دولار، وكانت رابع دولة تقدم مساهمة فعالة لمشروع أبوسمبل بعد الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا.. كان الملك جوستاف السادس شديد الاهتمام بالآثار المصرية، فقبل رئاسة لجنة الرعاية الشرفية لمشروع إنقاذ آثار النوبة.

الفراعنة فى أوروبا وأمريكا لجلب المال

تبين أن لدينا مجموعة ضخمة من الآثار أشبه ما تكون بالسفراء لنا لدى الدول.. تنطق بلسان أفصح ما يكون بياناً وإقناعاً.. لو أرسلناها للعرض بالخارج لحمل إلى العالم رسالة خلاصتها أن الناس الذين استطاعوا أن يقدموا للإنسانية هذا الجلال المهيب منذ آلاف السنين قادرون على استئناف الرحلة إلى التقدم والتميز.. هكذا نشأت فكرة عرض آثارنا في الخارج لأول مرة.. لجلب المال اللازم لإنقاذ آثار النوبة.



فى افتتاح معرض مصر فى ٥ آلاف عام ببروكسل

ولأول مرة منذ عهد الخديوي إسماعيل ترسل مصر آثارها إلى الخارج، عام ١٩٦٠ فى مجموعتين: مجموعة «معرض الـ٥٠٠٠ سنة من التاريخ المصرى» الذى طاف معظم دول أوروبا، بدأ فى بروكسل بحفل حضرته الملكة الوالدة أليزابيث التى وهبت جهودها لخدمة الآثار والموسيقى.. وهمست لثروت عكاشة أنها لن تدخر وسعًا فى سبيل دفع مشروع إنقاذ آثار النوبة للأمام.. بعد العاصمة البلجيكية بروكسل طاف المعرض عواصم هولندا وسويسرا وألمانيا الاتحادية والمملكة المتحدة على مدى ٣ سنوات.. تبعتها معارض للفنون الإسلامية والقبطية.. ومجموعة «معرض توت عنخ آمون» طافت الولايات المتحدة وكندا ثم طوكيو وباريس ولندن.

التكتم على سرقة عصا «توت عنخ آمون»

تقرر ان تطوف مجموعة «معرض توت عنخ آمون» ١٢ ولاية أمريكية تخصص حصيلته للإنفاق على مشروع الإنقاذ.. افتتحته جاكلين كيندى قرينة الرئيس الأمريكى وقتذاك.. وقدم لها د.عكاشة تمثالات صغيرة من تماثيل الدولة القديمة هدية من شعب مصر للشعب الأمريكى.. وأودعت بعد ذلك فى أحد المتاحف الأمريكية.

تحرك معرض «توت عنخ آمون» وكأنه يغزو أمريكا وقد شق طريقه عبر ولاياتها في زهو وكبرياء مثل نجم من نجوم الفن المعاصرين أكثر منه ملكًا تاريخيًا.. وما من صحيفة ولا من مجلة إلا وكانت تطالع القراء بصورة وجهه الحالم الغض، كما حفلت فترينات المحال عامة بصور له ونماذج من قناعه.. وكذا لم يفت التليفزيون عرض الكثير من المشاهد المتصلة به.



فى استقبال جاكلين كيندى بواشنطن لافتتاح معرض توت عنخ آمون ١٩٦١

فى إحدى جولات المعرض بالولايات الأمريكى بولاية تكساس يوم ١٣ مارس ١٩٦٢.. اكتشف عند فتح الصناديق للعرض فى الولاية سرقة العصا المثبتة فى أحد تماثيل الشوابتى الخاصة بتوت عنخ آمون ويبلغ طولها ١٢سم.. أبلغ السفير الأمريكى د.جون بادو، عكاشة بذلك الذى أبلغ بدوره رئيس الجمهورية.. ونشرت الواقعة بالصحف المحلية والعالمية.

بعد النشر وصل خطاب لعكاشة من السفير الأمريكى بالقاهرة يبلغه

بالعثور على العصا.. وعليه تصحيح الخبر بوسائل الإعلام.. وهو الأمر الذى رفضه عكاشة الا بعد التأكد من وجود العصا ذات القيمة الأثرية المهمة.. وكان محقًا حيث لم تعد العصا!! فقد رأى د.أحمد فخرى المرافق للمعرض استكمالا للشكل، أن تصنع عصا مشابهة حتى لا يبدو التمثال ناقصًا.

دفعت هذه الواقعة الحكومة الأمريكية الى تشديد الحراسة على المعرض والتعويض عن فقدان العصا التى لا تقدر بمال والتى لا يزال اختفاؤها لغزًا حتى اليوم.

فرنسية تحرم نفسها من العشاء لإنقاذ المعابد

نجحت الحملة الدولية فى تعريف الرأى العام العالمى بالنوبة وآثارها.. وصل هذا التأثير إلى كل بيت وكل مدرسة فى الخارج.. تلقى عكاشة رسائل تشجيع من أشخاص من بلاد بعيدة فى أوروبا وأمريكا.. ورسالة من طفلة فرنسية أرفقت بها عددًا من طوابع البريد تبرعًا منها وأرفقتها بعبارة «كى لا تختفى معابد النوبة».

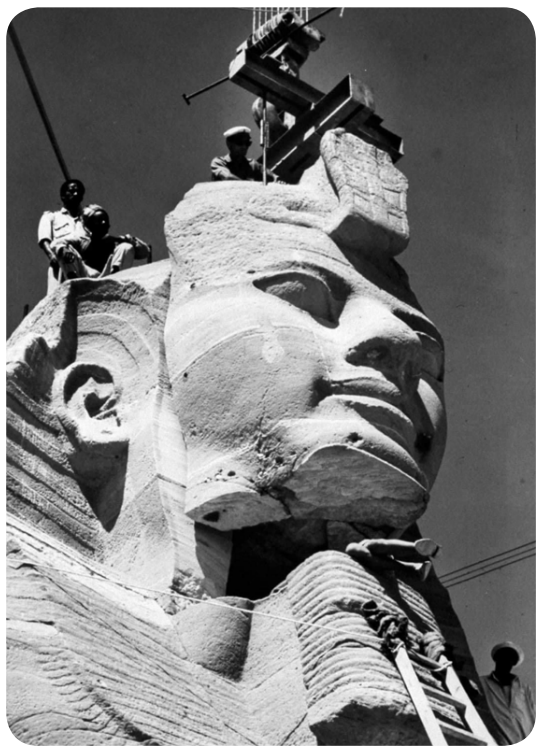
وأرسلت جدة فرنسية بضع فرنكات وقالت فى رسالتها إنها حرمت نفسها من العشاء ٧ ليال للتبرع بهذا المبلغ حتى لا يحرم أحفادها من رؤية تلك الآثار شامخة فى مكانها لا يصيبها البلى.. وقال الأديب الفرنسى أندريه مالرو الذى كان وزيرا لثقافة فرنسا: فى الوقت الذى نجمع فيه فى علاقة أسرية واحدة خير الإبداعات فى العديد من الحضارات التى لا تعرف شيئًا عن بعضها البعض بل لعلها تضمر لبعضها الكراهية.. عملية (انقاذ آثار النوبة) تجمع الناس معًا كى يقفوا فى وجه قوى الفناء.

تحريك معبد أبوسمبل وملوكه الأربعة

كان مشروع إنقاذ أبوسمبل برفع المعبدين إلى أعلى بداية من عام ١٩٦٠ مطمئنا للذين يكنون لآثارنا تقديرًا عميقًا.. وحتى يتحمل معبدى أبوسمبل الرفع كان من الضرورة تقوية أحجاره الرملية الضعيفة.. عهد د.عكاشة الى د.زكى إسكندر مدير المعمل الكيميائى بمصلحة الآثار ومعه ١١ كيميائيًا ومرممًا وعدد كبير من العمال الفنيين بالقيام بكافة أعمال الترميم والتقوية

اللازمة للمعبدين.. كما تم الاستعانة بمتخصصين فى علم الفلك .

هدفت المرحلة الأولى لعملية الإنقاذ إقامة سد واق من الركام الصخرى حول المعبدين تتوسطه حواجز حديدية.. انتهى بناء هذا السد قبل ان تعلو مياه بحيرة ناصر سنة ١٩٦٥ لنحو ١٣٣ مترًا فوق سطح البحر.



العمال داخل رأس رمسيس

بدأت المرحلة الثانية بنشر الكتل الحجرية للمعبد، ثم نقلها الى الموقع الجديد للمعبدين فوق الهضبة.. وبعد الفك والنقل بدأت عمليات إعادة البناء على ارتفاع حوالى ٦٤ مترًا أعلى من الموقع الأصلى فى نفس الاتجاه القديم للمعبدين.. وأنجزت هذه العملية فى نهاية العام نفسه.. ثم مرحلة

بناء التلال الصخرية فوق كل معبد حتى يأخذ المعبدان شكلهما القديم.. وذلك ببناء قبة خرسانية فوق كل معبد.

المعجزة تتحقق

معبدا أبوسمبل اللذان يعدان درة من درر العمارة المصرية القديمة.. تم نقلهما ثم إعادة تشييدهما فوق هضبة بدقة متناهية تعتبر عملاً هندسيًا معماريًا لم يسبق له مثيل.. هو أقرب إلى تحقيق المعجزة.. وتم بذلك إنقاذ معابد النوبة الـ١٧ جميعًا.

أوضح عكاشة أن معبدى أبوسمبل اللذين بقيا على مدى ٤ آلاف سنة سيظلان باقيين على مدى الدهر.



المعجزة تتحقق مع نقل رمسيس ورفاقه ومعبدهم أبوسمبل

شاعت فرحة تحويل الحلم إلى حقيقة فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٨.. فرحة انتزاع أجمل آثار حضارتنا القديمة من يد الفناء وإنقاذ معبدى أبوسمبل.. ألتف على تحقيقها أياد من مختلف أنحاء العالم يذوب معه اختلاف اللغات والأجناس

والأديان.. وأقيمت احتفالات واستقبلت مصر فى ذلك اليوم ٥٠٠ شخص من رجال الثقافة من مختلف مناحى العالم ليشهدوا فرحة مصر واحتفالها بإنقاذ معبدى أبوسمبل.

«توت» فى باريس

لاحتياج المشروع لمزيد من المال، نظمت معرضًا فى ١٦ فبراير ١٩٦٧ لتحف توت عنخ آمون فى باريس استمر ٤ شهور بسبب الإقبال الشديد.. محققًا إيرادات غير متوقعة من العملات الصعبة اللازمة لاستكمال تمويل مشروع الإنقاذ.. احتفى الرئيس ديجول بثروت عكاشة بغداء رسمى تكريمًا له بقصر الإليزيه.. لم يكن ديجول مرحبا بما نبذله من جهود حربية فى اليمن.. مبررًا رأيه بأن ترتيب البيت داخليًا هو أول ما تعنى به الدولة.



ديجول وزوجته مع توت عنخ آمون

على ان القدر قد شاء بعد هذه الإشراقة التى شاهدتها مصر بكل مجدها فى قلب عاصمة النور باريس أن تسقط أسيرة هزيمة مريرة بعد بضعة أسابيع من هذا اللقاء فى ٥ يونيو ١٩٦٧.

إنقاذ معابد النوبة الـ١٧

تم إنقاذ معبدى طافة ودابود.. وتم نقل معبد «كلابشة» خلال الأعوام من ١٩٦١ إلى ١٩٦٣ من موقعه القديم جنوبى أسوان بحوالى ٥٧ كيلو مترًا، لكى يأخذ موضعه الجديد الذى حدد له على بعد ٧ كيلو مترات جنوبى هذه

المدينة على الضفة الغربية للنيل مواجها السد العالى.. قامت بتنفيذ ذلك ألمانيا الاتحادية وحدها بديلا عن الإسهام عن معبدى أبوسمبل.

وساهمت الولايات المتحدة بحوالى مليون جنيه فى إنقاذ ثلاثة من آثار النوبة هى: «معابد بيت الوالى» و«وادى السبوع» و«مقبرة بنوت».. فأعيد بناء «بيت الوالى» فى منطقة كلابشة وأعيد تشييد «مقبرة بنوت» فى منطقة عمدا على بعد ٣ كيلو مترات إلى الداخل من الوقع القديم لهذا المعبد.. بينما جرى نقل «معبد وادى السبوع» على بعد ٤ كيلو مترات من موقعه القديم.

كذلك أعادت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٦٣ بناء «معبد قرطاسى» بجوار «معبد كلابشة» فى أماكنها الجديدة فوق منسوب بحيرة السد العالى.

ساهمت فرنسا فى إنقاذ «معبد عمدا» خلال عامى ١٩٦٤ و١٩٦٥ بنقل الجزء الخلفى كتلة واحدة بسحبه على قضبان نحو الغرب لمسافة ٣ كيلو مترات، والجزء الأمامى قامت مصلحة الآثار بفكه ثم إعادة فرنسا بتشييد المعبد على نفقتها بمنطقة عمدًا التى نقل اليها أيضًا «معبد مقبرة بنوت» و«معبد الدر».. وفى منطقة وادى السبوع قام «صندوق تمويل إنقاذ معابد النوبة» بإنقاذ «معبد الدكة» ١٩٦٣ الذى أعيد تشييده عام ١٩٦٩.. وأعيد إلى جواره بناء معبد «المحرقة» و«معبد وادى السبوع».

إنقاذ اللؤلؤة الغرقى

فى مطلع القرن الماضى أقيم خزان أسوان وبدأت المياه المختزنة تتسلق جزيرة فيلة المقدسة.. ودخلت الى المعابد مع المياه الزاحفة معركة الموت والحياة.. واسرعوا بترميم المعابد وتقوية أساساتها.. والمياه تزداد عاما بعد عام حتى تمت تعلية الخزان مرتين.. فأصبحت مع الفيضان تغمرها المياه طوال العام ولا تنحسر عنها إلا خلال شهرين أو ٣ شهور.. ثم جاء مشروع السد العالى ليهددها بالغرق تمامًا.

وعلى حين كانت الأقدام من قبل تلمس أرضية معبد إيزيس غدت العيون لا تقع على غير السقوف وقمم الأعمدة ونحن نجول حولها.. فنحس كأن إيزيس الشامخة تمد يديها نحونا مستغيثة تستصرخنا بأن نهرع إلى إنقاذها من الماء.. لم يغفل احفادها شأنها وينقذوا معابد فيلة أخر ما بقى من المعابد

المهددة بالغرق والاندثار.



روبرت كندى يلقى كلمة فى الاحتفال بإنقاذ أبوسمبل وإلى يساره عبدالمنعم الصاوى وزير الإعلام ٢٢سبتمبر ١٩٦٨

نقل المعبد الى جزيرة «أجليكيا» على بعد ٣٠٠ متر من جزيرة فيلة.. والسبب لاختيار «أجليكيا» لقربها وارتفاع سطح الأرض بما يضمن عدم تعرض المعبد للخطر.. استغرق ذلك ٥٨ شهرا.

وبعد إنقاذ معابد فيلة التى ظنها بيرلوتى صاحب كتاب (موت فيلة) فى مطلع القرن الماضى تسلم أنفاسها الأخيرة والماء يعلو رويدا رويدا ليبتلع كل يوم مزيدا من جسدها العملاق.. غير لم يشأ أحفادها لهذا الجزء من حضارة الوطن أن يندثر أو يتخطفه ملك الموت فى زحمة الانشغال بهموم المصريين.. وتم سحب مياه السد من تحت أقدام إيزيس وتصعد بها الى قمة جزيرة إيجيليكا كى ترفرف من جديد راية من رايات حضارة الإنسان خالدة.. ولو بعث بيرلوتى للحياة لكتب خاتمة بعنوان (بعث فيلة) بعد كتابه اول القرن (موت فيلة).

تتراءى لنا صورة إيزيس تخرج من أغوار الماء الذى ينحسر عن جسدها شيئا فشيئا منبثقة من أعماق تاريخ مصر تملأ الأفق كله بجلالها وتألقها.. ولم

تعد ذراعها المرفوعتان ذراعا غريق يطلب النجدة بل ذراعا ربة جمال تياهة بالسحر والإشراق.

معابد فيلة آخر حلقة من حلقات عملية إنقاذ آثار النوبة.. وشملت إنقاذ ١٧ معبدًا.. وهى كل المعابد التى كانت موجودة جنوب السد العالى.. قيمة هذه المعابد إنها حركة اتصال بين الحضارة الفرعونية القديمة والحضارة الإغريقية الرومانية.. تضم الجزيرة عددًا من المعابد من بينها «مذبح لطهارقا» و«معبد ناقتنكو» وهما من ملوك الأسر المتأخرة فى العهد الفرعونى.. وعددًا من المعابد أقامها بطليموس الثانى فى العهد البطلمى، ثم عددًا من المعابد أقامها الرومان لتمجيد عبادة إيزيس.. وفى مستهل العهد المسيحى قام بعض الرهبان باستخدام هذه المعابد كأماكن للعبادة.. ومن ثم تعتبر هذه المعابد حلقة اتصال هامة بين حضارتين هامتين فى التاريخ.

تكلف المشروع ١٢ مليون دولار تحملت مصر منها ٤ ملايين دولار وساهمت المانيا الاتحادية (قبل انفصال الألمانيتين) بنصف مليون دولار.. هيئة الاغذية والزراعة الدولية المعروفة بالفاو بوجبات بنحو مليونا دولار.. وانعقدت اللجنة العليا لإنقاذ آثار النوبة فى باريس مقر اليونسكو حيث ساهمت دول أخرى فى هذا المشروع.

٥٠٪ من الآثار المكتشفة هدية لمن يكتشفها!

لتحفيز الهيئات العلمية فى أنحاء العالم كى تمد يد العون للمشروع.. أبلغ عكاشة اليونسكو استعداد حكومة مصر منح البعثات التى تعمل فى بلاد النوبة فى مجال الحفائر ما يعادل ٥٠ فى المائة من الآثار التى تكتشفها مع استثناء الآثار الفريدة، وتلك التى تكمل مجموعة أثرية فى متاحفنا.. يقول عكاشة: لم يكن هذا المبدأ غريبا على نظام العمل بمصلحة الآثار.. لكن كان لابد من إعلانه جهرا وجعله مبدأ للعمل فى حقل الحفائر والتنقيب فى ربوع النوبة.

معابد هدية للدول صاحبة المساعدات الأكبر

فى مؤتمر عقد أول أكتوبر ١٩٥٩ بمركز تسجيل الآثار، ضم ١٣ خبيرًا فى الآثار والجيولوجيا والهندسة والمعمار من شتى الدول.. أعلن عكاشة موافقة

الحكومة المصرية على ما سبق ان وعدت به.

وهى منح بعض معابد النوبة للدول التى تساهم مساهمات فعالة فى عمليات إنقاذ المعابد الهامة فى بلاد النوبة خاصة معبدى أبوسمبل.

وأعلنت عن هذه المعابد وهى: طافة ودابود ودندور والليسيه والدر.. وفقا لاختيار لجنة من مصلحة الآثار وأساتذة الآثار بالجامعات المصرية.. وفى صيف ١٩٦٠ عقدت الحكومة المصرية العزم على النقل على نفقتها معبدى طافة ودابود المهددين بالغرق نهائيا نتيجة لانخفاض منسوبها.. سرعان ما برت مصر بوعودها ففكت معبدى طافة ودابود ونقلت أحجارهما الى جزيرة ألفنتين بأسوان.

وقد برت وزارة الثقافة بوعودها فأهدت معبد دندور إلى الولايات المتحدة الذى أقامته فى متحف المتروبوليتان بنيويورك.. وأهدت معبد دابود إلى أسبانيا الذى تم إعادة تركيبه فى الميدان الملكى بمدريد.



معبد «دندور» بمتحف متروبوليتان بنيويورك

وأهدت معبد طافا إلى هولندا حيث أعيد تشييده فى متحف ليدن.. وأهدت مقصورة الليسيه إلى إيطاليا التى أقامتها فى متحف تورينو.. وأهدت فرنسا بناء على رغبتها رأس أمنحتب الرابع.

مصر تساهم بإنقاذ آثار فلورنسا والبندقية

وكما ساندتنا إيطاليا.. ساندتها مصر.. فقد دعا «عكاشة» خلال عضويته في اليونسكو إلى إنقاذ مدينتي البندقية وفلورنسا وما تحويان من كنوز إزاء المخاطر التي تعرضت لها حينذاك، وكانت مصر أول دولة تبرعت لإنقاذ آثار فلورنسا، وحينما تم انتخاب عكاشة نائبًا لرئيس اللجنة الدولية لإنقاذ البندقية لم يتردد في القبول وتطوع للعمل بها ما يزيد على ١٠ سنوات.

قانون الآثار.. بدأ بالحماية وانتهى بالتفريط

أهديت قطع أثرية مكررة لبعثات دول أخرى متعاونة وتشارك بحفريات النوبة.. وفقا لقانون حماية الآثار عام١٩٥١. هذا القانون قبل ان يعدل عام ٢٠١٠، كان قد أرسى مبدأ القسمة مع البعثات الأجنبية.. تحول فيما بعد إلى باب للتفريط فى أكثر من نصف آثارنا!! وتحولت قوانين حماية الآثار إلى تشريع للتفريط وتهريب الآثار.

يضاف إلى ذلك مئات القطع المهداة من بعض حكام مصر للأجانب.. وكان الرئيس السادات أكثرهم سخاء «أكثر من ١٠٠ قطعة أثرية» لأشخاص منهم إمبراطور إيران محمد رضا بهلوي عام ١٩٧١ ووزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر ١٩٧٣ والرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان ١٩٧٥. ويقول المستشار القانونى للآثار أشرف العشماوى أن إهداءات عصر السادات (١٩٧١-١٩٨١) لم تقتصر على رئيس الدولة وحده بل امتدت أيضًا إلى زوجته جيهان التي أهدت قطعًا أثرية فرعونية إلى كل من إيميلدا ماركوس زوجة الرئيس الفلبيني الأسبق وزوجة رئيس المكسيك.

رغم ذلك لم ولن تنقطع صلة الرحم مع تراثنا وآثارنا بالخارج.. طالما تتحدث عن أمجاد وعظمة أجدادنا.

متاحف جديدة لاستيعاب الاكتشافات الغزيرة

فاقت كمية الآثار المكتشفة كل ما كان متوقعا لإمكانات المتحف المصرى استيعابها.. أحس ثروت عكاشة بالأسى وهو يشاهد تكدس الآثار بطريقة تفقد الزائرون متعتهم.. فقرر بناء متحف جديد بمدينة القاهرة مع بناء متحف ثان بالإسكندرية.

فشل مشروع إنشاء متحف جديد بالقاهرة.. فبعد ان تم تخصيص أرض المعارض بالجزيرة لاتساع مساحتها.. انتهى الأمر إلى ان ذهبت الأرض لمشروع الأوبرا الجديدة التى شيدت عام ١٩٨٧.. بينما نجح مشروع بناء «المتحف اليوناني الرومانى الجديد» بالإسكندرية.. وضع المهندس فرانكو ألبيني تصميم المشروع ليضم مجموعة التماثيل الصغيرة الحجم الدقيقة المعروفة باسم موطنها «تناجرا» باليونان والتي تعد من التحف البديعة النادرة ذات الأهمية الأثرية والفنية الكبيرة، وقطعا من أحجار المبانى الأثرية ولوحات الفسيفساء الملونة وبعض التماثيل ومجموعة صغيرة من آثار الفن الفرعونى والقبطى.

متحف مركب الشمس

كان كل من يقف أمام مركب خوفو الذى شيد منذ خمسة آلاف عام، ويدهش كل من يراه لرهافة تصميمه وروعة مميزاته التقنية.. كان هذا دافعا لإقامة متحف لهذا المركب يتيح للجمهور أن يراه كاملا.



كمال الملاخ مكتشف مراكب الشمس يتوسط العمال بناة المتحف فى صورة تذكارية

مراكب خوفو والمعروفة علميا بمراكب الشمس، والتى اكتشفها الأثرى والكاتب كمال الملاخ فى ٢٦ مايو ١٩٥٤، كانت ضمن اهتمامًات د.ثروت عكاشة.. بأن يقام متحف مجاور لمكان اكتشافها ونفس الأجواء التى ترقد فيه من آلاف السنين.. وحرصًا على ألا تنهار بسبب هشاشة خشبها وعمرها ٥ آلاف عام.. وبناء على توصية اليونسكو باستقدام المهندس الإيطالى فرانكو منيسى الذى قام بتصميم المتحف متخذا شكل المركب.. أقيم «متحف مركب خوفو» في نفس المكان الذي عثر عليه فيه.. ولم يكن ذلك إلا وليد إحساس بطبيعة المكان وارتباط المركب بالموقع ارتباطًا عضويًا وثيقًا..

ولو تأملنا تخطيط موضع الحفرتين اللتين اكتشف بهما المركبان، لوجدنا أنهما قد وضعا فى موضع يتسق مع وضع الهرم نفسه.. فقد وضعا على استقامة واحدة ومتوازيين مع ضلع الهرم الجنوبى.. ثم إنه إضافة إلى البواعث الدينية والطقوس الجنائزية التى حددت وضع المركبين على مقربة من قبر الملك.. فإن تأمل الموقع يكشف لنا عن أن الحفرتين قد حفرا قرب الهرم طبقا لفكرة هندسية وثيقة الارتباط بتصميم الهرم.

للأسف خرج علينا فى مطلع العام الحالى بعض العاملين بالآثار ليشككوا فى كل شيء.. فى مكتشف مراكب الشمس كمال الملاخ ويحدث ذلك فى مصر فقط!.. ففى الخارج يحتفون باسم الملاخ باعتباره صاحب أهم اكتشاف أثرى فى القرن العشرين بعد مقبرة توت عنخ آمون.. وتم تسجيل اسمه بالدوريات العلمية للآثار القديمة.. واحتفت به امريكا بشكل خاص، وأطلقت اسمه على نجم فى السماء ضمن عدد من العلماء الذين لعبوا دورًا مؤثرًا بحياتنا.

أيضًا شكك المتشككون بالآثار المصرية فى قيمة المتحف نفسه، الذى شيد بعهد ثروت عكاشة، مدعين عدم مقدرته على حماية مركب خوفو.. رغم انه حافظ عليه نحو ٤٠ عاما، منذ عام ١٩٨٢.. ربما يكون تبريرا لنقل المركب الى المتحف الكبير فى اغسطس ٢٠٢١.

ذهبية وفضية اليونسكو لثروت عكاشة

أهدت منظمة اليونسكو الميدالية الفضية لثروت عكاشة لدوره المؤثر بإنقاذ تلك الآثار والتراث التاريخى الإنسانى العظيم.. وأهدته أيضًا الميدالية الذهبية فى احتفال مرور ٢٥ عاما على تأسيس منظمة اليونسكو.. وقد أذن رئيس الجمهورية بأن تعير وزارة الثقافة إلى منظمة اليونسكو تمثالا من الأسرة الخامسة ليعرض فى مقرها بباريس تأكيدًا على هذا التقدير.

أسند عكاشة للمخرج الكندى جون فينى إخراج فيلم تسجيلى باسم (الأعجوبة الثامنة) استغرق إعداده ٤ سنوات.. استعرض فيه بناء المعبدين من خلال ٨٥ لوحة أبدع تصويرها الفنان حسين بيكار وأعمال الإنقاذ بشكل بديع.. مسجلا فى عمل فنى رفيع تاريخ المعبدين.. لم يستفد بهذا الفيلم بالدعاية لهذا الحدث بالعرض فى السفارات ولا حتى على شاشة التليفزيون واختفى تمامًا ولم يعد له أثر!

الوزارة تتجاهل عكاشة بمتحف يضم إنجازاته الأثرية

جاء على لسان د.جمال مختار الرئيس الأسبق لهيئة الآثار عام ١٩٩٨ فى مقال بعنوان (تراث الأسلاف ليس للبيع): لقد أسفر هذا النشاط غير العادى وهذا التنقيب الذى لم تشهده منطقة النوبة طوال تاريخها عن اكتشاف آلاف القطع الأثرية التى يشكل جانب كبير منها مقتنيات متحف النوبة.. ولمن المضحك ان د.ثروت عكاشة لم يدع إلى الاحتفال بافتتاح متحف النوبة يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٩٧ مع أنه صاحب الفضل الأول فى وجوده.. إنه عقوق وزارة الثقافة بالنسبة للرجل الذى كان كل ما جرى فى النوبة من غرس يديه.. المؤلم والمحزن أن يأتى تكريم هذا الرجل وإنجازه من غير المصريين.

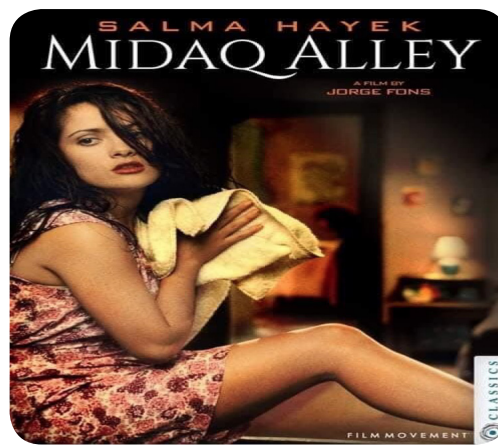
نشر وكتب ومكتبات

نشر وكتب ومكتبات

الكتاب هو أحد الأركان الهامة فى الثقافة.. فكان من الطبيعى أن يولى ثروت عكاشة اهتمامًا كبيرًا بكل ما يتعلق بالكتاب.. نشره وعرضه وتسويقه.. فشاهدنا فى عهده أول معرض دولى بالقاهرة لسوق الكتاب عام ١٩٦٩.. وبناء دور المكتبات القومية الكبرى.. والبيع بأسعار رمزية للموسوعات التراثية والعلمية لتكون فى متناول الجميع ولتشجيع القراءة.

مسايرة تطور أدب الغرب

حين انفتح الباب بيننا وبين الأدب الغربى.. كانت لنا خطوة واسعة جريئة خرجنا بها من القصة فى ثوبها القديم الى ثوب جديد يتفق شكلا مع الرواية الغربية.. وتختلف مضمونا وتصويرا.. وبلغنا من التطور فى فن الرواية ما بلغه الغرب.. وجاءت جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٨٨ لنجيب محفوظ لتؤكد ذلك.. والخارج يؤخذ منا.. كما فعلت المكسيك بتحويل روايتين لمحفوظ الى فيلمين للسينما المكسيكية أولهما (بداية ونهاية) الذي أخرجه أرتورو ريبستين عام ١٩٩٣ و(زقاق المعجزات) عن رواية (زقاق المدق) من إخراج خورخي فونس عام ١٩٩٤ وقامت ببطولته سلمى حايك، كانت أكثر صدقا وقربا إلى أدب نجيب محفوظ وبما يتماشى مع البيئة المكسيكية.



سلمى حايك زقاق المعجزات عن زقاق المدق لنجيب محفوظ

الاقتباس.. التأثير والتأثر

لا يعيب الفن أن يكون عن غيره أخذ.. فالأخذ والتأثير ليس شيئا مهينا.. فالأبن مثلا يأخذ عن أبيه صفات وعادات لكنه يضيف بوجوده إلى تلك الصفات والعادات ولا يجمد عندها.. وأى لون من ألوان الثقافة الوافدة يقتحم علينا أدبنا وثقافتنا.. علينا أن نمعن النظر فيه لنختار ما يصلح لنا منه ذوقا وإحساسا ووجدانا وشعوراً واجتماعيا.. فهناك من الأدب الغربي ما تأباه العربية لاختلاف فى الذوق والشعور.. فعلى حين تقبل البيئة العربية مأساوات شكسبير مثلاً ـ لأنها تتصل بنظرة عامة يشترك فيها الناس جميعا وهى مصير الإنسان ـ إذا هى لا تميل إلى ملهاواته، لأنها ليس فيها بيئة أو أغراض مشتركة.. بل هى تعتمد الاعتماد كله على العرض اللغوى بما فيه من توريات تتفق والذوق الإنجليزى.

وعلى حين تتلقى البيئة العربية راضية أعمال برنارد شو وتشارلز ديكنز وتولستوى وجوته وغيرهم ـ لما تنطوى عليه من معان إنسانية مشتركة ـ إذا هى لا تميل مثلاً لأعمال الشاعر الإنجليزى جون ميلتون صاحب قصيدة «الفردوس المفقود» التى كتبها عام ١٦٦٧، وأصيب في فترة لاحقة من حياته بالعمى.. قراءة أعماله تقتضينا دراسة لاهوتية متعمقة.. وكذا لا تميل بيئتنا العربية لأشعار الشاعر الإنجليزى وليام وردزورث لانها مقصورة على وصف طبيعة موطنه فى شمال إنجلترا بخواصها .

٣٦ حبكة

وثمة حبكات لا تخرج عنها القصة أو الرواية أو المسرحية أو الفيلم أينما كانت.. ما بين ست حبكات إلى ست وثلاثين حبكة.. والرائع والهابط منها يشترك في هذه الحبكات.. ومن هنا كان التمييز بين ما هو رائع وما هو هابط لا يعتمد على الحبكات وإنما يعتمد على شيئين آخرين هما: أن تكون اللغة شاعرية ذات أصالة وعمق في التعبير.. ثم أن يتمثل فيما هو رائع تصوير ما ينطوى عليه مصير البشر من حياة وفناء وحب وكره وغير هذا من المشاعر الإنسانية.. مأساوية كانت أم ملهاوية.. فى أسلوب تخيلى فلسفى يصور الفاجعة أو السخرية.. فالأعمال الرفيعة تعتمد أكثر ما تعتمد على الكلمة..

وهى التى تميزها عن غيرها من الأدب الدارج.

السلاسل وشعبية الثقافة

دمج ثروت عكاشة كافة شركات النشر بالوزارة في شركة واحدة للطباعة والنشر هي دار الكاتب العربي تولاها الأستاذ محمود أمين العالم، لم تكن هناك خطة واضحة لإصدار الكتب ذات الأهداف المحددة، ووضع خطة ركزت على الشباب والأطفال فأصدرت للشباب سلاسل منها سلسلة «اقرأ علما» لتبسيط العلم بالاتفاق مع مؤسسة «لونجمان» البريطانية.

فحين حولت وزارة الثقافة إدارة النشر في عام ١٩٦٠ إلى مؤسسة مستقلة رسمت لها سياسة تضع الكتاب في كافة مستويات القراء متعلمين ومثقفين.. وتأتى خطتها للنشر فى مجال صدور الكتاب.. إنشاء أربع سلاسل دورية أولاها سلسلة «تراث الإنسانية».. وهى دراسات لأمهات الكتب العربية والأجنبية التى أثرت الفكر العالمي والفكر العربي صدر منها نحو مائة عدد.. وثانيتها سلسلة المكتبة الثقافية، التي استهدفت إثراء القارئ العادى بمعرفة ذاته وتراثه والكون الذى يعيش فيه ومساعدته على بناء حياته بالمعرفة والفهم.. وقد ظلت تصدر مرتين فى أربعمائة كتاب إلى أن توقفت فى عام ١٩٧١.. وثالثتها سلسلة «أعلام العرب» التى حرصت على تعريف القارئ بأبرز الأعلام في التراث العربى وصدر منها نحو مائة كتاب.. ورابعتها سلسلة «مسرحيات عالمية» وصدرت منها جملة وفيرة.

اضطلعت هذه السلاسل عامة بما كان يعوز الثقافة والمثقفين.. إذ أتاحت فرص القراءة أمام آلاف القراء فحققت ما يمكن تسميته بشعبية الثقافة.. بإمكان القارئ يحصل على ثقافة رفيعة فى صورة مبسطة وبأسعار زهيدة في متناول قدرته.. فقد كانت تباع السلاسل بأقل من تكلفتها.. كما أصدرت الوزارة كتبا مختلفة المعارف العامة والفلسفة والدين والاجتماع والفنون والعلوم البحتة.. إضافة إلى كتب تراثية أعيد طبعها مثل معجم «لسان العرب» الذى كانت تباع النسخة منه كاملة وقتذاك بنحو ١٥٠ جنيهًا.. أعيد طبعه بأجزائه العشرين بعشرة جنيهات فقط.. وكذلك كانت الحال بطباعة أجزاء كتب «الأغانى» و«النجوم الزاهرة» و«نهاية الأرب» و«صبح

الأعشى».. كل مجموعة من هذه المجموعات تباع كاملة بجنيهات معدودة.

مشروع (الألف كتاب)

صدر مشروع «الألف كتاب» أولًا بالإدارة العامة للثقافة حين كانت تابعة لوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧.. حيث كانت من بين المشروعات الثقافية الأولى فى عهد الثورة.. وبعد إنشاء وزارة الثقافة.. أخرج ثروت عكاشة هذا المشروع من جديد بدراسة واعية.. فشمل كتب تمثل المراحل المختلفة قديمها ومتوسطها وحديثها.. وكتب أخرى مترجمة.

المجلة ونهضة أفريقيا

أصدرت وزارة التعليم ـ عندما كانت الثقافة إحدى قطاعاتها ـ مجلتين شهريتين: الأولى مجلة «المجلة» فى يناير ١٩٥٧.. وحرص عكاشة على استمرارها عند توليه وزارة الثقافة.. وتولى رئاسة تحريرها د.على الراعى ثم يحيى حقى.. جاءت هذه المجلة لتسد فراغا فى الحقل الثقافى، وكانت مخصصة للأبحاث والإنتاج الفنى والأدبى الرفيع.. وقد أدت دورًا هامًا خلال تلك الحقبة فظلت أكثر من عشرة أعوام تلبى حاجة ثقافية لا غنى عنها وتربط بين الأقلام العربية فى مصر وشقيقاتها العربيات ليتحدث الكتاب من فوق منبر مشترك.

أما المجلة الثانية فهى «نهضة أفريقيا» التي استمرت رغم قصر عمرها تسد حاجة متخصصة واضحة وهى ربط الشعوب الأفريقية المتحدثة بالعربية حول موضوعات تهمهم.. ثم كان التفكير في إصدار مجلة «الفكر المعاصر» لتستوعب تيارات الفكر العالمى المعاصر شرقا وغربا.

المعارف الإسلامية وقاهرة الألف عام

آمنت وزارة الثقافة بأن من أهم واجبات الدولة في ميدان النشر احتضان المشروعات الضخمة مثل دوائر المعارف والمعاجم، فبدأت عام ١٩٥٩ بمشروعين أساسيين هما «دائرة المعارف الإسلامية» على أن تكتب بأقلام عربية متخصصة.. و«القاموس الإنجليزى العربى للمترجمين المتخصصين على أساس قاموس أكسفورد المعروف والذى عهد عكاشة به إلى د.لويس عوض.. إذ كان يؤمن بتنوع المعاجم العربية على نمط ما للغرب في هذا

الميدان، فقد تمنى عكاشة أن يكون فى أيدى قراء العربية معجما يجمع «المترادفات» يتفوق على كل ما سبقه.

وتعاونت الوزارة مع بعض دور النشر الأجنبية على إصدار مطبوعات عربية أوروبية تجسد الشخصية الثقافية لمصر ظهر منها كتاب «الفن المصرى المعاصر» باللغات الثلاثة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مجموعة من أهم لوحات الفنانين المصريين بالاشتراك مع إحدى دور النشر اليوغوسلافية.. وأعدت الوزارة عام ١٩٦١ كتاب «القاهرة فى ألف عام»، بالاشتراك مع دار نشر بألمانيا الشرقية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية.

دار الكتب.. إمكانيات معطلة

اهتم د.ثروت عكاشة بإنشاء دار الكتب والوثائق القومية لحفظ تراث الأمة.. واجهته بعد عدة شهور من توليه الوزارة، مشكلة دار الكتب بمبنى باب الخلق، التى كانت مع حلول عام ١٩٥٩ ارتفعت مقتنياتها إلى خمسمائة ألف مجلد مكدسة بطريقة لا يسهل معها تنظيفها ولا صيانتها ولا الانتفاع منها.. وأصبح التلف يتربص بأكثر الكتب قيمة وندرة كما ارتفع عدد المترددين إلى مائتين وخمسين ألف مستعير وباحث فى العام، تضيق بهم القاعات والردهات.. وغرف الموظفين الذين أقيمت لهم في الممرات قواطع خشبية وزجاجية ينحشرون فيها مع مكاتبهم.

كانت النظرة الأولى لدار الكتب القائمة بميدان باب الخلق بالقاهرة، كافية لتصور عجزها عن الوفاء برسالتها الضخمة بل وبما تملكه من إمكانيات هائلة معطلة بالإضافة إلى قدم المبنى الذي لم يعد يحتمل مقتنياته.. حيث يرجع تاريخه إلى عام ١٩٠٤ فى عهد عباس حلمى الثانى ابن الخديوى توفيق.. ضم خمسة وأربعين ألف مجلد كانت شبه مخزونة في سراى مصطفى فاضل بشارع درب الجماميز الذى كان فى الأصل مقرا «لنظارة المعارف».. وخصص على باشا مبارك ناظر المعارف الطابق الأسفل من المبنى لإنشاء «الكتبخانة الخديوية» عام ١٨٧٠ وجمع فيه آنذاك كل ما أمكن جمعه من الكتب العربية المطبوعة والمخطوطة والتى كانت متناثرة في مكتبات المساجد

والمدارس والأضرحة.. ثم لم تلبث أن ازدحمت شيئا فشيئا وتركت له نظارة المعارف الطابق الأعلى. غير أنها ضاقت بتزايد الكتب وأصبح من الضرورى إقامة مبنى باب الخلق الذى يتيح حسن القدر الكبير من المطبوعات التى باتت تحويه .

فى عام ١٩٣٠ امتلأت مخازن مبنى دار الكتب بباب الخلق.. ولم يعد بها مكان للمطبوعات الجديدة المتوافدة بشكل يومى.. كما لم تعد قاعاتها تنفسح للأعداد المتزايدة من المترددين عليها.. ولم يكن هناك حل ميسور غير البحث عن مخازن خارج الدار تنتقل إليها المطبوعات القديمة لتفسح مجالاً للمطبوعات الجديدة.. وهكذا نُقل مائة وخمسون ألف مجلد إلى أحد مخازن القلعة بعد جلاء القوات البريطانية عنه عام ١٩٤٨ لتتبعها آلاف أخرى كل عام..

إطلالة على الكورنيش بأمر عبدالناصر

كان أول الحلول ـ قبيل إنشاء وزارة الثقافة ـ قدمتها وزارة التربية والتعليم ووزارة الإرشاد القومي في مستهل سنوات الثورة.. بإنشاء عشرة فروع لدار الكتب فى أحياء القاهرة تتيح خدمة مكتبية يسيرة ومريحة وتخفف عن الدار بعضا من عبء المطبوعات وعشاق المطالعة.. إلى جانب إقامة مكتبة خاصة للفن بالقرب من ميدان التحرير تجمع إلى كتب الفنون المتخصصة مكتبة أسطوانات موسيقية من التراث القومى.

كان هذا هو الموقف حين اضطلع ثروت عكاشة بمسئولية الوزارة، ولم يجد مفرا من النظر إلى المستقبل.. نشأت لديه فكرة إقامة مبنى جديد لدار الكتب على أحدث طراز يوفر الخدمة المكتبية السليمة ويحقق أفضل الظروف للمحافظة على التراث الفكرى الذى تضمه آلاف المطبوعات والمخطوطات النادرة.. وقد استعان بمنظمة اليونسكو فى اختيار البيوت الهندسية ذات المكانة العالمية والخبرة الطويلة في مجال تصميم مباني دور الكتب.. وقد اختاروا لإقامة الدار الجديدة قطعة أرض فضاء على كورنيش النيل برملة بولاق، مساحتها خمسة عشر ألف متر مربع .

عندما حمل ثروت عكاشة الرسوم التفصيلية للتصميم ليعرضها على

الرئيس جمال عبدالناصر اجتذبه الطلة على النيل.. لاحظ وقوع غرف الإدارة على النيل.. فطلب أن تكون قاعات المطالعة هى المطلة على النيل.. وقد عدل التصميم على ضوء لفتة عبدالناصر الذى خصص لتنفيذ المشروع مليون جنيه.. ووضع ثروت عكاشة حجر الأساس للمبنى في ٢٣ يولية ١٩٦١ وارتفعت طوابق المبنى في نوفمبر ١٩٧٠.. وكان نقل الكتب والمخطوطات من مبنى باب الخلق إلى الدار الجديدة قد بدأ بالفعل منذ عام ١٩٦٩.

البيروقراطية تغتال دار الكتب

كيف أصبح حال الدار بعد سنوات من تطويرها.. المعروف أن دور الكتب فى العالم كله لها استقلالها الذاتى ولها مجالسها العليا التي تتولى شئونها.. أما إذا انطوت تحت جهات إدارية وانتظمت في سلك غير سلكها المستقل أصبحت تابعة.. وهذه التبعية تنال كثيرا من شئونها الثقافية المستقلة..

هذا ما حدث فعلاً لدار الكتب المصرية بعد ترك ثروت الوزارة.. فقدت استقلالها الذاتى عام ١٩٧١.. وأصبحت تتبع إداريا «الهيئة المصرية العامة للكتاب» وكأنها قسم من أقسام هذه الهيئة.. كان لدار الكتب فى بدايتها مديرون مختارون من كبار رجال العالم الغربى ثقافة وعلما وفنا.. وكان إلى جانبهم مجلس أعلى يختار هو الآخر من كبار رجال العلم والفن والأدب والقانون فى مصر حفظا للدار من أن تطغى عليها الروح الأجنبية.. فكان لهذه الدار مديرين مختارين من المصريين، منهم القانوني الشهير عبدالحميد أبو هيف ومن بعده أحمد لطفى السيد ثم توفيق الحكيم وصلاح عبدالصبور.. ثم تتالى غيرهم من رجال مرموقين.. مثل د.سمير سرحان الذى شغل منصب رئيس مجلس إدارة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٥.. حتى أعيد فصل دار الكتب والوثائق القومية عن هيئة الكتاب عام ١٩٩٣ فى هُيئةٌ مستقلة.

فقدت دار الكتب استقلالها الذاتى بتبعيتها لجهاز إدارى.. وبعد هذا الضم الخاطئ الذى حولها من جهاز ثقافي له عراقته في مصر إلى جهاز شبه إداري تُملى عليه الناحية الإدارية أكثر مما تُملى عليه الناحية الثقافية.. حيث كانت

دار الكتب مثلاً تتابع كل ما ينشر في مصر وخارج مصر ولا يفوتها اقتناء ما يخرج من هذا النوع ومن ذاك إلى مكتبتها.. أما بعد فقدان استقلاليتها فإن شيئا من هذا لم يحدث اللهم إلا ما يضم إلى دار الكتب جبرا في ظل قانون المطبوعات.. إلى أن صدر قرار جمهورى رقم ١٧٦ فى ٣ مايو ١٩٩٣ يقضى بإنشاء هيئة عامة تسمى «دار الكتب والوثائق القومية» تكون لها الشخصية الاعتبارية وتتبع وزير الثقافة.. فكان إعادة استقلالها الذاتى عودة لدورها الحقيقى الذى أنشئت من أجله.. أسوة بما هو متبع في بلدان العالم المتحضر أجمع شرقا وغربا بلا استثناء.

معرض وسوق القاهرة الدولى للكتاب

عندما أراد د.ثروت عكاشة أن يقيم سوق دولى للكتاب في القاهرة.. اتصل بإدارة سوق الكتاب الدولى فى ليبزج.. وهى ثانى أكبر مدن ولاية ساكسونيا في شرق ألمانيا.. وأرسل مندوب وزارة الثقافة إسلام شلبى للتمهيد إلى إقامة معرض شبيه به على النطاق العربى في مصر.. يهدف إلى التعريف بالكتاب والإعلان عنه وفتح أسواق جديدة أمام الناشرين المصريين، وأيضًا بيع الكتب والمصنفات الفنية والأدبية للجمهور.



مع سهير القلماوى وسعدالدين وهبة افتتاح أول دورة لمعرض القاهرة الدولى للكتاب

كانت الوزارة تعد للاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء مدينة القاهرة، فقرر عكاشة ان يكون معرض الكتاب أحد مظاهر هذه الاحتفالية.. ففى مساء ٢٢ يناير ١٩٦٩ انطلقت الدورة الأولى لمعرض القاهرة الدولى للكتاب بأرض الجزيرة.. التى تقام عليها حاليًا مبنى «دار الأوبرا المصرية».. بإشراف د.سهير القلماوى.. شارك فيه ٤٦ ناشراً يمثلون ٣٢ دولة من أوربا وأمريكا وآسيا والدول العربية يعرضون على مدى ٨ أيام.. وسددت الدول المشاركة فيه ٣٠ ألف جنيه مقابل مساحات العرض، حيث كان سعر تأجير المتر فى المعرض عشرين جنيهًا فقط.

كان المعرض يهدف إلى تحقيق فرص للتبادل الحر للكتاب في الشرق الأوسط.. والتعرف على أحدث ما وصل إليه الفكر والكلمة المطبوعة.. وعقد الاتفاقيات للنشر والتوزيع.. وتذليل صعوبة تسويق الكتاب من خلال عقد الاتفاقيات مثل: تبادل حقوق التأليف والنشر والترجمة، ومنح التوكيلات لمنطقة الشرق الاوسط، ودراسة الوسائل والأساليب التى تساعد على نشر الثقافة والفكر.

شهد المعرض تطورًا كبيرًا في السنوات الأخيرة.. فقد ازدادت عدد دور النشر المشاركة من كافة بلدان العالم.. وزيادة مساحة العرض بعد نقل المعرض إلى مقره الجديد بمركز مصر للمعارض الدولية بالتجمع الخامس بالقاهرة.. ويمكنه استقبال مائة ألف زائر يوميًا.

انتشرت معارض الكتاب في بعض المحافظات.. وكان هذا المعرض ملهمًا لإقامة معارض كتب أخرى متخصصة.. مثل معرض القاهرة الدولى لكتب الأطفال الذى بدأ سنة ١٩٨٤ ويقام فى شهر نوفمبر من كل عام.

الوطنية والأدب المصرى
ولدا فى باريس

الوطنية والأدب المصرى ولدا فى باريس

كان كل أعضاء مجلس قيادة الثورة غرباء عن الثقافة الفرنسية التي صورتها السينما المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين كإحدى علامات الأرستقراطية والإقطاع، وبدت اللغة الفرنسية علامة مسجلة لانفصال طبقة الأثرياء عن طبقة الشعب.. ومع هذا فإن الوطنية المصرية ولدت فى باريس على يد الرعيل الأول من زعماء الإصلاح ثم التحرر من الطهطاوى ومحمد عبده إلى أحمد لطفى السيد وسعد زغلول وآل فخرى عبد النور كلهم وصولا لطه حسين وتوفيق الحكيم.. وتأثر عبد الناصر تأثيرًا كبيرًا برواية توفيق الحكيم «عودة الروح» التى كتبها فى باريس.

كان سفير فرنسا في القاهرة وقت قيام الثورة «دى مورفيل»، من أبرز قادة حركة المقاومة ضد الاحتلال النازى لفرنسا والذى أصبح وزير خارجية ديجول ثم رئيس وزراء.. لم يلتفت فى تقاريره لباريس لحركة الضباط الأحرار إلا أنها كانت تشير بإلحاح إلى تدني شعبية الملك والتذمر الواضح داخل الجيش.. وتدهورت صورة الملك فى الصحافة الفرنسية ونشرها لفضائح له ولحاشيته.. وما إن قام الجيش بحركته فى ٢٣ يوليو حتى تغير الاهتمام نظرًا لوجود شركة قناة السويس ذات التاريخ الفرنسى المعروف وكذلك بسبب تطور نوعى فى العلاقة بين فرنسا الجمهورية الرابعة وإسرائيل.. وقصة تأميم القناة وحرب السويس وثورة الجزائر، جعلت علاقة مصر عبدالناصر وفرنسا الجمهورية الرابعة من أسوأ ما يكون.

شارل ديجول وتحسن العلاقات

ما أن عاد الزعيم شارل ديجول إلى الحكم عام ١٩٥٨ حتى تبدل المشهد تمامًا.. لينطلق ثروت عكاشة ضابط سلاح الفرسان وأحد الضباط الأحرار القلائل المهتمين بالثقافة الفرنسية إلى نسج شبكة علاقات وطيدة ومفيدة ومؤثرة على العلاقات بين البلدين من ناحية، وبين عبدالناصر وديجول من ناحية أخرى.. انتهت بزيارة للمشير عبدالحكيم عامر لفرنسا واستقبال ديجول له استقبالًا حارًا.. ثم إنقاذ معابد أبوسمبل بفضل القرار السياسى للزعيمين ناصر وديجول، والنشاط الكبير لثروت عكاشة الذى كان قد

أصبح وزيرًا للثقافة وعالمة المصريات كريستيان ديروش نوبلكور.



مع ديجول بقصر الإليزيه بباريس

واستقبل عبد الناصر بالقاهرة الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار.. ووافق عبدالناصر على إعارة كنوز توت عنخ آمون لمعرض تاريخى فى باريس إكرامًا لفرنسا ولديجول شخصيًا.

العلاقات برجال الفن والأدب بباريس

يشير ثروت عكاشة إلى أن علاقته بباريس لم تكن مقصورة على عالم السياسيين والعسكريين بل تعدتها إلى رجال الأدب والفن الذين تركوا أثرًا عميقًا في نفسه وأثروا معارفه.. وكان من بين ما صادقهم مؤرخ الفن وعالم الجماليات الفيلسوف رينيه ويج عضو الأكاديمية الفرنسية والأستاذ بالكوليج دى فرانس.. وهو فيلسوف يؤمن بأن ثمة رابطة بين الإنسان والعالم المرئي وأنه إذا تعمق تلك الرابطة أمكنه أن يعي الفلسفة التي تنطوي عليها فنون التصوير والنحت.. وتعد مؤلفاته من أعمق ما كتب عن جماليات الفن وتاريخه... وكان ثانى المقربين له الفيلسوف رينيه ماهيه مدير منظمة اليونسكو الذى كان فيما بعد على رأس فريق اجتمع لهدف نبيل هو إنقاذ آثار النوبة ومن بينها معبد أبوسمبل.. وكان من اهتماماته القضاء على الأمية.. كم التقى عكاشة أديب فرنسا الكبير أندريه مالرو الأديب الفنان

الذى وقف حياته كلها عاكفاً على دراسة «الإنسان».. وكان وزير الدولة للثقافة بفرنسا.. وكان بينهما تعاون مثمر عندما كان عكاشة وزيرًا للثقافة بولايته الثانية منذ عام ١٩٦٦.

أيضًا تعرف ثروت عكاشة على مارك شاجال صاحب الدراية الواسعة والخبرة العميقة بشئون المسرح والأوبرا والباليه.. مارك شاجال الروسى الأصل اليهودى العقيدة المهاجر إلى فرنسا.. كانت له مع مصر لفتة كريمة إبان احتفالات وزارة الثقافة بالعيد الألفي لمدينة القاهرة عام ١٩٦٩.. كان فريق باليه أوبرا القاهرة يتدرب على تقديم باليه «دافنيس وكلويه» تحت إشراف الراقص والمخرج العالمى سيرج ليفار.. فطلب عكاشة من شاجال باستنساخ لوحاته لهذا الباليه.. وعرض الباليه في القاهرة فى ظل لوحات شاجال الشهيرة التي لا شك كانت ذخرًا من ذخائر دار الأوبرا الخديوية إلى أن التهمها حريق عام ١٩٧١ الذي أتى على كل غال ونفيس.

سارتر وسيمون دى بوفوار ١٧ يومًا فى مصر

فى زيارة جان بول سارتر (١٩٠٥- ١٩٨٠) وسيمون دى بوفوار (١٩٠٨- ١٩٨٦)، وكلود لانسمان، مدير تحرير مجلة «العصور الحديثة» الباريسية والتى يصدرها سارتر.. زيارة تاريخية للقاهرة في فبراير ١٩٦٧ بدعوة من مؤسسة الأهرام الصحفية.

زار سارتر وسيمون المتحف المصرى ومتحف الفن الإسلامى والمتحف القبطى، والأهرامات، والكنيسة المعلقة، والمعهد العالى للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون، ومنزل الفنان والمعمارى رمسيس ويصا.. وقاموا بجولة فى أحياء مصر القديمة، ووصف سارتر تجربته فى «قهوة الفيشاوى» بأنها الأكثر متعة فى حياته.

استقبلهم الرئيس جمال عبدالناصر.. وامتدح الفيلسوف الفرنسى ما شاهده من تجربة بناء السد العالى خلال زيارته إلى أسوان.. لكن من أهم ما جاء فى محاضرة سارتر التاريخية، والتى قدم لها وزير الثقافة د.ثروت عكاشة، كان إشارة الفيلسوف الفرنسى إلى مشاركته فى «محاكمة راسل» التى نصبها افتراضيا الفيلسوف الإنجليزى برتراند راسل لمناقشة الانتهاكات الإنسانية

التى تمت خلال سنوات حرب ڤيتنام..



جان بول سارتر وسيمون دى بفوار

والتقى سارتر كتاب جريدة الأهرام بمبناها بشارع الجلاء في مناقشة حول الشأن الثقافى وفنون المسرح على مدى ساعتين.

ابن قتيبة يمنح الدكتوراة للوزير بدلًا من جبران

من المرات النادرة التى رأينا فيها وزيـرًا يحصل على درجة الدكتوراة خلال توليه الـوزارة.. ومن المرات النادرة أيضًا نرى وزيرا يطلب اجازة شهرًا للالتحاق بالجامعة استعدادًا للمناقشة.. فى ٣٠ مارس ١٩٦٠ ناقش ثروت عكاشة رسالته للحصول على درجة الدكتوراة فى الآداب من جامعة السوربون بباريس.. كان مقررًا لها ان تناقش فى مايو ١٩٥٧ غير أن ظروف العدوان الثلاثى على مصر وقتذاك أجلت المناقشة ٤ سنوات.

كان بحثه عن «جبران خليل جبران»، غير أنه لم يتمكن من تسجيله.. لأن دارسًا لبنانيًـا قـد سبق وسجل هذا الموضوع.. واضطر آسفًا أن يتخلى عن أديبه العربى الأثير.. وعرض عليه رجيس بلاشير المشرف على رسالته.. أن يتناول الأديب المؤرخ «ابن قتيبة الدينورى»، حياته وما كان له من آثار فكرية.. وتحقيق كتابه «المعارف» الذى كان يعد موسوعة جمعت كل ما يعني الناس أن يعرفوه عن أسلافهم وما ينقل لهم من حديث، وبمعنى آخر كان

لونًا من ألوان الثقافات الذى حرص الناس خلال القرن التاسع الميلادى أن يعرفوه .

ابن قتيبة الدينورى (٨٢٨ - ٨٨٩م) ولد بالكوفة بالعراق، ثم انتقل إلى بغداد، حيث استقر علماء البصرة والكوفة، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ.. اعتبر ابن قتيبة إمام مدرسة بغدادية في النَّحو.. وقد عاصر قوة الدولة العباسية.. من مؤلفاته: كتاب المعارف وأدب الكاتب، وغريب القرآن الكريم، وعيون الأخبار، وكتاب المسائل والجوابات، وكتاب الميسر والقداح.

وافق ثروت عكاشة على بن قتيبة.. مقابل أن يترك له أستاذه حرية اختيار موضوع الرسالة الإضافية المكملة للدكتوراه وهى «صدى مدرسة التصوير الانطباعية بفرنسا فى الموسيقى».. وقام بتسجيل رسالته بالسوربون في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ ـ أى قبل ٤ سنوات من توليه وزارة الثقافة، وان كان ناقشها خلال توليه الوزارة.

إجازة استثنائية للوزير

كان ثروت عكاشة موفقًا أن يشرف على رسالته بلاشير المستشرق الأستاذ بالسوربون الذى نقل معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية واشتهر عنه ميله القوى إلى العرب، وحفل سجله بالكفاح المشرف ضد الاستعمار الفرنسى.. ونشر مقالات منددة بالعدوان الثلاثى على مصر.. وبعد ان أنهى عكاشة رسالته حدد له بلاشير شهر مايو ١٩٥٧ لمناقشتها.. غير أن ظروف العدوان الثلاثي وقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا قد اضطرته إلى مغادرة باريس فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٦.. تعطلت مناقشة رسالته.. إلى أن تحدد يوم ٣٠ مارس عام ١٩٦٠ موعداً للمناقشة على أن يقضى على الأقل شهرًا فى باريس.. وكان وقتها وزيرًا للثقافة، والعلاقات بين فرنسا ومصر مقطوعة.. عرض عكاشة الموضوع على الرئيس عبدالناصر.. فأشار إليه أنه لم تجر العادة بأن يكون للوزراء إجازة تستغرق شهرًا يتغيبون فيه عن مناصبهم.. إضافة إلى ما كان بيننا وبين فرنسا من موقف غاية فى الحساسية.. لكن مع إصرار عكاشة بإيثاره للحياة العلمية، وافق على أن يمنحه شهرًا

لمناقشة رسالته.. ونال ثروت عكاشة درجة الدكتوراه في الأدب بمرتبة الشرف الأولى.

وفوجئ عكاشة عند خروجه من باب قاعة المناقشة بوجود الأساتذة الثلاثة التى تشكلت منهم هيئة المناقشة.. واقفين صفًا رافعين قبعاتهم تحية له.. وللمرة الأولى يخاطبه أستاذه بلاشير بوصفه وزيراً بعد أن انتهت فترة تلمذته على يديه.

وسامان من فرنسا

كان من اعتزاز د.ثروت عكاشة بالأعمال الأدبية التي كانت من نتاج تلك الفترة الخصبة.. ما بين الوزارتين [١٩٦٢ ـ ١٩٦٦].. أنه خلال زيارة وزير الثقافة الفرنسي أندريه مالرو لمصر عام ١٩٦٥ استقبله بمكتبه بالبنك الأهلى.. قال له أى الوسامين تختار؟.. وسام جوقة الشرف «الجيون دونير» أم وسام الفنون والآداب؟ كانت الحكومة الفرنسية قد رغبت في أن تمنح عكاشة واحدًا من هذين الوسامين.. فلم يتوان عن إيثار الثانى على الأول وبعد أسابيع قلده جاك رو سفير فرنسا بالقاهرة وسام الفنون والآداب من طبقة كوماندور.. وبعدها بثلاث سنوات فوجئ بالسفير يقلده ذلك الوسام الذى أثر عليه غيره وهو وسام جوقة الشرف عام ١٩٦٨.

البنك الأهلى بين وزارتين

البنك الأهلى بين وزارتين

بعد ٤ سنوات قضاها ثروت عكاشة وزيرًا للثقافة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٢.. فوجئ بقرار الرئيس عبدالناصر بضم الثقافة الى وزارة الإعلام ووزيرها د.عبدالقادر حاتم.. لم يكن عكاشة استكمل خطته الطموحة للنهوض بالثقافة خاصة جهده المبذول لإنقاذ آثار النوبة.. وأسند إليه رئاسة مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى.. وهو ليس له دراية ولا لديه الخبرات المصرفية والتجارية التى تؤهله لهذا المنصب!! لكن ثروت عكاشة بذكائه حولها إلى تجربة غنية.

إسهام البنك فى نشر الثقافة والفنون

استمر حنين ثروت عكاشة للثقافة.. فخطى بالبنك الأهلى كما يحدث فى البنوك بالدول المتحضرة من حيث إسهامها بنصيب فى نشر الثقافة والفنون.. وهو ما لم يكن مألوفا عندنا.. فرصد مبلغًا سنويًا لاقتناء بعض ما ينتجه الفنانون المصريون من لوحات ومنحوتات لتزين بها جدران مبانى البنك وقاعاته فى شتى فروعه.. هذا إلى ما فيه من تشجيع للفن والفنانين فيه أيضًا تعويد الأذواق على عشق الجمال.. فضلاً عما لتلك المقتنيات من قيمة مادية تنمو على مر الزمن.

نمت هذه التجربة.. ولاقت خير اهتمام ورعاية على أيدى كل من خلفه.. وأقيم لمقتنيات البنك الفنية، التى تجمعت على مر السنين، معرضًا عام ١٩٨٨ احتفالًا بمرور تسعين عامًا على إنشاء البنك.. ثم أقيم متحف مستديم بالمقر الرئيسى للبنك عام ١٩٩٤.

رجال المال ودعم المسرح

يقول د.ثروت عكاشة: ليست مشاركة المصارف فى اقتناء الأعمال الفنية بدعة جديدة.. بل فعل ذلك الأثرياء ورجال المال منذ العصر الكلاسيكي اليوناني والرومانى.. كانوا يتناوبون الإنفاق على إخراج المسرحيات.. ويعدون هذا الإنفاق عملا وطنيا.. وفى عصر النهضة الأوروبية كانت

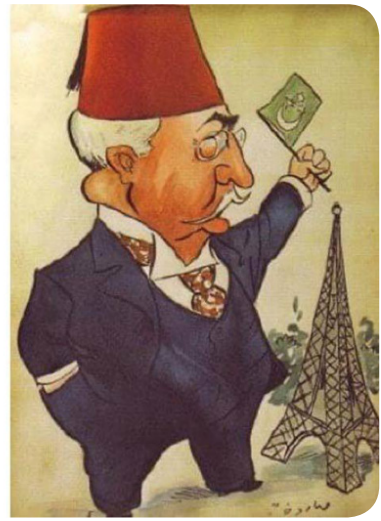
رعاية الفنون رسالة الأسر الثرية لا سيما من كان منها يدير أعمالًا مصرفية.. على رأسها أسرة كوزيموده مديتشى.. فقد كان هذا الرجل على الرغم من انكفائه على المضاربات واشتغاله بالأعمال المصرفية.. كان ممن رأوا لأفلاطون حقه فأسس أكاديمية باسمه «أكاديمية الأفلاطونية الحديثة» وهو ما يعد أول أكاديمية للفنون منذ العهد الكلاسيكي القديم.. وأنشأ بفلورنسا مكتبة ضخمة تضم المخطوطات النادرة.. ومن بعده ابنه لورنزو كان مولعا بجمع التماثيل والمنحوتات اليونانية والرومانية العريقة ليجمل بها حدائقه.

طلعت حرب ويوسف كمال ومحمود خليل

ما حدث في الغرب حدث مثله في الشرق.. فقد كان للاقتصادى طلعت حرب رعاية كبرى للحضارة.. أنشأ شركة مصر للتمثيل والسينما كما أسس استوديو مصر.. وأيضًا الأمير يوسف كمال أنشأ بماله الخاص مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩١٢ بدرب الجماميز التى تخرج فيها جيل الرواد العظماء.. والرجل الثرى البارز محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ الأسبق، كان مولعًا بالفنون.

لم يبخل بشراء أية لوحة مصورة فى أى مكان كانت لاسيما ما كان منها خاصًا بمصر والمصريين مما أبدعته أيدى كبار فنانى القرن التاسع عشر، ليزود بها المتاحف والمؤسسات والنوادى.. وأوصى قبيل وفاته بأن تؤول مجموعته الخاصة الثمينة بما تضم من روائع المدرسة الانطباعية الفرنسية إلى متحف قومى يحمل اسمه واسم زوجته، والموجود حاليا فى الدقى (متحف محمد محمود خليل وحرمه).





محمد محمود خليل بك بريشة صاروخان ورخا

استضافة مؤرخ فنى فرنسى

دعى ثروت عكاشة باسم البنك الأهلي المصرى في عام ١٩٦٥ مؤرخ الفن رينيه ويج الأستاذ بالكلية الفرنسية ليلقى سلسلة محاضرات عن «الفن والنور واللوحات» وعن «مصر ملتقى الشرق والغرب».. وكان لهذه المحاضرات صدى بعيد فى الأوساط الفنية والثقافية.. وكان هذا من مظاهر الغبطة التى عمت المثقفين في مصر بعودة الصلات الثقافية بين مصر وفرنسا قبل أن تعود العلاقات الدبلوماسية التي انقطعت منذ عام ١٩٥٦.. وتم طبع هذه المحاضرات في كتاب على نفقة البنك الأهلى، وصدر فى ٣ طبعات إحداها باللغة العربية ترجمة د.عبدالرحمن بدوى، والثانية باللغة الإنجليزية ترجمة د.مجدى وهبة، والثالثة بالفرنسية.. ودعاه ثروت عكاشة مرة أخرى عام ١٩٦٨ عندما عاد لوزارة الثقافة ثانيًا.. وألقى محاضرات أخرى عن «روح الفن».. نوقشت فيها قضايا مختلفة عن «الفنان حرية والتزاما» بمقر «جمعية الصداقة المصرية الفرنسية» التى رأسها فيما بعد د.ثروت عكاشة في التسعينات.

مؤلفات وترجمات خلال عمله بالبنك

كان لثروت عكاشة خلال عمله بالبنك فسحة من الوقت.. فلم تعد تشغله الأعباء الوزارية الكثيرة المتتالية التى كانت تستنفد ساعات يومه كلها.. اتسع وقته لزيارات متاحف العالم ومكتباتها.. أفادته هذه الزيارات بتحصيل معلومات فنية لا تتوفر فى الكتب وحدها.. وكانت فترة ثرية بترجماته.. فقد بدأ كتابة موسوعته الشهيرة «العين تسمع والأذن ترى» عام ١٩٦٣ واستغرق كتابتها ٢٠ عاما.. كما ترجم كتابه ودراساته عن الموسيقى «فاجنر».. وكتاب «المسرح المصرى القديم».. وترجم ثلاثة كتب من الإنجليزية أعمال جبران خليل جبران، هى: «عيسى ابن الإنسان» (١٩٦٢) و «رمل وزبد» (١٩٦٣) و «أرباب الأرض» (١٩٦٥).

عكاشة وزيرًا لثقافة مصر وسوريا

عكاشة وزيرًا لثقافة مصر وسوريا

بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨.. أصبحت سوريا هى الإقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة (مصر).. عُيّن صلاح الدين البيطار في نفس يوم إعلان الوحدة وزيراً للثقافة والإرشاد القومى الوليدة حديثا بسوريا، واستمر حتى أكتوبر من نفس العام.. استقال مع الوزراء البعثيين من الحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة والمجلس التنفيذي للإقليم الشمالي.. جاء بعده رياض المالكى ثم ثابت العريس.. ثم ثروت عكاشة الذى كان أول وآخر وزير تحتضن وزارته مصر وسوريا.. ففى ١٦ أغسطس عام ١٩٦١ أسند الرئيس جمال عبدالناصر إلى ثروت عكاشة وزارة ثقافة سوريا بالإضافة إلى عمله وزيرًا للثقافة في مصر.


الأهرام

١٢ صفحة

١٠ مليمات

Al Ahram

بعون الله

« قامت الجمهورية العربية المتحدة »

جمال عبد الناصر يحكم لأول مرة بعد انتخابه رئيسا للجمهورية العربية المتحدة

٩٩,٩٩ ٪ نتيجة الاستفتاء في إقليم مصر

٩٩,٩٨ ٪ نتيجة الاستفتاء في إقليم سوريا

دول العالم تتسابق على الاعتراف بالجمهورية الجديدة

« المشير » عبد الحكيم عامر يعين حاكما عاما للاقليم السامى للجمهورية العربية المتحدة

عبد الناصر يتحدث الى شباب الجمهورية العربية

خطة للارتقاء بالثقافة والفنون فى سوريا

انتهز عكاشة أول فرصة سنحت له في ١٨ سبتمبر ١٩٦١ لزيارة «الإقليم الشمالي» كما كانت سوريا تسمى في عهد الوحدة.. مصطحبًا معه مجموعة من المثقفين والفنانين من بينهم المهندس والموسيقار أبوبكر خيرت والفنان حامد سعيد والمستشار أحمد لطفى مدير مكتبه وغيرهم.. استغرقت تلك الزيارة

عشرة أيام.. تعرفوا خلالها على المعالم الثقافية للشعب السورى المبدع العريق في دمشق وحمص وسد الرستن وحماة ومعرة النعمان وحلب وأدلب وصلنفة والحفة واللاذقية والمنطقة الأثرية برأس شمراء وغابة الفرلق وطرطوس وجزيرة أرواد وقلعتها ودرعا وقلعة الحصن وبصرى الشام وقلعتها ومسرحها الروماني المدرج والسويداء ودير الزور والقامشلى وتدمر.

صاحبهم فى زيارة هذه المحافظات الخمس عشرة يوسف شقرا الأمين العام لوزارة الثقافة السورية.. ويقول عنه عكاشة: كان نعم الرفيق علمًا وثقافة وأدباً ولطفًا وحفاوة.

وانتهت الزيارات إلى الاتفاق مع السوريين على البدء في إعداد فرقة موحدة للفنون الشعبية للجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا).. وعقدت اجتماعات شتى مع قيادات الثقافة في سوريا انتهوا فيها إلى وضع خطة طموحة رصد لها مبلغ مليون وثمانمائة ألف ليرة سورية لإنشاء ثلاث مراكز ثقافية في دير الزور والسويداء ودرعا والإسهام في إنشاء مجمع ثقافي بمدينة حمص.. وشراء وتجهيز ثلاث وحدات ثقافية متنقلة للرقة والحسكة ودير الزور.

وإنشاء معهد للموسيقى بدمشق.. وبناء مركز ثقافى في عين العرب.. وتشييد مسرح فى حلب.. وإكمال مسرح العرائس بدمشق.. وبناء متاحف إقليمية في كل من حلب ودمشق وتدمر.. وكان أن تعهدت وزارة الأشغال السورية، التي أسند إليها البناء، المساهمة بإنشاء بعض هذه المؤسسات على نفقتها كاملة.

عبدالحكيم عامر يخصص ٥ ملايين ليرة للآثار فى سوريا

وكان عكاشة حصل على موافقة المشير عبدالحكيم عامر ـ بوصفه نائب رئيس الجمهورية في الإقليم الشمالى – قبل قيامه بزيارة سوريا بشهرين على تخصيص مبلغ خمسة ملايين ليرة على امتداد عشرة سنوات لإحياء مدينة تدمر وإجراء التنقيبات عن الآثار المطمورة.

وفي مدينة حلب عاين ثروت عكاشة بصحبة خبراء مديرية الآثار السورية

قلعتها الشامخة لإدخال مشروع الصوت والضوء بها.. كما تفقدت قاعة العرش بالقلعة التي كان القائمون على الآثار بصدد إنشاء سقف لها بعد الذي تهدم.

ومن دمشق أرسل عكاشة إلى رينيه ماهيه مدير عام اليونسكو أول رسالة باعتباره وزير الثقافة فى سوريا، يطلب منها إسهام منظمة اليونسكو في ترميم قلعة الحصن.. كما عهد إلى المثال المصرى مصطفي نجيب بتصميم تمثال للمجاهد السورى إبراهيم هنانو لإهدائه إلى مدينة أدلب مسقط رأسه بمحافظة حلب.

الانقلاب.. وهروب الوفد المصرى عبر لبنان

فى فجر يوم ٢٨ سبتمبر.. وكان لا يزال عكاشة فى دمشق.. أيقظه سكرتيره على خبر وقوع انقلاب فى سوريا.. للانفصال عن مصر.. وكانت صدمة عنيفة لثروت عكاشة أن يسمع هتافات موالية للانفصال، وكانت تتردد أصداؤها بالأمس فى دمشق وغيرها تشيد بالوحدة!

حاول ثروت عكاشة أن يبث الهدوء على من معه فى دمشق رغم الأجواء المشحونة ضدهم وضد المصريين عمومًا.. ولا يدرى ماذا سيحل بهم.. وكما حدث فى «تايتنيك» عندما ظلت فرقة الموسيقى تعزف بينما السفينة تغرق لجلب الهدوء للنفس.. طلب عكاشة من أبوبكر خيرت أن يعزف على البيانو الموجود في بهو استقبال فندق الشرق الخاوى.. بدأها بعزف موسيقى موشح (لما بدا يتثنى) التى كان أعاد صياغتها أوركستراليًا.. واستمر بالعزف.. حتى جاء قرب نهاية النهار يوسف شقرا ليبلغهم أنه يمكنهم عبور الحدود الليلة إلى لبنان.. واصطحبهم متخطيا بهم كثيرًا من التعقيدات التى اعترضت طريقهم وهتافات محمومة تندد بالقوانين الاشتراكية التى نالت من التجار وكبار وصغار ملاك الثروة والنفوذ مما جعلهم خصوما للتجربة الوحدوية.. حتى وصلوا إلى بيروت فى منتصف الليل.

بداية الانفصال

فى الصباح التالى استقل ثروت عكاشة ومن معه أول طائرة إلى القاهرة.. وتوجهوا سويًا إلى مقر جمال عبدالناصر الذى كان وقع الانفصال عليه حزنا

عميقًا.. إذ كان قد بنى هذه الوحدة على أمنيات عظيمة، فإذا هى تنهار فى طرفة عين.. ويقول ثروت عكاشة: أثارنى ما كان يفعله رجال السلطة من السوريين الذين أسلمتهم القيادة السياسية في مصر زمام الحكم في سوريا.. فإذا هم ينكلون بخصومهم باسم الوحدة.. فتحملت مصر وزرًا هى منه براء.. فقد كان للاعتداءات على الحريات الشخصية أثرها في زعزعة الوحدة فانفض عنها مؤيدوها إلا القليل منهم.. وإذا الوحدة بعد شهور قليلة من قيامها تصبح بلا جماهير وإذا مؤيدوها أقل عددًا من خصومها.

فرعنة المصريين ضد السوريين

عانى السوريون المخلصون للوحدة من بعض كبار المسئولين ومراكز القوى المصريين.. وسوء تصرف واستعلاء بعض الضباط والإعلاميين المصريين.. جعل السوريين يحسون أنهم باتوا مواطنين من الدرجة الثانية.. ومن ثم تفاقمت الحساسيات الإقليمية.

ويروى الإذاعى السورى عبدالهادى البكار عن «تفرعن» المصريين الذين جاء بعضهم إلى سوريا يحدوه شعور الاحتلال الاستعمارى.. أو على نحو العبارة الدالة التي جاءت على لسان وزير العدل السورى آنذاك نهاد القاسم، قبيل الانفصال بفترة وجيزة، عند وصوله إلى دمشق قادمًا من مصر حين قال: «لقد عدت من القاهرة إلى المقهورة». وهي عبارة خطيرة ترهص بالأحاسيس الوطنية التي أفضت إلى الانفصال.. وكان هذا كله وبالاً على المصريين المقيمين بسوريا بعد حركة الانفصال.. فذاقوا على أيدي أشقائهم السوريين ضروبًا شتى من ألوان القهر والإذلال والتنكيل.. البريء منهم والمذنب على حد سواء بلا تمييز.

وانتهز الفرصة بعض رجال البعث في سوريا غير الراغبين في بقاء الوحدة، وأخذوا يؤلبون الجماهير ضد الوحدة.. وكان استفزاز الرئيس عبدالناصر لأقطاب حزب البعث العربي الاشتراكي ـ من خلال نزعته السلطوية ـ باعثا لهذا الحزب كي يخوض ضده صراعًا عنيفًا قوض أركان حرية الوحدة الوليدة.

هكذا بدأت بوادر التفكك بعد سنة واحدة من قيام الوحدة حين استقال

صفوة الـوزراء البعثيين من الحكومة الاتحادية عام ١٩٥٩.. واحتضنت السعودية والأردن الانفصاليين الذين أجهضوا تجربة الوحدة.. وكانت الدولتان العظميان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومجموعة الدول العربية المرتبطة بهما.. بل وفرنسا الغاضبة من دعم مصر لثورة الجزائر وأصدقاؤها في سوريا، كانت قلوب هؤلاء جميعا تفيض عداء للوحدة.

وزاد الطينة بلة.. تنصيب المشير عبدالحكيم عامر حاكما للإقليم الشمالى «سوريا» فى مرحلة اختمرت وتبلورت فيها رغبة الجانب المؤثر من المجتمع السوري في الانفصال.. فلم يلق تعيين هذا الحاكم الوافد ترحيبا.. فى الوقت الذي كانوا يتوقون فيه إلى التخلص من استفحال سطوة عبدالحميد السراج وبطشه.. كان سراج عين عام ١٩٥٥ رئيساً للمخابرات وترأس التحقيقات ضد الحزب القومى السورى أثناء الوحدة، وشغل منصب وزير الداخلية ورئيس المكتب التنفيذى للإقليم الشمالى (سوريا).

خطأ عبدالناصر

يـرى د.ثـروت عكاشة أن عبدالناصر أرتكب خطأ جسيما حين أمر بإرسال قوات المظلات جوا وقواته المسلحة بحرا إلى ميناء اللاذقية لضرب الانفصاليين.. مما زاد من ثورة أعداء الوحدة واستغلال هذا الخطأ بمساعدة القوى الأجنبية المحركة والمؤيدة للانفصال.. وتراجع عبدالناصر سريعا عن هذه الخطوة متبينا خطأ قراره.. فأمر باستـدعـاء القـوات المسلحة المرسلة بحرا.

رغم الحزن الفادح الذى هز كيان عبدالناصر.. كان يدرك أبعاد الأخطاء.. وأن التسرع في قبول الوحدة كان الخطأ الأساسى.. وكان أقسى ما يعانيه هو إحساسه بإجهاض أمل عزيز على العرب جميعا بتحقيق الوحـدة الشاملة.

أدباء وفنانون.. اعتقال وتهديد وتأميم

أدباء وفنانون.. اعتقال وتهديد وتأميم

الحرية ليست فقط حقا للكتاب والفنانين بل هى واجبهم أيضًا، لأنها رسالتهم فى المجتمع.. فى السينما مرر عكاشة خلال توليه الوزارة فيلم «شىء من الخوف» للمخرج حسين كمال ١٩٦٩ تأليف ثروت أباظة.. كان الفيلم أثار جدلا واسعا حينها.. وفى عهده نشرت «أولاد حارتنا» ١٩٥٩.. الرواية التى كفر بسببها نجيب محفوظ.. رأى البعض فيها ازدراء أديان.. وسمح بعرض مسرحية «الفتى مهران» ١٩٦٦ رغم الانتقادات التى وجهت إليها حيث انتقد فيها عبدالرحمن الشرقاوى بشدة حرب اليمن فى عهد عبدالناصر.

خرجوا من المعتقل أكثر حبًا لعبدالناصر!!

قال د.فؤاد زكريا المفكر والأستاذ بالفلسفة (١٩٢٧ ـ ٢٠١٠): كانت الثقافة في عهد الثورة تشكل جزيرة منعزلة إلى حد ما عن بقية جوانب النظام.. وكان يرجع أساسًا إلى وجود شخصية قوية هى شخصية ثروت عكاشة.. فهذا الرجل كان من ناحية واحدا من أبرز الضباط الذين قاموا بدور أساسى في ثورة يولية.. وكان من ناحية أخرى عاشقا حقيقيا للثقافة.. فتمكن بفضل قوته ونفوذه من أن يلقى ظلا من الحماية والرعاية على المثقفين ويضمن لهم قدرا لا بأس به من الحرية ويحميهم من الكثير من الشائعات والوشايات التى كان من الممكن أن تلحق بهم ضررا كبيرًا لولا وجوده.

الشيء الملفت والمثير للدهشة هو أن كل المفكرين والأدباء والفنانين الذين طالهم عذاب السجن والاعتقال.. لم يتخذوا موقفا عدائيا من عبدالناصر.. الأكثر غرابة أن كثيرًا منهم ليس فقط لم يناصبه العداء.. بل كان يشيد به كزعيم وطنى.. ربما يعود ذلك إلى أن عبدالناصر كان رمزا للوطنية والتحرر، ولم يريدوا الإلحاق الأذى بثورة يوليو وهي تمضى فى خطواتها نحو التحرر الوطنى والقومى.

اعتقال عبدالرحمن الشرقاوى

خلال رئاسة تحرير ثروت عكاشة لمجلة (التحرير) نشر عبدالرحمن الشرقاوى قصة بعنوان «الشاويش عبدالله»، وأحست السلطات أن في هذه القصة مساساً بإخواننا السودانيين الذين يقال إن اللواء محمد نجيب ينتمى

نسباً إليهم من ناحية أمه.. فصدر أمر الحاكم العسكرى باعتقاله فى يونيو ١٩٥٣..



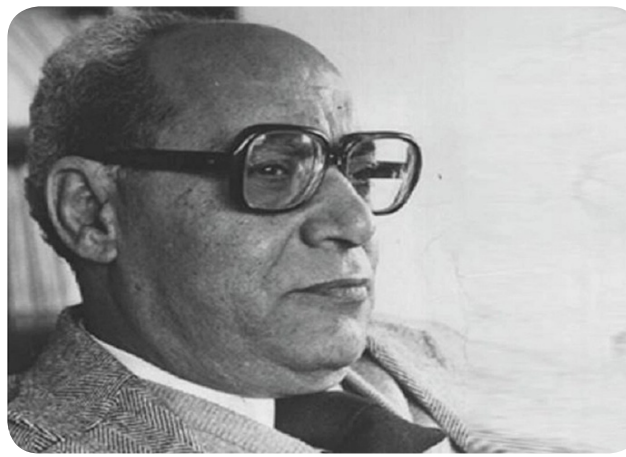
عبدالرحمن الشرقاوى

لم ير عكاشة أى غبار فيه على الكاتب فيما كتب.. فذهب إلى اللواء محمد نجيب وأوضح له أن مثل هذا قد وقع للأديب الفرنسي الشاعر لوى أراجون على قصيدة «الجبهة الحمراء» التى تخيل الادعاء حينذاك أن فيها حضا على القتل.. لكن القضاء ما لبث أن برأ ساحته مستنداً فى هذا إلى حجة زعيم السريالية الأديب أندريه بريتون التى تفصح عن أن كل ما يمت إلى اللاشعور، لا مؤاخذة عليه.. وعندما اقتنع محمد نجيب ألغى أمر الاعتقال فى نفس اليوم .

اعتقال د.لويس عوض

تتلمذ ثروت عكاشة على يد د.لويس عوض.. كان يعمل أستاذا بجامعة دمشق عندما طلب منه عكاشة عقب توليه الوزارة، الانضمام إلى وزارة الثقافة المصرية ليعمل إلى جواره مديرًا عامًا لإدارة الثقافة.. وتم ذلك بالفعل فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٨.. وأبدى كفاءة نادرة فى هذه المهمة.. وبعد أربعة شهور.. فوجئ باعتقال د.لويس عوض بتهمة الشيوعية.. كان ثروت

عكاشة يعلم علم اليقين أن د.لويس لا يدين بالمبادئ الماركسية.



لويس عوض

كانت فى ذلك الوقت توجد حملة اعتقالات ضد الماركسيين والشيوعيين والمحسوبين عليهم فى كل من مصر وسوريا (وقت الوحدة) نتيجة لمحاولة الرئيس خروشوف التدخل في الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة.. واحتدام الخلاف بين موسكو والقاهرة ذلك العام..

حاول عكاشة المستحيل لإطلاق سراح د.لويس عوض.. طلب من الرئيس عبدالناصر أن يأمر بالإفراج عن هذا العالم البريء.. أبلغه عبدالناصر أنه لا يعرف شيئًا عن د.لويس.. وأن قائمة وصلته من وزارة الداخلية تضم أسماء مجموعة من المعتقلين السياسيين فوقعها!

وأحال عبدالناصر ثروت عكاشة إلى وزير الداخلية الذى استدعى مدير مباحث أمن الدولة.. ولما ناقشه فى سبب اعتقال د.لويس، أجابه بأنه شيوعى معروف.. فأوضح له معرفته التامة به لاسيما أنه تتلمذ على يديه ثلاث سنوات بجامعة فؤاد الأول.. وأنه بعيد كل البعد عن الماركسية بل هو في اعتقاده شيخ الليبرالية فى مصر ولا إثم في ذلك.. لكن مدير المباحث أصر بأن بين يديه من الأدلة ما يكفى لاعتباره شيوعيًا ضالعًا.. وأن هذه أمور لا

يعرفها غير رجال الأمن.. ولم يستطع وزير الداخلية حيال ذلك الإصرار أن يفعل شيئا.

خرج د.ثروت عكاشة آسفًا محبطاً.. وكان هذا درسًا قاسيًا أدركه بعد خمسة شهور من قبوله منصب الوزير.. وهو أن كبار المسئولين في الدولة كانوا لا يؤمنون بغير ما يسجله رجال مباحث أمن الدولة عن الأفراد.. تألم عكاشة أشد الألم لإحساسه بمسئوليته عن ترك لويس عوض عمله فى سوريا ومجيئه إلى القاهرة حيث تيسر القبض عليه ووضعه خلف الأسوار.

قضى لويس عوض نحو ١٤ شهرا فى المعتقل.. أفرج عنه فى ٢ يوليو ١٩٦٠.. ترجاه د.ثروت أن يعود للعمل بالوزارة.. اعتذر واعدا أن يكون فى خدمته بعيدا الوظيفة الرسمية.. وقد بر بوعده ولم يبخل بجهوده تجاه الوزارة وكان عضوا نشطا بمجلس إدارة مؤسسة المسرح والموسيقى حتى عام ١٩٧٠.

اعتقال ألفريد فرج وأقطاب الفكر والفن

من الغريب ان توصف تجربة مريرة.. بأنها تجربة فريدة ومميزة.. عن اعتقال الكاتب المسرحى ألفريد فرج أتحدث.. أربع سنوات كاملة معتقلا.. من مارس ١٩٥٩ إلي فبراير ١٩٦٣.



حلاق بغداد كتبها ألفريد فرج فى السجن وعرضت بالمسرح القومى بعد خروجه مباشرة

تخيل أن يضم معتقل واحد أقطاب الفكر والثقافة والأدب والفن المصرى.. معتقل يجمع بين ألفريد فرج.. وحسن فؤاد.. وصلاح حافظ.. وسعد كامل.. وفيليب جلاب.. وعدلي برسوم.. وزهدى.. وفؤاد حداد.. ومحمود أمين العالم.. والفنان على الشريف.. وإبراهيم عامر وغيرهم وغيرهم ممن عايشوا أياما عصيبة موحشة بين جدران المعتقلات الصماء: معتقل القلعة، ومعتقل العزب بالفيوم.. وليمان أبو زعبل.. ومعتقل الواحات الخارجة بالصحراء الغربية.

فى كتاب صادر عن دار رؤية لنبيل فرج شقيق ألفريد فرج .. هى شهادته الأليمة عن الحياة في المعتقلات إبان العهد الناصرى.. أيضًا شهادة لميلاد مسرحيته «حلاق بغداد» التى ولدت بين ربوع زنازين مصر المختلفة.. كتبها فى البداية على ورق «البافرة»، وهى ورق لف السجائر يدويا، وبالقلم الكوبيا، قلم بحجم الأصبع الصغير لليد، حتي يسهل إخفاؤه، ويسهل كذلك إخفاء الورق عند أى مداهمة يقوم بها حراس المعتقل للتفتيش.

في سجن أبو زعبل.. كتب ألفريد فرج مسرحيته التى استلهمها من التراث والحكايات الشعبية.. ولكن برؤية جديدة.. وفى الزنزانة الضيقة الصغيرة تم عرض حلاق بغداد.. أخرج المسرحية المعتقل الكاتب الكبير صلاح حافظ رئيس تحرير روزاليوسف فيما بعد.. وقام فخري مكاوى مدرس الفلسفة بدور «أبوالفضول حلاق بغداد».. أما دور «الخليفة» فكان من نصيب الفنان حسن فؤاد رئيس تحرير مجلة صباح الخير لاحقًا.. ودور «الوزير» قام به الكاتب الكبير محمود أمين العالم.. ودور «القاضى» للكاتب الصحفي إبراهيم عامر.

وقام حسن فؤاد بتصميم وتنفيذ الملابس والديكور من أفراخ أوراق الكريشة الملونة.. فكان لهذه الألوان سحر خاص وسط أجواء المعتقل الباهتة والقاتمة.. أما خشبة المسرح فكانت عبارة عن ممر بين غرف السجن سعته لا تتجاوز ٣ الأمتار.. أما الإضاءة فكانت (بروجكتر) من الصفيح المغلف بالأوراق المفضضة لعلب السجائر.

كان حقًا عرضًا فريدًا.. كتابة وتمثيلا وفنيين وإخراجًا.. وخشبة مسرح!!

أما الشيء الملفت.. هو عرض المسرحية «حلاق بغداد» على المسرح القومى عقب خروج ألفريد فرج من السجن.. وفى عهد عبدالناصر.. عام ١٩٦٣.. قام بدور البطولة عبدالمنعم إبراهيم وعبدالرحمن أبوزهرة وملك الجمل.. ووضع لها الألحان بليغ حمدى، وأخرجها فاروق الدمرداش.. نالت مسرحية «حلاق بغداد» التى شهدت ميلادها الأول داخل السجون، الاستحسان والتقدير من جانب النقاد والجمهور علي السواء.

اعتقال إنجى أفلاطون

اعتقلت فى مارس ١٩٥٩ مع ٢٥ سيدة، ودام اعتقالها ٤ سنوات ونصف.. تنتمي إلى رواد الحركة الفنية التشكيلية في مصر والعالم العربي، كانت تتبع للمدرسة السريالية، ونالت وسامًا من وزارة الثقافة الفرنسية عام ١٩٨٦.. نشرت خلال ١٩٤٨ و١٩٤٩ كتاب «٨٠ مليون امرأة معنا» وكتاب «نحن النساء المصريات»، وهما تحليل لقمع النساء والأمة على السواء.. وتوالت معارضها، حتى بلغ عددها ٢٦ معرضاً، وسافرت في منتصف الخمسينيات إلى النوبة والواحات، واستلهمت كثيرًا من مشاهد الحياة اليومية في الريف وأصبحت رسومها في أواخر الخمسينيات ذات منحى سياسى.



خلف القضبان لإنجي أفلاطون

وقد أنتجت خلال فترة اعتقالها أعمالًا رائعة تصور مأساة الفقراء من الفلاحات والعاملات بالحقول كانت سببًا فى شهرة أعمالها التعبيرية، مثلما في لوحاتها «شجرة خلف الحائط» و«ليلة خلف قضبان السجن» من أكثر أعمالها سحرًا «الصور النسائية في السجن» التي أظهرت قوتها وعذابها حيث رسمت كيف تجلس النساء في راحة في عنبر السجينات مثلما في لوحة «فتاة خلف القضبان».

عكاشة ينقذ محفوظ من عقاب ثرثرة فوق النيل

جاء على لسان نجيب محفوظ فى حديث له بمجلة الشباب نشر في الثمانينيات من القرن الماضى: لن نجد إنسانًا مخلصًا إلا وقد انقسم أمام عبد الناصر.. لأن عبدالناصر زعيم وطنى عظيم له إيجابيات لا تنسى، وله أيضًا سلبيات لا تنسى.. إذن فأى إنسان يقف أمامه حائر.. إذا ذكر إيجابياته بكى عليه، وإذا ذكر سلبياته يتحسر.. وقد يطول لسانه بكلمتين.. وأنا هنا لا أتكلم عن أعدائه لأن أعداءه عندهم من الأسباب ما يجعلهم أعداء.. فقد نكل بأناس كثيرين.. أما نحن فلم ينكل بنا.. بل على العكس، فقد أغدق علينا كل ما يمكن أغداقه إنسان من تكريم وأوسمة وخلافه.. ويضيف نجيب محفوظ: وفى جزء من عهد عبدالناصر خيل إلى أننى أعيش فى دولة عظمى لدرجة استغربت معها كيف تولد دولة عظمى بهذه السرعة.. ومن أصعب المواقف التى صادفتنى فى حياتى أزمة رواية «ثرثرة فوق النيل».. فلقد بلغنى أنها اعتبرت لدى السلطات وقتها تجاوزا يجب تأديبى عليه.. ولولا د.ثروت عكاشة وزير الثقافة، دافع عنى عند عبدالناصر لكانوا قد عاقبونى فعلا.



فيلم ثرثرة فوق النيل

عبدالناصر يطلب إقالة يحيى حقى

لم يمر شهرين على تولى عكاشة وزارة الثقافة.. وجد الرئيس عبدالناصر يستدعيه على عجل.. وما أن التقاه حتى طلب منه الاستماع إلى شريط صوتى مسجل لمجموعة من الأشخاص انهالوا على شخص الرئيس بالشتائم البذيئة ناعتين إياه بأحط السباب.

سأله مندهشًا عمن يكونون.. فذكر له اسم أحد الوزراء واسم أديب رائد مرموق.. وأنه استغنى عن خدمات الوزير وأمر باعتقال الأديب الشيخ. ولما سأله عكاشة عن الغرض من دعوته للاستماع إلى ذلك التسجيل؟.. قال إن يحيى حقى رئيس مصلحة الفنون كان متواجدًا معهما ويتعين إحالته على المعاش.. فبادر بقوله: لكن من الواضح من الشريط الصوتى أنه لم يشارك فى هذا السباب.. وهو مشهود له بعفة اللسان ودماثة الخلق فضلا عن أنه أديب مرموق ومحبوب.. ومجازاته ظلما على هذا النحو ستكون لها أثر سيئ فى أوساط المثقفين والعامة على السواء.. رد عبدالناصر: ولكنه كان موجودًا معهم ولم يعترض وهذا يكفى.. فناشده عكاشة أن يترك الأمر له ليعالجه بأسلوب مناسب فوافق مقتنعًا بعد إلحاح.

كان ثروت عكاشة في غاية الحرج.. كيف يواجه يحيى حقى بتنحيته عن إدارة مصلحة الفنون وهو المدير الناجح.. مخفيًا عنه فى الوقت نفسه ما دار بينه وبين عبدالناصر بشأنه.. ولما كانت وزارة الثقافة ما زالت فى بداية عهدها تزدحم بعاملين منقولين من وزارة التربية والتعليم وليست لهم دراية بأعمال وزارة الثقافة الوليدة.. وكان عكاشة بصدد إنشاء مركز تدريب لهؤلاء العاملين.. هداه تفكيره إلى إسناد إدارته إلى يحيى حقى على استحياء راجيًا منه قبول هذا التكليف.. كما أسند إليه إلى جوار ذلك منصبًا بدار الكتب ثم رئاسة تحرير مجلة «المجلة» حتى لا يشعر بغربة عن عالمه فى مجال الفكر والأدب والفن.

أدرك ثروت عكاشة وجود تجسس على الوزراء وإحصاء تحركاتهم وسكناتهم وأسرارهم الشخصية داخل بيوتهم.. كما يحدث للمجرمين والخارجين على القانون.. فكلهم فى هذا سواء وكان هذا درسًا أدركه كوزير حديث العهد بالمنصب.

فرض الحراسة على مراد وهبة

صارح ثروت عكاشة المشير عامر بما يحس به من ضيق عما يجرى فى تطبيق إجراءات الحراسة وما يتوقعه من عواقب وخيمة إذا ما أستمر الحال على هذا المنوال.. وبعث إليه بخطاب مؤرخ في ٧ يناير ١٩٦٧ فى شأن رجل من خيرة رجال مصر كان يؤمن بإخلاصه، حيث ثمة قرار صدر من اللجنة بفرض الحراسة عليه طبقا للأمر رقم ١٣٨ لسنة ١٩٦١.. هو مراد وهبة وله نتاجه فى عالم الفكر والثقافة.. كان قد ندبه ثروت عكاشة مديرًا لإدارة التبادل الثقافى بوزارة الثقافة قبل ٤ شهور حيث كان أستاذًا مساعدًا بكلية الآداب.. ولم ينفع تدخل د.عكاشة حيث استمرت الحراسة عليه.

ويعلق عكاشة: ما زادنى تأكيدًا على أن الأمور تجرى عن هوى لا عن عدل ما عقب به المشير عامر على هذا الخطاب.. فلقد رفع عنه الحراسة.. ولكن الجهات المنفذة لم تلق لهذا الأمر بالًا وكأنه لم يكن.. فعدت أطلب من المشير تنفيذ ما وعدنى به بعد أن تلكأ فى تنفيذه رجاله.. ورفعت بعد عناء الحراسة عن د.مراد وهبة.

إصابة سعدالدين وهبة بطلق نارى

في ٢١ فبراير ١٩٦٨ كانت اضطرابات العمال فى حلوان متأججة احتجاجًا على الأحكام المخففة التى صدرت على قادة سلاح الطيران بعد هزيمة ١٩٦٧.. وفى الخامسة مساء تلقى د.ثروت عكاشة اتصالًا من سكرتيره يبلغه أن سعدالدين وهبة رئيس الشركة القومية للتوزيع فى وزارة الثقافة، كان يطل على مظاهرات للطلبة من نافذة مكتبه بشارع رمسيس وإذا بطلق نارى يصيبه.. ونُقل إلى مستشفى الهلال الأحمر.. فتوجه إليه ليطمئن على حالته.. واكتشفت أنه أصيب بعيار نارى من رشاش طراز بورسعيد مما تستخدمه الشرطة وتم استخراجه.

كانت مظاهرات الطلبة اندلعت في أعقاب المحاكمات العسكرية.. يقودها عناصر التنظيم الطليعي ومن بينهم عدد من العناصر الماركسية.. وكانت معظم الشعارات التي رفعت خلال تلك المظاهرات تنحصر في «الموت للخونة»، «تسقط المحاكمات السرية»، «لا اشتراكية بدون حرية»، «مفيش

تغيير بالمرة، والعيشة بقت مرة».

امتلأت المستشفى بأعداد غفيرة من الطلبة بعد أن علموا بوجود أحد الوزراء بالمستشفى.. وكان يملؤهم الغضب محتجين على إطلاق الشرطة الرصاص عليهم.. فبادر عكاشة إلى تهدئتهم وأمر بعلاج المصابين.. وطلبوا منه أن ينقل إلى الرئيس صادق ولائهم مقرونا باعتراضاتهم على تصرفات الأجهزة المحيطة به.. استجاب لهم ثروت عكاشة.. وفى مساء نفس اليوم كان موعد انعقاد مجلس الوزراء برئاسة رئيس الجمهورية الذى كان أيضًا رئيسًا للوزراء.

شرح وزير الداخلية في الاجتماع ما دار أثناء النهار من مظاهرات وإضرابات، وكيف تمكنت الشرطة من فضها دون أن تطلق عيارًا واحدًا.. مشيدًا بأنه لأول مرة في التاريخ المصرى تقع الإصابات بين رجال الشرطة لا بين المتظاهرين.

استفز ثروت عكاشة هذا التصريح المخالف للواقع.. فطلب الكلمة.. أذن له الرئيس عبدالناصر بالحديث.. وروى ما حدث منذ أن قصد مستشفى الهلال الأحمر.. بادئًا بذكر إصابة سعد الدين وهبة بطلق نارى.. ثم تلى أسماء طلبة الجامعة والمعاهد العليا المصابين وفق القائمة التى سلمه إياها الطبيب المعالج.. والمصابون يؤكدون للرئيس ولاءهم له ثم اعتراضهم على تصرفات بعض الأجهزة المحيطة به.

أحرج كلام د.ثروت عكاشة، وزير الداخلية ولم يعقب.. ولم يشأ الرئيس هو الآخر أن يثير جدلاً في المجلس.. ولكن الذى لا شك فيه أن تلك المظاهرات عجلت بأن يصدر الرئيس بيان مارس الذي يدور حول التغيير المنشود نحو إنشاء دولة المؤسسات والقضاء على دوائر النفوذ ومراكز القوى التي شوهت سمعة النظام الحكومى.

الأمن يطارد عزالدين نجيب

هل رأيتم قائدًا ثقافيًا بمثل هذه الجسارة الثورية فى تاريخنا الحديث والمعاصر؟ .. هكذا يشير الفنان عزالدين نجيب إلى ثروت عكاشة، قائلا: لقد خصنى بثقته الكبيرة مرتين.. الأولى عندما وافق على تكليفى بتأسيس

ورئاسة قصر الثقافة بكفر الشيخ فى ديسمبر ١٩٦٦، وظل ظهيرا قويا لى فى مواجهة كل العواصف السياسية والأمنية.. حتى اضطررت إلى الاستقالة فى يوليو ١٩٦٨ بعد ملاحم حفرت سطورها فى تاريخ العمل الثقافى، لم يكن يتردد فى أن يقول لى – حين تضعف قدرتى على المقاومة، وحين تتكالب على قوى الثورة المضادة – يجب أن تصمد! .. أنت على رأس قلعة أمامية للدفاع عن مشروعنا، ولو سقطت سيسقط غيرها تباعًا!.

كان يعلم بانتمائي إلى الفكر اليسارى، وأن الصراع كله بينى وبين أجهزة السلطة يتلخص فى ذلك تحديدا.. وكان يمكنه بجرة قلم أن يتخلص منى ليرضى السلطة فتسلم سفينته من الدوامات التى كانت تشدها بعنف إلى القاع، ويخرج بها إلى بر الأمـان.. لكنه رفض بمنتهى الحسم حتى أمام عبدالناصر عندما تصاعد الموقف بينى وبين المحافظ وأجهزة أمن الدولة وسأله عبد الناصر فى ذلك.. فثبت على موقفه، ليس دفاعا عن شخص، فلم أكن إلا شابا فى الثامنة والعشرين وأمامى المستقبل كله.. بل لقناعته بأن التنازل فى موقف واحد سوف يجر إلى سلسلة من التنازلات، فوق أن قناعته بموقفى كانت تتماهى مع موقفه فى الوزارة بالرغم من أنه لم يكن من المنحازين إلى الفكر اليسارى مثلى .

أما المرة الثانية فكانت عند تكليفه لى بإدارة قصر المسافرخانة الأثرى بحى الجمالية كبيت الإبداع للفنانين التشكيليين عام ١٩٦٩ بعد تجربتى المجهضة فى كفر الشيخ.. طالبا منى أن أحقق من خلال هذا القصر الذى كان تحفة معمارية نادرة، بعد ما حققته هناك..

ويقول عزالدين نجيب: وسرعان ما لاحقتنى لعنة أجهزة أمن الدولة حتى انتهى الأمر بقرار رئيس القطاع الذى يتبعه القصر بتنحيتى من منصبى.. وكانت مواجهة عاصفة بقاعة باب اللوق وسط عشرات الفنانين فى افتتاح رسمى لأحد المعارض بين الوزير وذلك المسئول، عندما علم بالأمر من غير طريقى.. وإذ به يثور ثورة عارمة وينذر المسئول على الملأ بأنه إن لم يصدر قرارا بعودتى سوف يضطر إلى إصدار قرارين معا الأول بعودتى، والثانى تنحيته.. وهكذا عدت، وبعد سبع سنوات من ذلك شهدت فى القصر ما هو أنكى وأمر، هذه المرة ليس على يد المسئول الكبير وحده، بل على أيدى

بلطجية مأجورين قاموا بتدمير مرسمى ولوحاتى، وانتهى الأمر بفصلى من العمل!.. ولم يكن ثروت عكاشة حينذاك – عام ١٩٧٦ – ذا نفوذ فى السلطة ليحمينى من الفصل والتنكيل كما حمانى من قبل أكثر من مرة !

المخابرات تلاحق العندليب والسندريلا

جرت محاولات مكثفة في اخر الخمسينات واوائل الستينات، أى في الفترة الأولى لتولى ثروت عكاشة وزارة الثقافة، لتجنيد الفنانين للتجسس لصالح المخابرات.. وكانت سعاد حسنى هى النموذج الأوضح حيث تم تجنيدها بالفعل.. وجرت محاولات مماثلة مع فاتن حمامة ولم تفلح معها، وهربت الى بيروت.



عبدالحليم وسعاد حسنى

كان ثروت عكاشة بعيدًا تمامًا عما يحدث من المخابرات تجاه الفنانات.. لم يعلم عنها شيئا في حينها.. فقد سبق وأعلن بنفسه انه لا يوجد مكان أو شخص آمن من المراقبة والتجسس عليه.. وكان تدخله الوحيد عندما طلب منه عبدالناصر إعادة فاتن حمامة لوطنها مصر.. فهى في قامة أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب.. واستجابت فاتن على الفور وعادت فى فبراير ١٩٧٠.

كان نجاح عبدالحليم حافظ وسعاد حسنى استثنائيا يزداد معجبوهما ومريدوهما يومًا بعد يوم.. حتى بعد رحيلهما.. قفزت الى السطح حكاية

علاقة العندليب والسندريلا التى اكتنفها الغموض منذ لحظة تعارفهما الأول سنة ١٩٥٩ وحتى انفصالهما الدرامي عام ١٩٦٦.

ويقول الكاتب الصحفى أشرف غريب صاحب كتاب (العندليب والسندريلا .. الحقيقة الغائبة): رئيس جهاز الاستخبارات المصرية فى الستينيات صلاح نصر حاول الاستفادة من تلك العلاقة السرية الخاصة التى جمعت حليم وسعاد فى توجيه ضربات موجعة للمطرب الراحل لكراهيته له بسبب قرب عبد الحليم من الرئيس عبد الناصر ونائبه عبد الحكيم عامر.. تتجلى في أغانيه التى تمجد الزعيم جمال عبدالناصر.. ومحاولة تجنيد سعاد حسنى للعمل مع جهاز المخابرات.. كانت حربًا خفية بين عبد الحليم وصلاح نصر.. وطلب عبد الحليم حماية الرئيس عبدالناصر له ولسعاد من ملاحقات صلاح نصر.. وتم تجنيد سعاد حسنى بالفعل للعمل مع المخابرات.. وحسب اعترافات صفوت الشريف وزير الإعلام الأسبق ورجل المخابرات المسئول فى ذلك الوقت عن تجنيدها.. كانت فى شهر أكتوبر ١٩٦٣ تقريبًا، وأن هذه العملية انتهت تمامًا فى صيف ١٩٦٤ بعد أن رفضت سعاد مواصلة التعاون مع الجهاز.

وقامت سعاد حسنى ببطولة فيلم «الكرنك» عام ١٩٧٥ للمخرج علي بدرخان، يدين انحراف جهاز المخابرات فى عهد صلاح نصر.. وعن موتها رددت بعض الصحف ان سبب انتحارها او مقتلها من شرفة شقة في منطقة ميدافيل قرب وسط لندن بلندن هو إعلانها عن كتابة مذكراتها مما يكشف كثير من الأسرار التى تقتل من يفصح عنها.. وكما كانت علاقتها بالعندليب غامضة.. كان موتها غامضًا أيضًا.

عودة فاتن حمامة بأمر الرئيس

بدأت قصة الهروب عندما تعرضت فاتن حمامة للتضييق أثناء حركتها وسفرها إلى الخارج وعودتها إلى مصر، بسبب رغبة المخابرات التى كان يرأسها صلاح نصر، فى تجنيدها للعمل لصالح الجهاز، وهو ما رفضته فاتن رفضًا قاطعًا.. ووفقا لكلام فاتن.. انها كانت قد انتهت من تصوير فيلميها «الحرام» و «حكاية العمر كله» والمشاركة في مسابقة مهرجان كان السينمائي

الدولى.. عندما اتصل بها مرسي سعدالدين رئيس هيئة الاستعلامات، يبلغها بأن أحد رجال المخابرات يريدها لأمر هام، ولم يكن أمامها سوى الترحيب بزيارته.. عرض عليها ضابط المخابرات العمل مع الجهاز وحدثها كثيرا عن «أمن البلد والتضحيات».



عمر الشريف وفاتن حمامة

رفضت فاتن حمامة رفضا قاطعا.. فكان التضييق عليها.. فأشار عليها وساعدها الكاتب الصحفي علي أمين، على الهروب من مصر.. وتعرضت فاتن حمامة لحملة تشويه ممنهج هي وزوجها عمر الشريف عقب هروبها.. وبعد أن زال الخطر الذي كانت تخشى تعرضها له من بطش المخابرات.. وبعد تغير الظروف السياسية في البلاد.. عادت الى مصر في فبراير ١٩٧٠ وكان عبدالناصر كلف ثروت عكاشة بتلك المهمة، باعتبار فاتن حمامة أحد الرموز المهمة لوطن يمر بظروف استثنائية.

مراكز القوى ترفض جائزة السنهورى

واقعة أخرى بالغة الاستهتار أحب ثروت عكاشة أن يرويها.. يتبين منها تدخل دوائر النفوذ الخفية فى صميم شئون وزارة الثقافة.. ففى اليوم الذى رأس فيه المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

لإعلان الفائزين بجوائز الدولة التقديرية عن عام ١٩٧٠ التى فاز بإحداها د.عبدالرزاق السنهورى.. دعى د.عكاشة في الليلة نفسها إلى مقر الاتحاد الاشتراكى.. ليجد وزير الداخلية وبعض رفاقه.. يفاجئونه بهول ما ارتكبه ـ كما زعموا باطلاً ـ مستنكرين فوز د.السنهوري مذكرين بخصومته السابقة للرئيس عبدالناصر!

وبلغ بهم الاعتداد بنفوذهم واستخفافهم بحقوق الآخرين واستهانتهم بقرار أحد المجالس العليا بالدولة أن صارحوه بأنهم أصدروا تعليماتهم بالفعل لحظر نشر هذا الخبر في كافة وسائل الإعلام لإتاحة الفرصة أمامه للعدول عن هذا القرار واختيار غيره.

فزع د.ثروت عكاشة من هذا السلوك واستفزه عبثهم الصارخ.. وأوضح لهم غاضبا ألا رجعة البتة فيما اتُخذ، فهو قرار المجلس الأعلى القائم على التصويت السرى.. وأن هذه الخصومة التي يشيرون إليها قد مضى عليها ما يقرب من عشرين عاما.. وأنه على يقين من أن رئيس الجمهورية لن يعترض على هذا القرار.. ذلك أن إعلان هذا النبأ سيستقطب عواطف الناس فى مصر وبلدان الأمة العربية كلها.. وأنه يحقق نفعًا سياسيًا لمصر وللرئيس عبدالناصر على حد سواء.

غير أن دوائر النفوذ كانت قد أحكمت ضرب الحصار حول عبدالناصر، وفشل عكاشة فى الاتصال به.. وصدق وعدهم ووعيدهم فظهرت الصحف في صباح اليوم التالي جميعًا دون الإشارة إلى فوز د.السنهورى بالجائزة.. رغم أن د.عكاشة كان قد صرح للصحفيين بنتائج تصويت المجلس.

ويشاء القدر أن يصل هذا الخبر إلى الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل الذي فطن على الفور إلى أن مثل هذا التكريم مما يرضاه عبدالناصر ويعززه.. وكان أن انفردت صحيفة الأهرام وحدها فى صباح اليوم الثالث بنشر الخبر متوجًا بعنوان «الرئيس عبدالناصر يمنح جائزة الدولة التقديرية للدكتور السنهورى».

عكاشة: تأميم الاستوديوهات من سيئات الحكم المطلق

وجد ثروت عكاشة التأميمات أبعد ما تكون عن العدالة.. فرضت الحراسة على أفراد من المصريين بعيدًا كل البعد عن مبادئ العدالة والرحمة.. لم يحتكموا إلى أى معايير قانونية.. ثم إن مع القانون قاعدة أخلاقية تحكم التشريع والمشرع.. أنه يمكن تبرير الظلم بأسباب لاتقل فى وجاهتها عن الأسباب التى يبرر بها العدل.

التأميمات التي جرت مع بداية الستينات شملت مشروعات ثقافية مستهلكة.. وشراء الوزارة لعدد من الأستوديوهات ودور العرض ودور النشر والمطابع التى أرهقتها ديون عجزت عن الوفاء بها.. ويعلق عكاشة: كانت تلك سيئة أخرى من سيئات الحكم المطلق الذى يخلق إلى جانب الحاكم المفرد أنصاف حكام يفعلون ما يشاؤون دون أن يجدوا رقيبا أو وازعا أو أى لون من ألوان المساءلة .

التأميم يطارد الفنانين

كان تأميم (قناة السويس) يرمز الى التحرر واستقلال الوطن.. ولاقى تأميم القناة تأييدا كبيرًا من الشعب.. أما التأميم والمصادرة الذى طال أفراد من الشعب المصرى.. كان أبشع جرائم ثورة ١٩٥٢.. وضعت الدولة يدها على العديد من الممتلكات الخاصة، وهو ما أثر بالسلب على العديد من صناع الفن فى مصر فطاردهم الإفلاس.. منهم من مرض ومات بحسرته على ممتلكاته الضائعة.. وآخرون تمكنوا من تحمل ضربة التأميم وفقدان ثمار جهدهم، وواصلوا حياتهم.. حتى مدارس الرقص تم مصادرتها مثل أكاديمية الرقص التى أنشأتها الفنانة نيللي مظلوم المعروفة بدورها الشهير في فيلم (ابن حميدو) مع إسماعيل ياسين.. وصرفوا لها معاش رمزى، ما أدى إلى معاناتها المادية.. تركت مصر الى اليونان وتمكنت من إنشاء مدرسة للرقص هناك.

محمد فوزى ومديحة يسرى

المطرب محمد فوزى.. إنسان عصامى.. عانى في طفولته من الفقر، حيث كان ابناً لأب يعمل قارئاً للقرآن، متزوجاً من ٣ نساء.

كان فوزى واحداً من بين أكثر من ٢٠ أخاً وأختاً. عمل فوزى منذ صغره في الموالد والأفراح لكي يساعد والده مادياً، حتى سافر للقاهرة التى اكتسب فيها شهرته بعد رحلة معاناة مادية أيضًا.. توالت نجاحًات محمد فوزي في مجالي التمثيل والغناء، وكون ثروة، فقرر حينها إنشاء شركة إنتاج إسطوانات «مصر فون» عام ١٩٥٨ مع زوجته وقتها الفنانة مديحة يسرى.. أنفق على الشركة كل أمواله واضطر إلى بيع بعض العقارات التى كان يملكها.. كانت أول شركة مصرية بالشرق الأوسط لإنتاج وصناعة الإسطوانات.

أيد محمد فوزى ثورة ٢٣ يوليو عند قيامها.. وشارك في فعاليات «قطار الرحمة»، لجمع تبرعات من المواطنين في سائر المحافظات لدعم الجيش المصرى عام ١٩٥٢، بل وغنى للثورة «كان وإن».. وهو الذى كتب كلماتها التى تقول: ذهب الماضى كأنه ما كان.. وجاه الحاضر عز مكانه.. و المستقبل بقى ويانا.. صبح الماضى فى خبر كان.. كأنه ما كان.. كان وان.. ان وكان.

بالرغم من ذلك، فوجئ فوزى بتأميم مصنعه.. وأطلق على المصنع المسلوب اسم (صوت القاهرة).. وقالت مديحة يسرى التى خسرت أيضًا كل أموالها جراء التأميم: عمل فوزى لمدة شهر مستشارًا فنيًا للمصنع اللي احنا عملناه عشان نوفر عملة صعبة لمصر، بدل ما كان الفنانين يسافروا للندن واليونان لتسجيل إسطواناتهم.. وراح فوزى آخر مرة لقى ضابط على مكتبه قاله إحنا استغنينا عن خدماتك.. رد فوزى: متشكر، وبعدين راح البيت، رقد ٤ سنين وأصيب بمرض سرطانى نادر وتوفى عام ١٩٦٦..



عبد الناصر خلال تسلمه من فوزي تبرعات جمعها لدعم مشروع إعمار مدينة بورسعيد بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦

قالت مديحة يسرى بأسى شديد: ما حدث ظلم.. المصنع ده يتأمم ليه؟ إحنا فنانين ومعملناش حاجة.. وتم أيضًا تأميم فيلتها بكل محتوياتها، حتى الملابس الشخصية.. كانت تقع في منطقة الهرم على مساحة فدانين، وتم بيعها لصالح الحكومة لوزير مالية سعودى متزوج من مصرية مقابل مبلغ ٢٥ ألف جنيه.

مارى كوينى

فى أول الستينات استولت الحكومة على «استوديو جلال» ضمن استديوهات السينما التى تم تأميمها عام ١٩٦١ .. كان ملكا للممثلة والمونتيرة والمنتجة مارى كوينى وزوجها أحمد جلال.. أسساه في الأربعينات.. كان أول استوديو للأفلام الملونة فى منطقة حدائق القبة، وهو ثانى أكبر الاستوديوهات بالقاهرة بعد «استوديو مصر».. أنجبا المخرج نادر جلال.. بعد وفاة زوجها ١٩٤٧ تفرغت للإنتاج وإدارة الأستوديو ولُقبت بـ»رائدة السينما المصرية».

بعد أن أخذوا منها الاستوديو بالتأميم، اتجهت كوينى للعمل كمنتج منفذ لحساب القطاع العام قبل أن تعود للإنتاج ثانيا.. من أبرز الأفلام التي

أنتجتها: نساء بلا رجال، وإسماعيل ياسين في جنينة الحيوانات، والمليونير الفقير وفجر يوم جديد، وبدور، وأقوى من الأيام.

مضايقات الأمن والاتحاد الاشتراكى لثروت عكاشة

فى ولاية ثروت عكاشة الثانية لقى هجوما من بعض المثقفين.. رغم أنه كان يدفع ثمن أشياء لم يكن مسئولا عنها.. كان ثروت عكاشة دفعة صلاح نصر رئيس المخابرات العامة، الذى اشتهر بسياساته المفزعة.. وكان عكاشة أيضًا صديقا للمشير عبدالحكيم عامر.. فاعتقد هؤلاء البعض انه لن يعمل لصالح الثقافة بقدر مراقبته لهم وهو العسكرى الذى سيدخلهم السجون.

يروى ثروت عكاشة عن تعرضه لحملة من رجال الأمن ومن الاتحاد الاشتراكي وتعرضه للهجوم من زملائه الوزراء، لسماحه بعرض مسرحيات «أنت اللي قتلت الوحش» لعلي سالم، ومسرحية عبد الرحمن الشرقاوى «الفتى مهران»، ومسرحية «ثورة الزنج» لمعين بسيسو.. يقول عكاشة: كم من مرة استهدفت للهجوم من بعض زملائي الوزراء ولا سيما من كانوا منتظمين بالتنظيم الطليعي لسماحى بعرض هذه المسرحيات بدعوى تعريض النظام لموجة من السخط لا يعلم مداها إلا الله على حد تعبير أحدهم.. تمسكت بموقفى وإيمانى بضرورة منح الفن حرية التعبير عن هموم الشعب وأحلامه فى مثل هذه الظروف الحرجة التي كنا نجتازها.. وكم تكرر تعرضي للنقد من وزراء آخرين غير الزميل المسئول عن الأمن، دون أن يزحزحني هذا عن موقفي قيد أنملة، ولم يحدث أن أذعنت لهذه الآراء المضادة أو أوقفت عرض أية مسرحية من المسرحيات إلا في القليل النادر الذي كنت أقتنع فيه برأى الرافضين.

في اليوم الثاني عشر من سبتمبر ١٩٧٠ كان مصاحبا مع عدد من الوزراء لرئيس الجمهورية إلى المطار لتوديع الرئيس مختار ولد داده رئيس جمهورية موريتانيا.. وبعد توديع رئيس موريتانيا اقترب عكاشة من الرئيس عبدالناصر محييا.. وكان إلى جواره أربعة من الوزراء وصلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية والفريق أول محمد أحمد صادق.. وإذا عبدالناصر يضع يده على كتف عكاشة متكئا.. ثم استدار نحو وزير

الداخلية حينذاك قائلاً له على مسمع من الجميع: ألم يحن الوقت بعد لتكف عن تلفيق تقاريرك ثم التفت إلى عكاشة قائلاً: أنه لا يكاد يمر يوم واحد دون أن يلاحقنى بتقرير عنك يحاول فيه النيل من سمعتك! ووجه حديثه نحو وزير الداخلية: اسمع.. ثروت صديق قديم.. وارتفعت نبرة صوته: فلتوفر جهدك وعناء كتابة مثل هذه التقارير.. فأحس وزير الداخلية بالحرج ولم ينبس بكلمة..

والتفت الرئيس إلى عكاشة قائلاً: هل لك أن تريحهم وتوقف مسرحية «ثورة الزنج» التى أصابتنى بالصداع.

أوضح عكاشة للرئيس عبدالناصر أن عرض مسرحية (ثورة الزنج) قارب نهايته وأن إيقاف عرضها أشد ضررا من استمرارها للأيام القليلة الباقية لها، لا سيما أنها لم تعد تلقى إقبالا وارتضى الرئيس وجهة نظره.. كان ذلك اللقاء هو الأخير لعكاشة مع جمال عبدالناصر الذى توفى بعد ذلك بستة عشر يومًا.

(ثورة الزنج) مسرحية شعرية للكاتب «معين بسيسو»، حول فكر الثورة، وحتمية حدوثها واستمرارها.. قدمت لأول مرة بالقاهرة عام ١٩٧٠، وشارك فى التمثيل: سهير المرشدى بالتناوب مع محسنة توفيق فى دور «وطفاء»، وعبدالله غيث بالتناوب مع نبيل الألفى فى دور «عبدالله بن محمد»، ومحمود أبوزيد وحسن شفيق وعبدالعزيز أبوالليل ومحمد توفيق بالاشتراك مع مجموعة من طلاب المعهد العالى للفنون المسرحية.. ويرى بسيسو فى هذه المسرحية الشعرية أن التاريخ منشور على حبل غسيل.. ويقول فى أحد مقاطع المسرحية: كل التاريخ على حبل غسيل.. من يملك أن يدفع حبة قمح أو حفنة ملح.. أو خيطاً فى إبرة.. فليتفرج.. من لايملك أن يدفع شيئاً فليتفرج.. أوراق تصبغ، أوراق تغسل.. والرأس المقطوع.. وأوراق النقد الزائفة على حبل غسيل.

توتر العلاقة بين عكاشة والسادات

كان من الطبيعى أن تتواصل الأحداث والعمل بين عكاشة والرئيس أنور السادات بعد رحيل الزعيم جمال عبدالناصر.. وخلال علاقته بعبد الناصر منذ عام ١٩٤٠ لم تكن علاقة عكاشة بالسادات تتجاوز ما كان يسمعه عنه

من مغامراته السياسية التى أفضت إلى إبعاده عن الجيش.. وعندما عين وزيرًا للثقافة عام ١٩٥٨.. ظلت صلته بالسادات محدودة واقتصرت على المجاملات التقليدية.. وان كانت هناك واقعة تركت أثرا فى نفس السادات تجاه عكاشة.

وصل لعكاشة تقرير من المخابرات العامة فى الرابع من ديسمبر ١٩٥٨ ـ وما يزال هذا التقرير بين أوراق ثروت عكاشة ـ يشير إلى محاولة أنور السادات، وكان رئيسًا للمؤتمر الإسلامي آنذاك، الاستيلاء على قطعة أرض فى هضبة الأهرام وإصراره على بناء استراحة فوقها رغم مخالفة ذلك للقانون، إذ كان الموقع من أرض الآثار المحظور البناء عليها.. وقد أبلغه مدير المخابرات العامة أنه بالاتصال بالسيد السادات طمأنهم بأنه سيبحث حلا للمشكلة مع وزير الثقافة.. وعندما اتصل به حاول عكاشة أن يبين له فى لطف وكياسة عجزه عن التصريح له بالبناء لأن القانون لا يبيح البناء فى هذه المنطقة.. وأن أية مبان تقام عليها تُزال بحكم القانون.. فإذا هو يقول: إذن سأبنيها للمؤتمر الإسلامى.. فكرر عكاشة له اعتذاره عن هذا أيضًا لأن البناء محظور على أى نحو كان.. وقد أغضبه رده.

قصر الفنون ثكنة عسكرية

وهناك واقعة أخرى بين عكاشة والسادات.. فى الفترة بين وفاة عبدالناصر وانتخاب (أنور السادات) رئيسًا للجمهورية.. لم يكن لقاء مواجهة بل عن طريق سكرتيره الخاص وقتذاك محمد أحمد الذى كان قد اتصل به تليفونيا ليخطره بأن السيد أنور السادات قد أصدر أمرًا بإخلاء متحف محمد محمود خليل وحرمه من مقتنياته على الفور.. وإيقاف عمليات البناء فى «قصر الفنون» الذى كان يشيد منذ ٣ سنوات فى حديقة قصر محمد محمود خليل بعد أن اشترتها وزارة الثقافة من الورثة بالتراضى.. قرر السادات استخدام المتحف وقصر الفنون ثكنة عسكرية للحرس الجمهورى ومكاتب لرئاسة الجمهورية.. نظرًا لوقوعهما عبر الطريق الفاصل بينهما وبين منزل أنور السادات بالجيزة..

أغضب ذلك د.ثروت عكاشة.. خاصة أن وزارة الثقافة كانت تعانى نقصًا

في تمويل مشروعاتها.. وكانت وزارة الخزانة شديدة التضييق على الوزارة.. بحكم ظروف الحرب وأعباء تدبير شئون الدفاع لرد العدوان والثأر لهزيمة ١٩٦٧.. ومع ذلك أيد جمال عبدالناصر مشروع متحف محمود خليل بأن يكون منارة للفنون تحتشد فيها كافة الأنشطة الثقافية والفنية التي تفتقر إليها العاصمة افتقارًا شديدًا.. فخصص له فى الميزانية مائة ألف جنيه سنويا حتى يكتمل.. وبالفعل تم شراء الأرض في السنة الأولى، ثم أرسيت الأساسًات فى السنة الثانية، ثم شيد الطابقان الأول والثاني في السنة الثالثة.

وكان أول إجراء للدولة بعد خروج ثروت عكاشة من الوزارة فى نوفمبر ١٩٧٠ هو نقل محتويات متحف محمد محمود خليل وحرمه والاستيلاء على ما تم تشييده من قصر الفنون وتحويلهما إلى ثكنة ومكاتب لرئاسة الجمهورية!!

إلغاء وزارة الثقافة

خلال الفترة التى سبقت انتخاب أنور السادات رئيسًا للجمهورية فى شهرى أكتوبر وتوفمبر ١٩٧٠ صدرت توجيهات للوزراء بأن يقود كل منهم مسيرة من موظفى وزاراتهم وعمالها والتوجه بها إلى قصر القبة لمبايعة الرئيس الجديد.. وجد ثروت عكاشة فى هذا التوجيه ما يجافى كرامة الوزراء ومكانتهم ومسئوليتهم فطلب من نجيب محفوظ أن يتولى ترتيب هذا الأمر مع العاملين بالوزارة.. وتصدر كل الوزراء الباقون المشهد وهم فى مسيرة المبايعة.

كان من الطبيعى بعد كل ذلك أنه مع أول تشكيل وزارى فى ظل رئاسة السادات للجمهورية.. استبعاد ثروت عكاشة من وزارة الثقافة.

استدعت رئاسة الجمهورية ثروت عكاشة لمقابلة الرئيس الجديد.. وبعد أن هنأه بالمنصب بادره السادات بقوله إن الرئيس عبدالناصر أوصاه بالسهر على راحة الضباط الأحرار.. وعرض عليه منصب سفير مصر في باريس.. اعتذر عكاشة عن قبول المنصب لأنه يريد أن يتفرغ لاستكمال موسوعة «تاريخ الفن».. فإذا هو يبدي اندهاشه موضحًا أن إعفاءه على هذا الوجه سوف يظهره بمظهر من يتخلص من الضباط الأحرار.. وعرض عليه العمل مستشارًا له دون أن يحدد مهمته فى هذا العمل.. واقترح عكاشة

أن يعمل مساعدًا له للشئون الثقافية بما له من خبرة فى هذا المجال.. فقال السادات راضيًا «ماشى» على أن تكون مهمتك التخطيط لا التنفيذ إلا فيما يتصل بإنقاذ آثار النوبة فعليك مواصلة جهودك فيه.

وطلب منه إعداد مشروع متكامل لإحياء ذكرى عبدالناصر.. وهو ما تقبله بحماسة.. وعكف عكاشة على الإعداد لهذا المشروع مستعينا فيه بصفوة من المفكرين.. وعندما انتهى منه أرسل المشروع للسادات.. ولم يتلق ردًا أو أى إجابة او استجابة.. ومضت السنين دون أن يكتب لهذا المشروع أن يتحقق.. وكان ما حدث بعد ذلك يناقض اتجاه إحياء ذكرى عبدالناصر.. إذ بدأت حملة التشهير به.. ويقول ثروت عكاشة: لا شك أن السادات كان مذكيها ومضرمها.. وقرر السادات إلغاء وزارة الثقافة ودمج مؤسساتها بوزارة الإعلام.. مما يشكل العودة بمصر ألف خطوة إلى الوراء.

توقيف ثروت عكاشة من على سلم الطائرة

فى مطلع شهر يونية ١٩٧٢ وهو ما زال مساعدًا لرئيس الجمهورية.. تلقى ثروت عكاشة دعوة من الحكومة البريطانية بمناسبة افتتاح معرض «توت عنخ آمون» بالمتحف البريطانى نظرًا لجهده السابق فى إعداد هذا المعرض إبان عمله وزيرًا للثقافة.. وحين هم بصعود سلم الطائرة برفقة زوجته.. فوجئ بأحد ضباط الشرطة يقترب منه طالبًا منه العودة إلى المطار.. عاد ووجد رسالة من اللواء أحمد إسماعيل على مدير المخابرات العامة يطلب استدعاءه لأمر هام وعاجل.. وبمقر المخابرات العامة استفسر عن سبب منعه من السفر.. فلقد كان سفره تلبية لدعوة من الحكومة البريطانية ولم يكن ثمة اعتراض من الحكومة المصرية عليه.. بل لقد صدر به قرار جمهورى.

وإذ بمدير المخابرات يرد فى هدوء بأنه مطلوب في تحقيق خطير لا يحتمل التأجيل أمام النائب العام.. وفى اليوم التالى كان أمام النائب العام محمد ماهر حسن فى مقر مجلس الثورة بالجزيرة.. بدأ بسؤاله عن تاريخ حياته ودوره فى الثورة، وعلاقته بالزعيم جمال عبدالناصر والمشير عبدالحكيم عامر إلى غير ذلك من تفصيلات.. إلى ان وصل الى الموضوع الأساسى الذى استدعى من أجله.. وهى علاقة الصداقة التى تربطه بالسفير محب عبدالغفار الذى

تم اعتقاله.. ووجد ثروت عكاشة نفسه في موقف الدفاع عن صديقه محب عبدالغفار، الذى لا يتطرق الشك إلى وطنيته.. والأمر اللافت أن السفير محب عبدالغفار حوكم أمام مجلس عسكرى بمحاكمة استغرقت جلسة واحدة، صدر عليه الحكم فيها بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة، لتعامله مع السفارة الأمريكية.. وما يدعو إلى التساؤل والسخط والريبة ان الشخص الذى اتهم بالتجسس لصالحه.. القائم بأعمال السفارة الأمريكية بالقاهرة ظل يزاول عمله لمدة عامين كاملين بعد صدور الحكم على محب عبدالغفار!

وشاء الحظ العثر لهذا الرجل البرىء (السفير محب عبدالغفار) أن يخرج بعد قضاء ٤ سنوات من السجن عانى خلالها من ظلم فادح دون أن يقترف ذنبًا أو جريمة.. خرج محطمًا كسير الخاطر.. يعتصره الأسى من التشهير به.. وتوفى إثر إصابته بنزيف في المخ.

عكاشة يقرأ خبر إقالته فى الصحف

خرج ثروت عكاشة من هذه المحنة بعدة انطباعات .. أولًا: زيف شعار الديموقراطية.. ثانيًا: محرم على المصريين، لا سيما من يجيد اللغات الأجنبية، مطالعة الصحف الأجنبية ومناقشتها وتحليلها مع الأجانب، حتى ولو كانت تلك المناقشة للدفاع عن وجهة نظر مصر وسياستها وإلا عد ذلك تخابرًا مع دول أجنبية .. ثالثا: أن أجهزة التنصت والتسمع كانت ما زالت تسلط على بيوت الناس وتليفوناتهم وأسرارهم على الرغم من الدعاية المسرحية الفادحة عن إيقاف أجهزة التجسس وإحراق الشرائط القديمة وهدم السجون وإغلاق المعتقلات وإطلاق الحريات وعودة الديموقراطية.. رابعا: رأت السلطة استبعاد الأنداد الذين شاركوا في ثورة ٢٣ يولية مشاركة حقيقية فعالة بطريقة تسىء إليهم.

بعد أيام قليلة من انتهاء التحقيق مع السفير محب عبدالغفار قرأ عكاشة بالصحف خبر إعفائه من منصبه مساعدًا لرئيس الجمهورية.. رأى عكاشة أن الله كتب له النجاة مما كان يدبر له.. كان شرًا فادحًا.

عكاشة يضع نفسه تحت تصرف الرئيس فى حرب أكتوبر

حققت لنا قواتنا المسلحة بجميع فروعها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.. نصرًا عظيمًا.. ولم يكد د.ثروت عكاشة يسمع بنشوب معركة أكتوبر، حتى توجه إلى مقر القيادة العسكرية.. وترك للرئيس السادات رسالة خطية يضع فيها نفسه تحت تصرفه فى أى موقع من مواقع المجهود الحربى يراه أهلا له.. غير أنه لم يتلق منه ردًا.

عاشوا معه

عاشوا معه

باستثناء عائلته.. هناك ناس ظلوا على تواصل مع د.ثروت عكاشة بعد خروجه من الوزارة عام ١٩٧٠ ولم ينقطعوا عنه حتى رحيله عام ٢٠١٢.. من بين هؤلاء.. الباليرينا ماجدة صالح.. هى إحدى ثمار العصر الذهبى للفنون بعهد ثروت عكاشة.. لمع اسمها وتألقت بفن الباليه. نالت وسام الجمهورية من الرئيس جمال عبدالناصر. لم ينقطع تواصلها مع د.ثروت عكاشة.. وأنا شخصيًا تعرفت على د.عكاشة من خلالها وأجريت معه حوارًا صحفيًا لجريدة الأهرام فى يناير ٢٠١١..

والمهندس مايكل غالى، كان مساعدًا وصديقًا له فى الـ١٥ عامًا الأخيرة من حياته.. كانت البداية تصويبه لخطأ بأحد موسوعاته حول الخلط بين قصرين فى فيينا وباريس.. واكتشاف هذا الخطأ وتصويبه أنقذ عكاشة من موقف محرج وهو المثقف الكبير الذى لا يجب أن يقع ممن يعملون معه فى خطأ مهما كان حجمه.

والناشر مجدى عزالدين بدأ العمل مع د.عكاشة عام ١٩٩٣ مخرجًا فنيًا لموسوعته (فنون عصر النهضة) التى كانت بداية رحلته معه فى غمار الكتب حتى رحيله.

فارس العصر الذهبى
بقلم الباليرينا: د.ماجدة صالح

تتضمن ذكريات الطفولة عندى.. مراقبة د.ثروت عكاشة خطواتنا البدائية وتقدمنا وتطورنا الواعد.. كذلك أتذكر تعبيرات وجهه الصارمة، التى كانت تلين لرؤيتنا، بينما كان ينعتنا ملاطفةً بـ «الجرذان الصغيرة» مادحاً وناصحاً إيانا. ومنذ البداية برزت قلة مختارة من المجموعة الأولى للمتقدمين للمعهد.. باعتبارهم الطلاب الأكثر موهبة.. ترعاها أفضل الخبرات المهنية، والتي شقّت طريقها بسرعة.



د.ماجدة صالح

وفي الفترة الفاصلة بين ولايتيه للوزارة، من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٦.. كنا نعانى من لامبالاة رسمية غير معتادة بشكل كبير.. ومن خلال منطق، كان من الصعب فهمه، تم إلحاق المعاهد الناشئة بقسم هندسة الراديو في وزارة الثقافة والإرشاد القومى الجديدة.. أحسسنا حينها باليتم.. لنستقبل بعد ذلك عودة د.عكاشة إلى منصبه بابتهاج جماعي.

من جديد كان على عاتق الوزير الشروع في مهمته الضخمة من الترميم وإعادة التنظيم.. بعد حالة من الفوضى، وقعت فيها الوزارة أثناءغيابه الذى دام أربع سنوات، لكنه في نفس الوقت اندفع قدماً بحماس وقيادة رائدة،

نحو عدد من المشاريع الجارية التي كان قد بدأها فى فترته السابقة.. وعلى الرغم من التداعيات المدمرة لنكسة يونيو ١٩٦٧، إلا أن النشاط في وزارة الثقافة استمر بلا هوادة.. بل وتضاعفت طاقة الوزير رغم التخفيضات الشديدة في الميزانية.

بعد فترة وجيزة من عودة د.عكاشة إلى منصبه عام ١٩٦٦، ذهبت إلى الوزارة يوماً دون موعد مسبق، وطلبت مقابلته.. تنتابنى رعشة كلما فكّرت فى مكانتى المتواضعة آنذاك، وأنا أطلب مقابلة الوزير شخصياً.. كان تصرفاً متهوراً دون شك، إلا أن ما دفع إليه كان الشعوربالظلم، وكانت الجرأة أمام أعلى سلطة طلباً للدعم في سعينا الذي لا يصبر إلى الصعود لخشبة المسرح.. قابلت الوزير.. أنعقد لسانى، وانهمرت فى دموع محبطة.. ومع وميض خافت في عينيه، قدّم إليّ الوزير منديلاً من جيبه أمسح به دموعي.. وانتظر بصبر حتى أتوقف عن الارتعاش، ثم استمع إليّ فى هدوء.. وأكّد لى بشدة أنه سيأخذ الأمر بعين الاعتبار.

وبعد البداية المظفرة لفرقة باليه القاهرة عام ١٩٦٦، لاقت الفرقة التى يطلق عليها فرقة «باليه أوبـرا القاهرة»، نجاحًا باهراً فاق كل الحدود المتوقعة.. تضمّن ريبرتوار الفرقة حينها عددًا من أشهر الباليهات العالمية: «جيزيل» لرودولف آدم (١٩٦٨)، «كسارة البندق» لبيوترتشايكوفسكي (١٩٦٩)، «دون جوان» لليونيد فيجين و«دافنيس وكلوى» لموريس رافيل، و«فرانشيسكا دى ريمينى» لبيوتر تشايكوفسكي و«تنويعات باخيتا» و«دون كيشوت» لليون مينكوس (١٩٧١).. كما شاركت الفرقة مع أوبرا القاهرة في تقديم أوبرا «أورفيوس ويوريديس» لكريستوف جلوك (١٩٦٨).

في أعقاب العرض الناجح لعرض «نافورة باختشي سراي»، أرسلت الفرقة بأكملها أوائل عام ١٩٦٧ إلى أسوان. كانت المدينة تضج بالحركة في خضم بناء السد العالي. كان ذلك المشروع الجريء يهدف إلى نقل الباليه إلى المحافظات المصرية المختلفة، بعيداً عن بيئته المطمئنة في مدينة القاهرة.. تقول ماجدة صالح: انخرطنا جميعاً في هذا المشروع بخوف كبير. ألن يشعر مواطنونا المحافظون في صعيد مصر بالإهانة والجزع عند مواجهة هذا المشهد الغريب؟ لكن مخاوفنا كانت بلا أساس.. عُرض الباليه فى أحد قصور الثقافة

المؤقتة، وهو سينما إقليمية معدّلة، من شبكة قصور وبيوت الثقافة على مستوى الجمهورية، التى أنشأها الوزير بغرض نشر الثقافة.

من خشبة المسرح، رأينا صفاً تلو صفٍ من الرجال بملابسهم التقليدية البيضاء، وعلى رأسهم العمامة الصعيدية المعتادة، ولا تكاد توجد امرأة واحدة في الأفق.. طوال الفصل الأول، ساد صمت مخيف، كنا ننحني للتحية بعد كل رقصة بقلق شديد.. ثم كان مشهد الذروة في المعركة التي يدخل فيها القائد الخان جيري بخطىً مهيبةٍ عبر المسرح للوقوف أمام محاربيه المنتصرين.. قفز بعض المتفرجين المدعوين فجأة، في صراخ حماسي عفوي «الله أكبر، الله أكبر»، وانطلقت القاعة في تصفيق حار صادق غير متوقع.. لم يتمكن من كبح جماح عواطفه، لم ينتظر حتى إسدال الستار، ومنحنا تلك اللحظات البديعة التى لا يمكن نسيانها.. أصبح الراقصون المبتدئون من معهد الباليه أبطالاً قوميين، يحتفى بهم في شوارع المدينة. وعندما انتهى فترة العروض، وعلى محطة القطار لمغادرة أسوان إلى القاهرة، بدا وكأن المدينة كلها قد خرجت عن بكرة أبيها لتودعنا تقديرا وحبا.

لم تتكرر تجربة أسوان الجريئة فيما بعد، إلا أنها أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الفن «الأجنبي»، كما يصفه منتقدوه، أثار استجابة عفوية من جمهور عفوي، تؤكد أن الوزير كان محقاً فى رؤيته، وأثبت وجهة نظره للجميع.

«صبى» العلامة الموسوعى

بقلم: مايكل غالى



ما زلت أتذكر حتى يومنا هذا تلك المكالمة التي أتتنى من الدكتورة سمحة الخولي رئيسة أكاديمية الفنون تطلب مني فيديو يبحث عنه دكتور ثروت عكاشة. ولقد اقتنصت تلك الفرصة النادرة للقاء ذلك العملاق الذي طالما سمعت عنه وقرأت الكثير من كتبه فعزمت أن أسلمه الشريط بنفسي لأحظى بشرف لقائه.

وكان استقبال الرجل في بيته بالمعادى فى منتهى الرقة والتواضع حيث تساءل عن شغف مهندس شاب في بداية الثلاثينات بأوبرا «تريستانو إيزولده» لفاجنر، و«نشيد الموت حبا» الذي كان يرغب في ضم نسخته المرئية إلى حديث تلفزيوني مخصص لمسيرته.

ولقد انتهزت تلك المناسبة لأطلب منه التوقيع على كتبه التى أقتنيها وإذ بى أنوه له عن صورة في أحدث تلك المجلدات لقصر «شونبرون» فى فيينا كتب عليها خطأً أنها لقصر فرساى فى ضواحي باريس. وكانت الطامة الكبرى، إذ ثار ذلك الإنسان الوقور وذهب للقيام بمكالمة تليفونية عاصفة. وهنا جاءت مسرعة السيدة الفاضلة زوجته لتطلب منى الرحيل حيث أن أكثر ما يثيره هو عدم الدقة، فما بالك إذا ظهرت أى هفوة فى كتبه نتيجة للسهو من المسئولين عن تجميع النص والصور!

رحلت وأنا حزين لأننى كنت على يقين أنه لا يمكن أن يستقبلنى مرة أخرى. ومن حسن الطالع أن ظني قد خاب واتصل بي الدكتور ثروت فى اليوم التالى طالبا منى مساعدته فى التأكد من ضمان التطابق بين الصور

وشرحها.. وكذلك دقة الحواشى فى كتبه القادمة. وكم كانت فرحتى العارمة بأن أكون حرفيًا «صبى» لذلك العلامة الموسوعي لأكثر من خمسة عشر عامًا.. صقلت شغفى بالفنون التشكيلية وولعى بالموسيقى الكلاسيكية حيث كنت أبحث له في الإنترنت عن أحدث الكتب والاسطوانات، وكان يبعثها له من الولايات المتحدة نجله د.محمود الطبيب النفسى المرموق.

إن أكثر ما يدهش فى مسيرة ثروت عكاشة منذ نعومة أظافره حتى وفاته، أنه ما من مهمة أنيط بها إلا أنجزها بإتقان منقطع النظير ورؤية مستقبلية ثاقبة. فكان ذلك الضابط الذى شارك بدور محورى في وضع خطة ثورة ٢٣ يوليو، والملحق العسكرى الذى أتى بالسلاح المطلوب للوطن، بل وبخطة العدوان الثلاثى. وكان السفير الذى بنى علاقات صداقة شخصية قوية بكبار السياسيين والمثقفين الأجانب واستغلها لخدمة مصر.. وكان الحاصل على الدكتوراه فى الآداب من السوربون أعظم جامعات فرنسا.. كما أنه وزير الثقافة الأهم فى القرن العشرين الذى بنى معظم مؤسسات البلد الثقافية التى خرجت أجيالا من الفنانين والمثقفين، وما زالت تمثل البنية التحتية للبلاد حتى يومنا هذا. وحتى حينما تولى رئاسة البنك الأهلي المصرى قرر أن يقتنى للمصرف العريق كنوزاً فنية ولوحات تقدر حالياً بالبلايين! ولا يمكن نسيان مجهوداته خلال توليه منصب نائب رئيس لجنة اليونسكو الدولية لإنقاذ مدينة فينيسيا الإيطالية، طوال أكثر من عشر سنوات.. أما كمؤلف ومترجم، فلا يوجد عمل متكامل في المكتبة العربية ألفه كاتب واحد يضاهى موسوعته «العين تسمع والأذن ترى».

لكن تبقى أشهر إنجازاته على الإطلاق حشد العالم أجمع وعلى رأسه منظمة اليونسكو لإنقاذ كل آثار النوبة وتجييش الخبراء الأجانب والمصريين ومنهم د.أحمد عثمان النحات صاحب فكرة تقطيع المعابد لنقلها بأمان بعيدا عن مستوى المياه المرتفع. ولقد كنت كثيرا ما أداعبه مشبها هذا العمل الجبار بسيمفونيات بيتهوفن التى طغت شهرتها مع الكونشيرتات على أعماله العظيمة الأخرى من سوناتات ورباعيات وترية وأعمال كورالية تكفى أى مجموعة منها لتضمن له الخلود فى عالم النغم.

وفي الواقع لا أحد يضاهي دكتور ثروت الذي يعتبر تلميذا نجيبا لفكر

دكتور طه حسين وبالتالي سار بمقولة عميد الأدب العربي الشهيرة»التعليم كالماء والهواء» حتى نهايتها فرأى أن العلم لا يتوقف عن ما نتلقاه من مبادئ في المدارس لنخرج من صفوف الأميين إلى المتعلمين وإنما جعل الفنون الراقية والآداب حقاً للجميع، ونزل بها من عليائها، واجتذب إليها الجمهور، وأشرف على عروض كثيرة، وأسهم في إعادةطبع أمهات الكتب التراثية، وتوفرها بأسعار زهيدة ، كما أتاح للقراء الكثير من المسرحيات العالمية في سلسلة دورية.

وكان هدفه في ذلك بناء المواطن والإنسان السوي المتذوق للجمال كما قال عنه إيليا أبو ماضي: «أيهذا الشاكي وما بك داء.. كن جميلًا ترى الوجود جميلا!»

وكرجل نهضة من الطراز الأول، كان يدرك أن الثقافة عمل استراتيجي بينما الإعلام عمل تكتيكي.. فاعتذر للرئيس عبدالناصر عن الجمع بينهما، وآثر التركيز على العمل الثقافي، فكان ضحية عدم توثيق معظم إنجازاته مثل ألفية القاهرة عام ١٩٦٩ من جانب الإعلام وخاصة التلفزيون مما يشكل إجحافا حقيقيا في حقه خلال توليه الوزارة ثماني سنوات!

فهو من أنشأ أكاديمية الفنون ومشروع الصوت والضوء ودار الكتب والوثائق والبنية التحتية للثقافة الجماهيرية من هيئة الكتاب، المجلس الأعلى للثقافة، قصور الثقافة، مسرح الجيب، مسرح العرائس، السيرك القومى ومعرض الكتاب إلخ.. بالإضافة إلى إنشاء متاحف مختار وناجي ومحمود خليل وتطوير المتاحف القائمة واعتماد نظام تفرغ المبدعين والإعداد لإنشاء دار الأوبرا الجديدة. هذا ناهيك عن فرق الفنون الشعبية والموسيقى العربية والأوبرا والكورال والبالية والأوركسترا السيمفونى.

ولعل تجربتي الشخصية كقارئ نهم لموسوعة «العين تسمع والأذن ترى» تؤكد للجميع أن دكتور عكاشة لم يكن مجرد وصاف، بل محلل وناقد يرشد إلى أعماق الإبداع الحقيقية فيصحب القارئ إلى مبانيها ومتاحفها الأثرية، ويسمعه صوت أنغامها، وحكم عباقرتها وشعرائها، ويدله إلى مواطن الجمال فى الفن المصرى سواء الفرعوني أو السكندرى أو القبطي مرورا

بالفن العراقى فى سومر وبابل وآشور وحضارة اليونانوأساطيرها وكذلك الفنون الفارسية والرومانية والبيزنطية وإبداعات العصور الوسطى والنهضة والباروك والروكوكو.. ولم يكتف بتلك الفنون والثقافات التي ألفناها في الشرق الأوسط وأوربا، بل صال وجال بنا في سحر الفن الهندى والصيني والياباني وبالتالى فتح للقارئ العربى أفاقًا لم يألفها تفسر له صعود تلك النمور الأسيوية استنادا على قيم عريقة تختلف بل وتتناقض فى بعض الأحيان عن كل أسس الحضارة الغربية!

وللفن الإسلامي مكانة متميزة في الموسوعة فهناك القيم الجمالية في العمارة الإسلامية وموسوعة التصوير الإسلامي وتحقيق كل من فن الوسطى من خلال مقامات الحريري ومعراج نامة. وهنا لابد أن نتوقف عند ريادة هذا الرجل وشجاعته في إبراز هذا الجانب الشائك في الفن الإسلامى ألا وهو التصوير وخاصة في قصة المعراج فكان ذلك سبقا فريدا في ظل مناخ تسود فيه الكثير من المحاذير الفقهية حول تجسيد الشخصيات الدينية. وقد أكون قد تجرأت حينما سألته عن القرن التاسع العشر، وهو ربما العصر البارز الوحيد الذى يغيب عن موسوعته الفنية، وقد أجابني بأسى إنها الحقبة الفنية المفضلة لديه ولكنه إنسان وليس من آلهة الإغريق وبالتالى لن يمهله العمر ليكمل ذلك الجزءالأثير لديه.

ولم تقتصر أعماله على تاريخ الفن ومذكراته الشهيرة في الثقافة والسياسة بل تضمنت ترجمة العديد من الكتب منذ كان طالبا ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «مولع بفاجنر» لبرنارد شو والذي تبعه بكتاب عن موسيقاره المفضل أسماه «مولع حذر بفاجنر» وهى كتب لا غنى عنها لمن يود أن يستمتع بأوبراته الملحمية. ولا ننسى كتابة عن مصر ملهمة العالم «مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء» وتحقيق كتاب المعارف لابن قتيبة. كما أرخ لتاريخ الموسيقى الجادة في «الزمن ونسيج النغم» أما أقرب مؤلف لقلبه فربما كان جبران خليلجبران أبرز كتاب وشعراء ورسامي المهجرإذ ترجم معظم أعماله في شاعرية ربما تفوقت على النص الإنجليزي الأصلي خاصة في كتابالنبي أحد أكثر الكتب مبيعا في كل العصور.

أما الكاتب الآخر الأثير لديه فكان الشاعر الروماني أوفيد فترجم له «فن

الهوى» وهو عمل يصلح لكل زمان ومكان إذ ببساطة يتكلم عن الحب والعزل والفوز بقلب المحبوب أو المحبوبة وكان هديته لى بمناسبة زفافى الذى شرفت بحضوره إياه.

كما نقل للعربية كتابه الآخر المسمى «مسخ الكائنات» وهو يؤرخ لتاريخ العالم حسب الأساطير اليونانية والرومانية حتى يوليوس قيصر ويعتبر أحد أكثر الأعمال تأثيرا فى الثقافة الغربية، وألهم الكثيرين مثل دانتى، وبوكاتشيو، وتشوسر، وشكسبير والرسام تيتيان.

مسك الختام في أعماله كان إضافة فريدة للمكتبة العربية وهو عن سيرة وأعمال أحد أهم فناني القرن العشرين: الرسام والمصمم الروسى مارك شاجال، وهو كالعديد من الأسماء اللامعة في ذلك العصر كان صديقا شخصيا له، مثل الكاتب ووزير الثقافة الفرنسى أندريه مالرو والموسيقار الفرنسى أوليفيه ميسيان ومصمم رقصات الباليه الروسى سيرجى ليفار إلخ..

وأخيرًا وليس آخرًا، لعل عبقرية ثروت عكاشة التى لا مثيل لها يمكن تسميتها التصوف الثقافى أسوة بالتصوف الدينى بمفهومه الذى يرقى إلى العشق الإلهي: لقد أحب الإبداعات الفنية وأجلها حتى الذوبان فيها بحس مرهف نقله فى صورة منظومة ثقافية متكاملة وموسوعة فنية شاملة لأجيال متعاقبة في مصر والعالم العربى فمهد التربة لكثير من المبدعين، ويسعدنى أن من بينهم زوجتي خريجة الكونسرفتوار، فصارأستاذنا الكبير رمزا خالدا للثقافة المصرية.

تحية إجلال وتقدير لفارس السيف والقلم فى مئويته الأولى.

رسالة إلى الرفيق،



أتقدم لك بخالص تحياتي وتقديري، وأدعو الله تعالى أن تكون في أعلى الدرجات وأن تكون راضياً مرضياً بما أنجزته من أعمال.

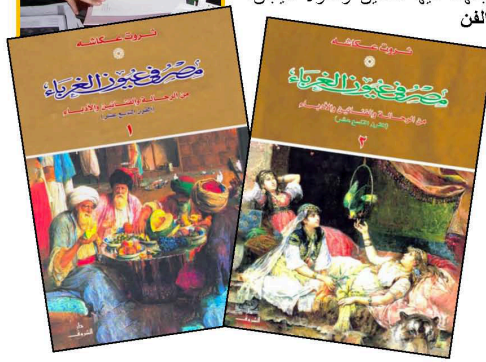
شهدت بنفسي مدى التقدير لإنجازاتكم الجليلة، وأتذكر دائما ترديدك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: **صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**".

تشرفت جدا بحضور مئوية تكريمك وما صحبها من فعاليات ثقافية على مدار عام 2021 تعبيرا عما تحظى به من تقدير في نفوس القراء العرب بشكل عام والمصريين على وجه الخصوص.

أتذكر يوم قابلتك لأول مرة بصحبة صديقك الأستاذ الفاضل/ **شفيق شماس** الذي عرفني بك في عام 1993 أثناء عملي معه بمجلة مصر في تجربة ثرية افسحت لي الطريق لتعلم فنون الطباعة والنشر. أعددت نفسي للمقابلة فقرأت الكثير عن أعمالك وانجازاتك لأعلم من هو الدكتور ثروت عكاشه.

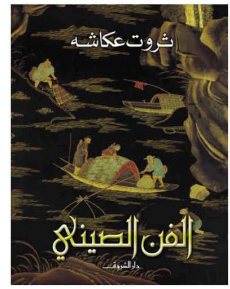


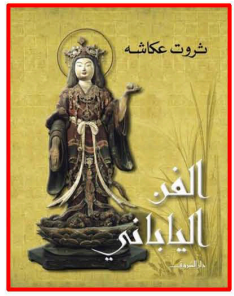
كانت بداية معرفتي بك باختيارك لي لكي أقوم بالإخراج الفني لموسوعة "فنون عصر النهضة" في أجزائه الثلاث الرينيسانس – الباروك - الركوكو في مشروع إعادة طباعتهم بصورة فاخرة ليستمتع القارئ العربي بروعة الأعمال الفنية التي تميز بها هذا العصر، وقد تم انجاز هذا المشروع بتوفيق من الله في أفضل صورة ممكنة، ومن هنا بدأت رحلتي معك في غمار الكتب، ورغم الكثير من الصعوبات فقد وفقنا الله تعالى لاجتيازها بنجاح، وجاء كتاب "مصر في عيون الغرباء" يليه مجموعة جبران خليل جبران. وكان النجاح الكبير حافزاً للاستمرار والانطلاق إلى كتب فنون الشرق الأقصى بدءا بالهند تليها الصين وصولا لليابان، **ومازالت جهود نشر كتاب الفن الياباني، والفن العراقي، والفن المصري القديم وخروجهم الى النور بالصورة التي تتمناها جارية.**



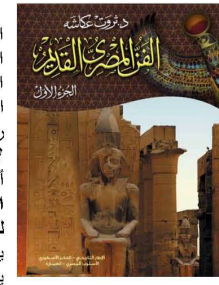












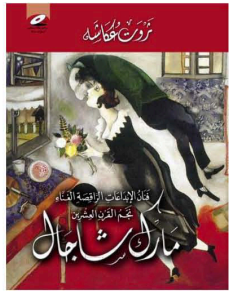
يسعدني كثيرا أنني كنت وصلة التعارف بينك وبين د./ زاهي حواس الذي شرفت بالعمل معه في العديد من الأعمال العظيمة، وكان باكورة هذه العلاقة كتابك "إنسان العصر يُتوج رمسيس – مسيرة الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة"، وأود أن اطمئنك أن د./ **زاهي حواس قد أسكت الألسنة التي أرادت أن تنسب لنفسها دوراً ليس لها**، وكانوا يظنون أنه يمكنهم أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فظهر دورك جليا واضحا للعالم.

مذكراتك في السياسة والثقافة مليئة بالدروس المستفادة التي تهدف إلى بناء الإنسان وتوضح للقارئ العربي الدور الذي تلعبه الثقافة في الدفاع عن مصر وعن الأمن القومي العربي بشكل عام، وأتمنى ألا تنسى الأجيال الجديدة الدور الذي قمت به في منظمة اليونسكو واسهاماتك في انقاذ آثار فيتيسيا، وكم أتمنى أن تنتشر الثقافة بالمدارس أو أن تنشر بشكل درامي على هيئة مادة فلمية ثرية لتتعلم وتنهل منها الأجيال القادمة.





أتذكر حماستك لنشر كتاب مارك شاجال فنان الإبداعات الراقصة، وأوصيتني بالقيام بالإخراج الفني للكتاب، ووعدتك بالقيام بذلك ووفيت بوعدي، وأرى أهمية وواجب تقديم الشكر للدكتور/ **أحمد مجاهد** الذي لم يبخل بإمكانيات هيئة الكتاب – تقديراً لك – حتى ظهر الكتاب في أبهى صورة. وقد أحزنني ما جابهته بسبب نشر هذا الكتاب من اتهامات ظالمة ليس لها أساس من الصحة، خاصة وأنني أتذكر **دعمك للقضية الفلسطينية**، ورغم حرصك على أن تستعين على القيام بذلك بالكتمان، إلا أنني أرى الآن أنه بات من واجبي أن أذكر للعالم جزء قليل من أعمالك النبيلة، وأتذكر عندما أبديت لي رغبتك في التواصل مع السيدة د./ **حنان عشراوي**، وما قمت به من مساعي حميدة حتى تمكنت من إتمام تواصلك معها، وقد فرحت الدكتورة عشراوي كثيرا بحديثك معها، وأوضحت لك ما بوسعك عمله لدعم القضية الفلسطينية، وهنا يظهر الدور الذي قام به الدكتور/ **محمد غنيم** لتسهيل هذه المهمة حتى تكللت هذه المساعي النبيلة بالنجاح.




مراجعة الاعمال بمكتبه المنزلي ٢٠٠٦



اشتقت كثيرا الى صحبتك الكريمة التي دائما ما أذكرها وافتقدها واتذكر كيف أضاءت حياتي فأتحدث عنك كثيراً مع أهلي وأصدقائي واتذكر وصيتك المستمرة لي بأن أرعى عائلتي واستثمر في اصدقائي وأن أكون دائم التعلم لكل ما هو جديد وأعدك أن أبذل قصارى جهدي من أجل القيام بذلك.

خالص حبي وتقديري واحترامي لك يا استاذي العزيز،

مجدي عزالدين
١ مايو ٢٠٢١


إحتفالية الصوت والضوء تكريمًا
للدكتور ثروت عكاشه عام ٢٠٠٩م


حفل توقيع كتاب الفن الصيني
عام ٢٠٠٧م

مؤلفات وترجمات ودراسات

مؤلفات وترجمات ودراسات

ثروت عكاشة واحد من أهم من كتب عن الفنون الأوروبية باللغة العربية.. بنظرة عامة مؤلفاته وترجماته.. تحيرك أى منها تختار لصاحب مقولة «الفن أوجب من الخبز».. ففى كتابه «الفن والحياة»، يبدو عكاشة كأنه يتحدث عن عالم اليوم، حينما يقول: «اليوم هناك من لا يأبه لما هو جميل، فلم يعد بعض الناس في هذا العصر- عصر المصانع والآلات والتكنولوجيا يجد متعة في اللوحات الجميلة والتماثيل البديعة ولا في تلك المباني الضخمة من معابد وهياكل وقصور».. كان لديه إلى جانب الاهتمام العسكرى اهتمامًا ثقافيا.. فقد بدأ الترجمة والتأليف قبل ثورة ١٩٥٢.. مثل كتابه «اعصار من الشرق جانكيز خان»، بدأ بإصدار كتب فى العلوم العسكرية، ترجمة أو تأليفا.



نورا تعتنى بمكتب ابيها الذى شهد اهم كتابات ومطالعات د.ثروت عكاشة

موسوعة (تاريخ الفن.. العين تسمع والأذن ترى)

تعد من أهم الأعمال الأدبية والفنية النقدية الموسوعية والتسجيلية التى ظهرت باللغة العربية، وتؤرخ للفن.. استغرق ثروت عكاشة فى كتابتها ٣٥ عامًا.. بدأها عام ١٩٦٣، صدرت فى ٢٠ جزءًا.. تشمل: « العمارة والنحت والتصوير» فى الفن المصرى.. و»الفن السكندرى والقبطى» فى الفن المصرى القديم.. والفن العراقى القديم.. والتصوير الإسلامى الدينى والعربى..

والتصوير الإسلامى الفارسى والتركى.. والفن الإغريقى.. والفن الفارسى القديم.. وفنون عصر النهضة [الرنيسانس والباروك والروكوكو].. والفن الرومانى.. والفن البيزنظى.. وفنون العصور الوسطى.. والتصوير المغولى الإسلامي في الهند.. والزمن ونسيج النغم [من نشيد أبوللو إلى تورانجاليلا].. والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية.. والإغريق بين الأسطورة والإبداع.. ومايكل أنجلو.. وفن الوسطى من خلال مقامات الحريرى.. ومعراج نامه.. وموسوعة التصوير الإسلامى.



بعض مؤلفاته وترجماته

جاء تأريخه للفن بهذه الموسوعة، بعرض الأساليب الفنية في تسلسل واتساق.. جاعلاً من وحدة الزمان والمكان والفكر أساسًا من هذا التاريخ ومن هذا العرض للوحدات ما يشبه القصيدة تجمع كل ما له صلة وثيقة ضرورية بالآثار والإبداعات الفنية.. وتناول القواعد الفنية وأسباب النهوض والإنحطاط.. كذلك حرص على ألا يعرض من الأعمال الفنية إلا ما كان أكثرها شهرة، وتلك التى شاهدها وانفعل بها.. تضم الموسوعة آثارا فنية سمعية ومرئية لها صورها الساحرة وتشكيلاتها الجذابة.. لم يجد لها أصدق من ذلك العنوان «العين تسمع والأذن ترى».. والتى تعنى اختلاط فعل الحواس.. فالصور تتأثر بها حاسة البصر.. صارت الألوان

مصدر تنغيم .. وإذا المسموع مرئى والمرئى مسموع.. فيقول الفنان المصور ديلاكروا: أن بعض التوافقات اللونية الساحرة يمكن أن تتمخض عن أحاسيس لا تستطيع أنغام الموسيقى بلوغها.. فثمة انطباع يترتب على تنسيق معين للألوان يمكن أن ندعوه «موسيقى الصورة».

كذلك كان الحسين بن منصور الحلاج.. قد تسامى به تصوفه إلى أن لانت له حواسه حتى كادت كل حاسة تقوم مقام الأخرى بعد أن انتهى إلى أسمى مراتب الروحانية.. وإذا تلك العبارة يخاطب بها ربه: «إنى لأكاد أراك بسمعى وأسمعك ببصرى.. وتكاد حواسى كلها تغنى كل واحدة عن أختها»..

وبتلك العيون وهذه الآذان حاول عكاشة اقتحام الماضى المليء بكل ما هو باهر عجيب.. ولمسايرة الإنسان منذ خطا على شواطئ النيل وضفاف دجلة والفرات.. أى منذ أكثر من خمسة آلاف عام قبل ميلاد المسيح، حتى مطلع القرن التاسع عشر.. لم يكن كتابه هذا غير «محاولة» لرسم ملامح عاجلة لموضوع له شانه من الإبداع الإنسانى.

وقف نشر «تاريخ الفن» بأمر السادات

واجه ثروت عكاشة بعض العراقيل التى حاولت أن توقف نشاطه فى نشر كتبه وموسوعاته.. فعلى خلفية العلاقات متوترة مع السادات فى بدايات تولى السادات رئاسة الجمهورية.. وعقب إقالته من منصب مستشار رئيس الجمهورية للشئون الثقافية.. قرر التفرغ لكتاباته.. لكن فوجئ فى منتصف عام ١٩٧٢ بالكاتب محمد حسنين هيكل يطلب أن يلقاه في مكتبه بجريدة الأهرام.. أبلغه فى حرج أن تعليمات قد صدرت إليه بوصفه مشرفا على دار المعارف بالتوقف عن نشر بقية أجزاء موسوعة تاريخ الفن «العين تسمع والأذن ترى».. والتى تتضمن تاريخ الفن عبر العصور(تصوير ـ عمارة ـ نحت ـ موسيقى ـ دراما ـ الفكر الأسطورى).. وكان تعاقد مع دار المعارف على نشرها حين كان رئيسا لمجلس إدارة البنك الأهلى المصرى عام ١٩٦٥.. وقد أصدرت دار المعارف منها الجزء الأول عام ١٩٧١ والثانى لم يكن مضى على ظهوره إلا أسابيع قليلة ـ المعروف ان هذه الموسوعة تضم ٢٠ جزءًا ـ ألمح

له هيكل أن صاحب القرار هو رئيس الجمهورية.

المنع يلاحق عكاشة فى بيروت

طار عكاشة إلى بيروت يبحث عن ناشر.. أخذ جزأين آخرين من الموسوعة كانا قد أعدا للنشر.. وقبل أن يأت المساء كان فى زيارته بالفندق د.عبدالوهاب الكيالى مدير المؤسسة العربية للدراسات والنشر.. وتم التعاقد على ان تقوم مؤسسته بنشر بقية أجزاء الموسوعة كلها.. لم يمض شهر وإذا بمن يخطره أن وفدًا توجه إلى د.الكيالى، مدعيا أنه موفد من قبل سلطات مصرية لم يكشفوا عنها.. ناصحا إياه بأن يتراجع عن تنفيذ العقد بالنشر وإلا تعرض لمصادرة مطبوعاته في مصر.. وكذلك منع المثقفين المصريين من تقديم مؤلفاتهم إليه تحت ضغط من السلطات المصرية !

أرسل عكاشة خطابًا إلى محمد حافظ إسماعيل مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن القومى ورئيس ديوان رياسة الجمهورية فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٢.. سرد كل تفاصيل ما حدث مبديًا دهشته من أن تمارس الدولة بوساطة مجهولين ضغطا لحرمان مواطن من مزاولة حقه فى نشر كتاب فنى خارج حدودها بعد أن سلبته هذا الحق داخلها، ورجاه أن يوضح له الأمر.. وتلقى الرد بعد يومين بالضبط قائلاً : إيماء إلى كتابكم بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧٢ بالإحاطة أن التعاقد الذي تم بينكم وبين الناشرين في لبنان حول مؤلفكم عن تاريخ الفن عبر العصور.. يعتبر من وجهة نظرنا عملاً تجاريًا خالصًا.. لكم حق ممارسته بحرية تامة. وإذ نتمنى لكم التوفيق في مجال نشاطكم ذلك.

كان مما عجب له د.ثروت أن يوصف هذا العمل الفنى بأنه عمل تجارى مع أنه بعيد كل البعد عن ذلك.. وقد اتصل على الفور بالدكتور الكيالى وأعطاه الرسالة لتكون سلاحًا فى يده إذا حاول أحد المدعين أن يعود إلى محاولة ابتزازه.. فأصدرت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ثلاثة أجزاء منها.. كما أصدرت الهيئة المصرية العامة ستة أجزاء أخرى.. وتعاقدت معه على نشر أجزاء أخرى.. وأصدرت دار سعاد الصباح للنشر الجزأين الحادى عشر والثانى عشر.

التصوير الإسلامى الدينى والعربى

جاء هذا الكتاب ضمن موسوعة «العين تسمع والأذن ترى».. فى نهاية عام ١٩٧٢ اختار معهد «الكوليج دى فرانس» بباريس لإلقاء سلسلة من المحاضرات عن تاريخ الفنون الإسلامية والفرعونية.. ولاحظ اهتمام الدارسين الأوروبيين بموضوع التصوير الدينى فى الإسلام الذى كان قد تناوله عكاشة فى ٣ محاضرات.. وقد حفزه هذا الاهتمام للاعتكاف لدراسة وتحقيق لوحات مخطوطة «معراج نامه» (١٤٣٦م)، أروع ما سجلته ريشة الفنان المسلم على مر العصور عن أحداث قصة المعراج ونعيم الجنة وعذاب النار.. وذلك ليضيف إلى «موسوعة تاريخ الفن» جزءا آخر عن «معراج نامه».. الجزء التاسع عشر.

الأمن والأزهر يعترضان على نشر صورة «النبى»

حين اكتمل الكتاب المخصص «للتصوير الإسلامى الدينى والعربى» الجزء الخامس من موسوعة «تاريخ الفن.. العين تسمع والأذن ترى»، نشرته دار المستقبل العربى فى أغسطس ١٩٨٧.. وما أن وصل إلى مصر حتى صادرته السلطات والأزهر الشريف.. حيث كان يتضمن صورة للنبى محمد.. قال عكاشة: انا أتناول الفن الاسلامى، بما فيه الفن الفارسى الذى يظهر صور الرسول والسبع سنوات والإسراء والمعراج وهو يمتطى الحصان الأبيض.. طلبوا منه ان يلغى الجزء الموجود فيه صورة النبى.

التقى ثروت عكاشة مع فضيلة الإمام عبدالحليم محمود شيخ الأزهر (١٩٧٨) وأوضح له أنها صور تاريخية ضمن مخطوطات فارسية وتركية بمتاحف العالم.. بل إن عددًا كبيرًا من الصور المنشورة في الكتاب مأخوذ من أصول موجودة في دار الكتب المصرية ومتحف الفن الإسلامى اللذين يتبعان وزارة الثقافة ذاتها.. وأن مكتبات القاهرة تعرض للبيع كتبا أخرى عربية فيها صور منمنمات فارسية وتركية ترمز إلى الرسول عليه الصلاة والسلام مثل: «أطلس الفنون الإسلامية» الذى طبعته جامعة بغداد بمطابع جامعة القاهرة من تأليف د.زكى حسن.. غير أن فضيلته رد على ذلك بأن الخطأ لا يجيز الخطأ. وهنا اقترح عكاشة نزع الصور الرامزة إلى الرسول من

الكتب من أجل إنقاذ مجهود الباحث ومال الناشر من أن يضيع سدى.. فوافق على عرض وجهة نظره على المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية.. لكن المجلس أصدر بيانًا برفض التصريح بنشر الكتاب وتداوله وتحريم كل كتاب يتناول بالرسم أو بالتصوير شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام أو شخصيات الصحابة.

وكانت المفاجأة والدهشة أن تضاعف سعر النسخة لصالح الناشر عشرة أضعاف، وزاد الإقبال على الكتاب فى البلاد العربية، ولما تمض خمسة أعوام حتى نفد عن آخره .

مقامات الحريرى

عاد عكاشة مرة أخرى إلى باريس خلال عام ١٩٧٤ لدراسة وتحقيق اللوحات التسعين المصورة الموجودة بنسخة «الواسطى» لمخطوطة «مقامات الحريرى» المحفوظة بدار الكتب القومية بباريس.. وقد نشرت دار المعارف بالقاهرة طبعة غير مكتملة لهذا الأثر الإسلامي المصور عام ١٩٧٤ بعنوان «فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى»، إلى أن ظهر فى طبعة فاخرة مكتملة عن دار الشروق المصرية عام ١٩٧٤ حظيت بجائزة الإخراج الأولى في معرض الكتاب الدولى بالقاهرة في يناير ١٩٩٣.. وكذا فى معرض بيروت الدولى فى ديسمبر ١٩٩٣ .. ثم إذا هى تنال جائزة الشعبة القومية الألمانية لمنظمة اليونسكو فى معرض فرانكفورت الدولي ١٩٩٤ بوصفها أحسن كتاب من بين ٥٥٠ كتابًا تقدمت بها خمس وعشرون دولة فى المسابقة الدولية.

الزمن ونسيج النغم

جاء ضمن موسوعة «العين تسمع والأذن ترى» كتاب «الزمن ونسيج النغم.. من نشيد أبوللو إلى تورانجاليلا» عام ١٩٧٧.. يعرف فيه بالموسيقى الأوروبية، نشأة وتطوراً منذ عهد الإغريق حتى عصرنا الذي نعيش فيه.. الفقرات الموسيقية التى جمعها لا ترجع إلا لذوقه الخاص الذى شكلته تجربته الذاتية خلال قراءاته واستماعه الممتد.. وكان حريصا على أن يخرج هذا الكتاب مزودا بالأسطوانات أو الأشرطة المسجلة لكى يجمع القارئ إلى ما

هو مقروء ما هو مسموع.. ذلك أن هدفه النهائى هـو الوصول فى استماعنا الموسيقى إلى مرحلة التذوق العقلى والحسى معا، وتلك قمة المتعة الفنية .

تحدث في مقدمته عن الفنانين وما قدموه من نوعين من الفنون، أولهما الفنون التطبيقية والثاني الفنون الجميلة، وما يكمن في ذاتها، مشيراً إلى أنه كان يعلي من شأن الموسيقى، ويؤكد أن الفنون تأتي في صدارة الثقافة.. كما كان لديه استفسارات واستفهامات ولديه قدرة كبيرة على التحليل، مضيفاً أنه كان قارئا كبيرًا للفلسفة، كما أشار إلى العلاقة بين الموسيقى والعلم.. وكان يضرب مثالا بأينشتاين الذى كان عازفاً وشديد الإعجاب بموتسارت.. كما قدم مقارنات بين رواد الموسيقى فى العالم، فكان شديد الولع بالموسيقار العالمى فيرنر فهو من نقل الموسيقى لعالم الأوبرا كما أدخل الشعر مع الموسيقى.

التصوير المغولى الإسلامي فى الهند

فى هذا الكتاب الذى يأتى أيضًا ضمن موسوعة «العين تسمع والأذن ترى».. يستعرض ثروت عكاشة عقائد الهند الدينية وأربابها كما يطوف بملامحها الكبرى الخالدة ثم يتناول فنون النحت والعمارة الهندية عبر عهود الأسرات الحاكمة وينتقل إلى فن التصوير الهندوكى ومدرسة التصوير المغولى والعمارة المغولية فى الهند وبصفة خاصة مقام تاج محل مختتماً هذه الدراسة بفنون الدراما والرقص والموسيقى والأدب الهندى.

يستعرض الكتاب نشأة الشعب الهندى ومراحل تطوره على مدى تاريخه ومعتقداته الدينية وآلهته على مر القرون وما صاغه من ملاحم وطقوس وأناشيد ترددها الألسن إلى اليوم.. ويتناول عقائد الهند المتعددة: البراهمانية، الهندوكية، اليوجا، الأسفار المقدسة، الكرمة إلى الهندوكية الحديثة والتى تقوم على ثالوث الهند المكون من براهمة «الإله المتعالى»، فشنو «الإله الهادم» وشيفة «الإله الواقى»

ويتطرق إلى الفنون الهندية ومدى تعبيرها عن العقائد الدينية وأهمها الهندوكية والبوذية.. والخصائص النحتية والمعمارية للمعابد الرائعة التى شيدتها الأسرات عبر العصور.. بعدها ينتقل المؤلف إلى المد الآسيوى

للفنون الهندية من مختلف الأقطار المجاورة مثل سيريلانكا، إندونيسيا ، كمبوديا، فيتنام، وبورما.

وينتقل بنا د.عكاشة بعدها إلى الإسهام الإسلامى المغولى فى الحضارة الهندية حيث ازدادت العناية بتصوير المخطوطات مع دخول الإسلام الهند فى القرن التاسع.. العمارة المغولية وتطورها مع التركيز على مقام تاج محل والذى يعد درة المبانى الجنائزية على وجه البسيطة .. وفنون الأدب الهندى الكلاسيكى مشيرا إلى نجومه مع التركيز على الشاعر والروائى والفيلسوف والمصلح الاجتماعي طاغور الحائز على جائزة نوبل للآداب والذى نشر فى العالم فلسفة شاعر يؤمن بتوحد البشر وأخوة الشعوب مهما تختلف لغاتهم وعقائدهم واهتمامًاتهم لأنهم أبناء الله الواحد الأحد خالق الكون ومدبره.

فنون عصر النهضة

الرينسانس والباروك والروكوكو هى ثلاثية استعرضت تاريخ فنون أوروبا وأساسها.. وعصر النهضة وما صاحب الحركة الفنية من أفكار ونزعات فلسفية شتى.. هى ثلاثية غير مسبوقة.

بعد ظهور الجزء التاسع من موسوعة تاريخ الفن «العين تسمع والأذن ترى».. أراد ثروت عكاشة إعادة إصدارهما بصورة أفضل فى ٣ أجزاء.. عرض على فاروق حسنى وزير الثقافة فى عام ١٩٩٤، ان يقوم صندوق التنمية الثقافية بإصدار طبعة عربية ثانية لفنون عصر النهضة.

أظهر الوزير حماسا شديدا.. لكن مدير صندوق التنمية الثقافية تخاذل عن تنفيذه.. وبعد مرور ١٩ شهرا من الاتفاق سحب د.عكاشة تعاقده معه.. وتحمس لأصدار الجزء الأول «الرنيسانس» ١٩٩٦ الشاعرة الكويتية د.سعاد الصباح واتحاد بنوك مصر (الأهلى ومصر والإسكندرية والقاهرة والعربى وسيتي بنك) والمركز الإقليمى لتكنولوجيا المعلومات.

ولم يلبث الشاعر محمد أحمد خليفة السويدى أمين عام المجمع الثقافى بأبي ظبى وصاحب دار السويدى للنشر أن أخذ على عاتقه ـ ودون يطلب منه ـ إصدار الجزأين الثانى «الباروك» ١٩٩٧ والثالث «الروكوكو» ١٩٩٨ من فنون عصر النهضة.



فنون عصر النهضة

مذكراتي في السياسة والثقافة

كتاب مهم يوثق ويؤرخ لمجريات الحياة السياسية والفنية فى مصر.. يبدأ من انتسابه لسلاح الفرسان، والتحاقه بكلية أركان الحرب، وتعرفه على عبد الناصر.. والتحاقهما فيما بعد بجماعة الإخوان.. ومشاركتهما فى حرب فلسطين.. وحريق القاهرة.. وإرهاصات ثورة يوليو ١٩٥٢.. ويحكى عن سنوات عمله في سويسرا وباريس ملحقا حربيا.

يقدم فصول الكتاب بأبيات من الشعر، ومن ذلك ما كتبه في تقديم فصل عمله في باريس لألفونس كار: «ليس عاشق باريس هو من يحب الإقامة فيها، بل هو من لا يطيق فراقها» ثم بعد ذلك يتناول إقامته في باريس بأسلوب لا يخل من الإشارة إلى المبدعين والمثقفين والفنانين والشعراء الذين اختلفوا إلى الموضع الذى سكن فيه بالحى السادس عشر بالعاصمة الفرنسية.. والمساحة الأكبر بالكتاب خصصها عن ولايته لوزارة الثقافة وإنشاءاته وإنجازاته فى الفنون والآثار.

المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية

مع مطالع الثمانينيات من القرن العشرين.. طلبت المؤسسة المصرية العالمية للنشر «لونجمان» أن يعد لها ثروت عكاشة «معجما موسوعيا للمصطلحات

الثقافية».. رؤوس مواده بالإنجليزية وإلى جانبها ما يقابلها بالفرنسية ثم مقابلها في العربية تعريبا أو ترجمة.. مع شرح بالعربية لكل مصطلح.

استغرق إعداده سبعة أعوام.. وقد تناول هذا المعجم الفنون المرئية من تصوير ونحت وعمارة، والفنون التعبيرية من مسرح وموسيقى وغناء أوبرالى ورقص للباليه.. وكذا الأساطير الدنيوية والدينية في مختلف البيئات والعصور.. والموضوعات الفنية.. أسطورية أو دينية أو حضارية.. وفنون العصور الكلاسيكية شرقا وغربا ترجع أصلاً إلى العقائد الدينية.. ومن هنا عرض العقائد الدينية بالتعريف كى يربط بين الأصل والفرع.. وإذا كانت كنيسة روما قد حددت ما يباح تصويره من الموضوعات.. فإن ما جاء فى هذا المعجم عن الفن المسيحى لم يتناول إلا موضوعات المعالجات الفنية للأحداث المسيحية والتوراتية التي حددتها الكنيسة.. كذلك كان كل ما يتصل بالموضوعات الدنيوية هو الآخر محدودا.. فهو من إملاء الذوق الفنى لرعاة الفن على مر العصور.

مسخ الكائنات وفن الهوى

من ترجمات عكاشة.. أعمال الشاعر الرومانى أوفيد: ميتامور فوزيس [مسخ الكائنات]، وأرس أماتوريا [فن الهوى].. فقد أدرك حاجة اللغة العربية إلى توافر مادة خاصة بالأساطير والحكايات.. تعطى صورة واضحة عن الآلهة القديمة فى تصور الإغريق والرومان.. وهذا الكتاب يروى هذه الأساطير بأسلوب شعرى رقيق متدفق لا ينفر القارئ، ويرسخ أسماء الآلهة والأبطال في ذهنه مما يجعلها قريبة إلى ذاكرته حين تصادفه مرة أخرى في مطالعاته للآداب القديمة أو الآداب العالمية، التي تواصل استخدامها للرمز والإيماء، إلى أدوار محددة أو وقائع معينة.. إضافة إلى دراسة وتذوق المنجزات الفنية على مر التاريخ نحتا وتصويراً ونغمًا ومسرحاً ورقصاً باتت تحتاج إلى حد أدنى من الإلمام بالأساطير الإغريقية والرومانية.. وقد ظهرت من هذا الكتاب ٥ طبعات.

وأعقبه بترجمة كتاب آخر لأوفيد استحوذ على إعجابه هو «فن الهوى» الذى ظهرت منه ٤ طبعات.. يظل أوفيد طوال الوقت خلال كتابه صافى

الذهن يحول دون أن تطمس سحب العاطفة عقله؛ فالعاشق المثالى، كما يراه أوفيد، ليس بالصبي الحالم الخيالى ولا بالذى يسمح لنفسه أن تفقد ذاتيتها في غياهب العاطفة.

يتكون (فن الهوى) من ٣ فصول.. يشرح د.ثروت فى أولها كيف يجد طالب الهوى ساعيا ليستولى على قلب محبوبته.. وفى الثانى يعلمه كيف يحتفظ بحبها أطول أمد ممكن.. وفى الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلمها كيف تستأثر بإعجاب الرجل، وكيف تحتفظ بحبه أطول مدة.. ويتميز أسلوب أوفيد فى هذا الكتاب بوضوح الرؤية والموضوعية والذكاء وخفة الظل والسخرية والثقافة الواسعة.. وحبه للدعابة وكراهيته للقسوة والحروب وافتتانه بالحياة والمتعة.. وهيامه بالمرأة مدركا ما فيها من مفاتن ناعيا نواقصها.. ومن بين قصائد أوفيد أبيات تحمل خلاصة نصائحه للجميلات منها:

جديـر بكن أن تذكـرن الشيخـوخـة المرتقـبـة.. حتى لا تضيع سـدى منكـن سـاعـة مـن زمـن

امرحن ما وسعكن المرح، ما دمتن فى ربيع العمر.. السنون تمر كما يمر الماء فى انسياب

وما ارتدت قط موجة مضت.. العمر ينزلق على إيقاع سريع.. وما يأتى به الزمن ليس فى روعة ما ذهب

أعمال جبران خليل جبران

ترجم د.ثروت عكاشة أيضًا أعمال جبران خليل جبران وتشمل: «النبى»، و«حديقة النبى»، و«عيسي ابن الإنسان»، و«رمل وزبد»، و«أرباب الأرض»، و«روائع جبران خليل جبران، الأعمال المتكاملة».

يقول عكاشة في حوار نشر بمجلة «الهلال» بعددها رقم ٩ والصادر بتاريخ ١ سبتمبر ١٩٦٠: إن جبران عصارة من الألم والتجربة والمحنة، وقد أصابته العلة فقتلته فى شعوره. وقد أنهكه ما بين الشرق والغرب من فروق تصل أحيانًا إلى درجة التناقض.. وفى فكره، وقد استبد به نوع من القلق والكبرياء، دفعه إلى نوع من الفلسفة الصوفية، أراد أن يذيعها على الناس.

جبران من الأدباء العرب الذين استطاعوا أن يعبروا عن أنفسهم بلغة غير

لغتهم.. وأهم ما يتميز به جبران، أنه كان صادقا مع نفسه، وكانت حياته ومشاعره واضطرابات نفسه، وخلجات ضميره، وخوفه، وقسوة ما حوله من ظروف، ومرارة عيشه.. كل ذلك يجرى على قلمه، في دقة فنان يحسن تقديم صورة ما يتصوره.

وعن ترجمته كتاب «النبى»، يعود إلى أنه يلخص تجارب حياته كلها، كما يلخص فلسفته في الحياة، ويعكس في الوقت نفسه روح أدب الشرق، عندما تضطره الحياة إلى الرحيل إلى الغرب، وما يؤدي إليه ذلك من تأثر وتأثير، يدعو إلى التأمل والتفكير.

مولع بفاجنر

«مولع بفاجنر» للمؤلف الإيرلندى المشهور جورج برنارد شو، صدر عن المركز القومى للترجمة.. إضافة إلى الترجمة، كتب عنه عكاشة دراسة نقدية بعنوان «مولع حذر بفاجنر» التى كانت نتاج لقاء ثروت عكاشة بحفيدى فاجنر، فولفجانج وفيلاند فاجنر.. وتناقش معهما.. وسجل تلك المناقشة فى في تلك الدراسة النقدية.



كان مولعًا بفاجنر

عام ١٩٤٧ كان عكاشة قد استمع إلى معزوفة لفاجنر لأوركسترا برلين الفيلهارمونى بقيادة المايسترو العالمي فلهلم فورتشانجلر الذى وفد إلى

مصر ليقيم سبع حفلات موسيقية.. منذ ذلك الحين وقع ثروت عكاشة فى الإعجاب بريتشارد فاجنر.. فتتبع أعماله عملاً عملاً مستمعا إلى أسطواناته المسجلة.. وشاهد أوبراته فى دور الأوبرا المختلفة بأوروبا.. فوجد لزاما عليه أن يطالع كل ما أثير حول نصوصه وموسيقاه من ثناء ونقد..

وفى بداية الستينيات وقع في يده كتاب برنارد شو «الفاجنرى الكامل» The Perfect Wagnerite حتى أخذ فى ترجمته إذ كان هو الوحيد الباقى من كتب شو التي لم تترجم إلى العربية.. وعنوان الكتاب يحمل الإيمان العميق بموسيقى فاجنر.. فاختار له عكاشة عنوان «مولع بفاجنر».. ويضم ٤ من أوبرات فاجنر التى تضمها «رباعية النبيلونج» شرحا وتفسيرا .

تميز برنارد شو بجرأة مذهلة فى النقد الفنى الموسيقى، وأشاد بعبقرية فاجنر.. وسخر شو من التقاليد المملة التى كانت تنتهجها دور الأوبرا.. وانتقد البرامج الموسيقية نقدا لاذعا، لم ينج من قسوته قادة الفرق الموسيقية، ولا المغنون، أو المخرجون.. يتناول شو أسلوب فاجنر الموسيقى ووقعه عليه، بدون أن يحلله، ويناقش مسرحيات «خاتم النيبيلونج» من الناحية الدرامية وفق آراء فاجنر النظرية، التى بسطها فى كتبه النقدية.. وجعل من الكتاب رسالة فلسفية عميقة تهدف إلى تفسير مسرحيات «الخاتم» على عكس ما أقره النقاد بأنها عمل موسيقى خالص.. وقد عمد ريتشارد فاجنر إلى خلق بانوراما تزخر بالشخوص فى مسرحيات «الخاتم»، تماثل «الكوميديا الإلهية» لدانتى، أو «الكوميديا الإنسانية» لبلزاك.. ويشير عكاشة إلى أن فاجنر قد استمد أعماله من الأساطير القديمة، وحولها إلى ألحان موسيقية حملتها إلى عالم أسطورى.

المسرح المصرى القديم

من الترجمات الشهيرة للدكتور ثروت عكاشة كتاب «المسرح المصرى القديم» عن الفرنسية للكاتب إتيين دريوتون.. صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٥، ثم ظهرت طبعته الثانية المنقحة عام ١٩٦٥.. إتيين دريوتون (١٨٨٩ -١٩٦١) عالم آثار، ألف العديد من الكتب ويعتبر من أشهر علماء المصريات. وأسهم فى حل الكثير من شيفرات الكتابات الهيروغليفية، كما أنه

واضع أسس علم الآثار القبطية.. وتولى دريوتون عام ١٩٣٦ منصب مدير عام فى المتحف المصرى.

وسبب تحمس عكاشة لترجمة كتابه.. أنه كان يبحث عن إجابة لسؤال: هل كان الفن المسرحى من صنع أسلافنا المصريين القدماء؟ أم من صنع الإغريق؟ وبحثا عن إجابة انشغل في تلك الآونة بالمسرح اليونانى والميثولوجيا الإغريقية بالأنغماس فى القراءة عن كل ما يحيط بهما.. وبين الحين والحين يشاهد بعض هذه المسرحيات تؤدى على مسارح اليونان الأثرية القديمة.. ليلم مع القراءة بنواحيها كلها ويتذوق طعم التطهير النفسى أو التفريغ العقلى «كاثارسيس»، ذلك المصطلح الذي استخدمه أرسطو فى كتابه «فن الشعر» مجازيا، لوصف أثر التراجيديا على المشاهدين بتخليصهم من الانفعالات الضارة من إشفاق وخوف على البطل.. مبينا أن الخوف الذي يستشعره المشاهد من خلال تتبعه للموقف الدرامى يزيح عنه ما يعانيه من قلق.. كما أن الاندماج المتعاطف مع البطل الدرامى يوسع أفق بصيرته ومقدرته على الاستشراف.. ومن ثم يكون للمأساة أثر نفسى وإنسانى فى آن واحد على المشاهد والقارئ على حد سواء .

طالع عكاشة كتاب إتيين دريوتون عن «المسرح المصري القديم» للمرة الثانية ودراسة ما يتصل بالآلهة القديمة وبالمادة الأسطورية وبفلسفة العبادات الدينية المختلفة، ثم بالمأثورات الشعبية القديمة، وبخاصة أسطورة إيزيس وأوزيريس وحورس التى كانت محببة إلى قلوب الأقدمين من أسلافنا.. ثبت أن مصر شهدت نوعين من العروض المسرحية اتخذا سبيلين مختلفين لا يمكن الخلط بينهما هما: الحفلات الطقوسية، والدراما الدينية.. وكانت الأولى يقيمها الكهنة في المعابد.. أما المسرحية الدينية فكانت مسرحية حقة بمدلولها الذى نعرفه اليوم، يعتمد فيها على الأشخاص والحركات والحوار.. وإلى جوار هذا وذاك كانت هناك المسرحيات التاريخية.. وتلك القائمة على قيم أخلاقية.. ثم أخيراً المسرحية السياسية النقدية اللاذعة .

العودة إلى الإيمان

لهنرى لنك الطبيب النفسى الأمريكى.. ترجم عكاشة «العودة إلى الإيمان».. تدور فصوله فى فلك واحد.. هو حقيقة الإيمان.. استطاع هنرى لنك أن يجد الدليل المادى الماثل لأثر الدين فى الحياة، وما تعوقه من معطيات تطورت بها حياة البشر.. ويعد هنرى لنك أحد فرسان ميدان علم النفس التجريبى، وكانت لتجاربه فى هذا الميدان الأثر الكبير فى عودة الناس لدائرة الإيمان.. وتروى هذه التجارب التى شاء الرجل أن يحكيها فجاءت فى صورة لدغات النحل الشافية التى توضح أنه لا محالة للعيش فى هذه الحياة إلا بالإيمان.

حكمة الرمال

الأديب العالمى انطوان دى سانت إكزوبرى.. كان يعمل طيارا مدنيا منذ عام ١٩٢٦ ينقل البريد ما بين تولوز بجنوب فرنسا وداكار فى الغرب من أفريقيا.. كان الطيران فى ذلك الوقت من المهام الخطيرة تتطلب رجال ذوى الصبر والشجاعة والمران والكفاية.. فلم تكن وسائل الطيران الحديثة معروفة وقتذاك.. ولم يكن أمام الطيار غير الاعتماد على البوصلة المغناطيسية وعلى الخريطة التي تحدد له المعالم الطبيعية يهتدى بها .

وقع اختيار د.ثروت عكاشة لترجمة كتابه «القلعة» أو «حكمة الرمال»، ويعد من أفضل الكتب التى صدرت فى فرنسا عام ١٩٤٨ فهو يتضمن وصية رجل له شأنه، جمع بين صفتين كريمتين.. شجاعة وجلدا لا حدود لهما.. بذهن متقد وبصيرة نافذة وحس رهيف بكل ما هو روحانى معنوى.. وكتابه يعبر عن رؤية للعالم، كيف يكون إذا ما عرف الإنسان ما يملك من قدرات يقوى بها على فعل الخير بغير حدود.

مصر فى عيون الغرباء

منذ أن اطلع ثروت عكاشة على كتاب «موت فيله» لپيير لوتى الصادر عام ١٩٠٧.. وهو لديه رغبة فى التعرف إلى ما كتبه غيره من الأوروبيين عن مصر والمصريين خلال القرن التاسع عشر.. فكان كتابه «مصر في عيون الغرباء، من الرحالة والفنانين والأدباء١٨٠٠-١٩٠٠».. وهو

تسجيل لانطباعات بعض الرحالة والكتاب والشعراء والمصورين الذين زاروا مصر خلال القرن الـ١٩ فألهمتهم معالمها وآثارها وعادات شعبها وتقاليدها، تلك الأفكار والانطباعات التى فاضت على أقلامهم وفرشاتهم فكتبوا وصوروا.. وقد أورد نماذج مما استهواه بنقل مقتطفات منها إلى العربية.. وقد نفذت الطبعة الأولى بمجرد ظهورها عام ١٩٨٤، وظهرت طبعته المكتملة المزودة بالمزيد من اللوحات وشروحها فضلاً عن إطلالة على إبداعات المصورين الاستشراقيين فى المغرب والشام وتركيا عن دار الشروق عام ٢٠٠٠.

فى طبيعة الأشياء

وترجم ديوان «فى طبيعة الأشياء» للشاعر الرومانى لوكريشيوس (٩٩ ـ ٥٥ ق . م).. وهو شاعر رقيق الوجدان والأحاسيس.. شديد الملاحظة لظواهر الكون.. جسور فى الكشف عن الخرافات التي تضمنتها العقيدة الدينية السائدة في عصره.. والتى لم يلبث أن نبذها متعلقا بفلسفة أبيقور التي أنقذته من حيرته وما فيها من إرادة متحررة لا تفرض على العالم سلطانا ولا تطلب من البشر عبودية.

ولثروت عكاشة مؤلفات أخرى منها: «المعارف لابن قتيبة»، و«إنسان العصر يتوج رمسيس»، و«طومسون لبيبر دانينوس»، و«إعصار من الشرق أو جنكيز خان»، و«حرب التحرير»، وموسوعة «الفن المصري القديم» الصادرة عن دار الشروق.

ومن ترجماته أيضًا: «فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد»، و«السيد آدم» لبات فرانك، و«سروال القس» لثورن سميت، و«الحرب الميكانيكية» للجنرال فولر، و«قائد البانزر» للجنرال جوديريان.

مبدعون بالزى العسكرى

مبدعون بالزى العسكرى

كان ثروت عكاشة العقل المستنير لثورة يوليو ١٩٥٢.. أعطى صورة مشرقة للجندى المثقف عاشق الفنون الرفيعة.. فهو ينتمى إلى تلك المدرسة التى تفهم الثقافة على أنها زراعة للآداب والعادات الراقية.. كان له معاصرون أو سابقون له ارتدوا البدلة العسكرية، أثروا أيضًا حياتنا الفنية والثقافية بأعمالهم الخالدة منهم:

يوسف السباعى



فيلم رد قلبى ليوسف السباعى

عمل كمدرس في الكلية الحربية، وفي عام ١٩٥٢م مديراً للمتحف الحربي، ووصل لرتبة عميد.. ثم تقاعده من الخدمة العسكرية وتولى وزارة الثقافة فى عهد السادات ورأس تحرير مجلة «آخر ساعة» وجريدة الأهرام وانتخب نقيبًا للصحفيين.. هو فارس الرومانسية.. قدم قبل الثورة «ارض النفاق» و«السقا مات».. واستمر بإبداعه فقدم نائب عزرائيل، إني راحلة، فديتك يا ليل، البحث عن جسد، بين الأطلال، رد قلبي، طريق العودة، نادية،

جفت الدموع، ليل له أخر، نحن لا نزرع الشوك، لست وحدك، ابتسامة على شفتيه، العمر لحظة، أطياف، أثنتا عشرة امرأة، خبايا الصدور، أثنتا عشر رجلاً، في موكب الهوى، من العالم المجهول، مبكى العشاق، شارع الحب، اذكرينى، ومن المسرحيات قدم أقوى من الزمن، أم رتيبة، ومن القصص أبو الريش وجنينة ناميش، يا أمة ضحكت، الشيخ زعرب وآخرون.

الشاعر محمود سامى البارودى

خريج المدرسة الحربية.. من جيل ابراهيم باشا فى الجيش المصرى.. ووصل الى رتبة فريق.. عين مدير مديرية (محافظ) فى بورسعيد ثم القاهرة.. ثم وزيرا للأوقاف ثم وزير الجهادية (الحربية).. محمود سامى البارودي أول شاعر كبير تقدمه مصر فى تاريخ الشعر العربى كما يقول د.طه حسين.. فقد كان الشعراء الكبار يأتون من الجزيرة العربية والعراق مثل المتنبى وابو فراس الحمدانى وأبو تمام والمعرى.. نظم البارودى الشعر فى كل أغراضه المعروفة من غزل ومديح وفخر وهجاء ورثاء، مرتسمًا نهج الشعر العربى القديم.. وترك ديوان شعر يزيد عدد أبياته على خمسة آلاف بيت، طبع في أربعة مجلدات، وقصيدة طويلة عارض بها البوصيري، أطلق عليها «كشف الغمة»، وله أيضًا «قيد الأوابد» وهو كتاب نثري سجل فيه خواطره ورسائله بأسلوب مسجوع، و«مختارات البارودي» وهي مجموعة انتخبها الشاعر من شعر ثلاثين شاعرًا من فحول الشعر العباسي، يبلغ نحو ٤٠ ألف بيتًا.

حافظ إبراهيم

خريج الحربية.. ضابط فى الجيش المصرى فى السودان وتآمر عليه الإنجليز ورجع مصر.. ومن قصائده: غضي جفون السحر أو فارحمى، أنا العاشق العاني وإن كنت لا تدرى، يأيها الحب امتزج بالحشى، كم ذا يكابد عاشق ويلاقى، أقضيه في الأشواق إلا أقله، مرت كعمر الورد بينا أجتلى، قالت الجوزاء حين رأت جفنه، أذنتك ترتابين في الشمس والضحى، كم تحت أذيال الظلام متيم.

عبدالمنعم السباعى

تخرج من الكلية الحربية فى أعقاب نكبة حرب فلسطين عام ١٩٤٨،

انضم إلى تنظيم «الضباط الأحرار»، وما إن قامت الثورة حتى طغت خلفية السباعى الصحفية والشاعرية على عسكريته.. كتب قصة المسلسل الإذاعى والفيلم الشهير «سمارة».. ولم تكن شوارع القاهرة تفرغ من المارة إلا لسببين، خطبة الرئيس جمال عبدالناصر، ومسلسل «سمارة» فى تمام الخامسة والربع عصرًا.. كتب القصة والسيناريو لفيلم «إسماعيل يس فى الجيش».. كتب «أنا والعذاب وهواك»، للموسيقار محمد عبدالوهاب، و«أروح لمين»، لأم كلثوم.. وغنى له محمد قنديل «جميل وأسمر» ولمحمد عبدالمطلب «بياع الهوا راح فين»، ولعبدالحليم حافظ «لايق عليك الخال ياللى الهوا خالك».



حضر عبدالناصر العرض الأول لفيلم إسماعيل ياسين فى الجيش

د.حسين فوزى النجار

كان ضابطًا بالقوات المسلحة ووصل الى رتبة صاغ.. وترك الجيش بعد ثورة ٥٢.. لديه مؤلفات مهمة عن رفاعة الطهطاوى ود.هيكل باشا (خاله).

د.أحمد خليفة

كان من ضباط الجيش إبان ثورة ثوليو.. وزير الشئون الاجتماعية وأسس المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ولديه دراسات بالغة الأهمية.

أحمد مظهر

تخرج من الكلية الحربية المصرية عام ١٩٣٨م مع جمال عبدالناصر، انضم لسلاح الفرسان مع ثروت عكاشة وزكريا محيى الدين.. وتدرج إلى أن تولى قيادة مدرسة الفروسية وشارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.



فيلم الأيدى الناعمة.. أحمد مظهر وصباح وأحمد لوكسر

قدمه زكي طليمات في مسرحية «الوطن» عام ١٩٤٨م، ثم دخل عالم الفن السينمائي من بوابة الفروسية حينما اختاره المخرج إبراهيم عز الدين ليقوم بدور في فيلم «ظهور الإسلام» عام ١٩٥١ عن رواية طه حسين الوعد الحق.. وعندما رشحه يوسف السباعي لدور البرنس علاء فى فيلم «رد قلبي»، رفض الجيش إعطاءه تصريحاً، فذهب مظهر يشكو للرئيس عبدالناصر. نصحه عبدالناصر بأن يتفرغ للتمثيل، لأن دوره كممثل لا يقل أهمية عن وجوده بين صفوف القوات المسلحة في هذه المرحلة، ويمكنه أن يخدم وطنه من خلال الأعمال الفنية، واقتنع مظهر بكلامه، خرج إلى المعاش برتبة عقيد.. وواصل رحلته على شاشة السينما.. واستكمل تصوير «رد قلبى» وانطلق مع أفلام تعد من كلاسيكيات السينما منها الايدى الناعمة ودعاء الكروان والنظارة السوداء وصلاح الدين الأيوبى.. وغيرها.

عزالدين ذوالفقار

كان ضابطاً بالقوات المسلحة، استقال وهو برتبة يوزباشي (نقيب) في سلاح المدفعية.. وتفرغ للسينما واشتهر بلقب فارس الرومانسية، من أفلامه: نهر الحب، أقوى من الحب، بورسعيد، شارع الحب، امرأة في الطريق، الرجل الثاني، بين الأطلال، الشموع السوداء، موعد مع السعادة وطريق الأمل.



شارع الحب.. صباح وعبدالحليم.. للمخرج عزالدين ذوالفقار

ليو تولستوى

الأديب الروسى ليو تولستوى.. كان مقاتلا محترفا وضابط مدفعية.. تحول الى «مصلح اجتماعي وداعية سلام ومفكر وفيلسوف».. من أهم أعماله روايات «الحرب والسلام»، و«الحاجمراد»، و«القوزاق»، والحروب والمعارك موضوعها الرئيسي. وكتب في السيرة الذاتية ثلاثية «الطفولة (١٨٥٢)، والصبا (١٨٥٢-١٨٥٤)، والشباب (١٨٥٥-١٨٥٧) «

اللقاء الأخير

اللقاء الأخير

مقتطفات من حوار أجريته مع د.ثروت عكاشة.. كنت محظوظًا أن ألتقيه في بيته بالمعادى.. وكانت حلقة التعارف بيننا الباليرينا د.ماجدة صالح.. وكان اللقاء في وجود المهندس مايكل غالى الذى قدمه لى ثروت عكاشة بأنه صديق غال لم ينقطع عن مودته بالزيارات في الـ١٥ عامًا الأخيرة من حياته.

كان اللقاء بمناسبة إضاءة الشمعة الـ٩٠ لميلاده.. أى قبل عام واحد فقط من رحيله.. وتصادف أن يكون الحوار في تمام الساعة السادسة مساء ٢٥ يناير ٢٠١١.. أى يوم اشتعلت الثورة.. يوم خرجت مصر عن بكرة أبيها فى الميادين تبحث عن آمالها والتطلع للعدالة والحرية والحياة الكريمة.. بعد أن كانت محرومة حتى من أنها تحلم.

عندما قامت ثورة ١٩٥٢، أراد جمال عبدالناصر وصحبه وعلى رأسهم د.ثروت عكاشة، إعطاء شكلا حضاريا لثورتهم.. وإكسابها سمعة طيبة اهتموا بكل الفنون والآداب.. حتى لا تتهم الثورة بالتخلف.. اهتم عكاشة بالبنية الأساسية للثقافة، وتفعيل دورها الحيوى فى تشكيل الوعي وتقبل الرؤى المختلفة وإعمال العقل.. لذا كانت الستينيات العصر الذهبي للثقافة والفنون.. وانقلب كل ذلك رأسًا علي عقب فى الأعوام الخمسين الأخيرة، وحتى السنوات التى أعقبت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.. تسود سياسة تغييب الوعى وعدم الاهتمام بإعمال الفكر.. فاحتلت مصر مرتبة متأخرة فى قاطرة المعرفة.

بين الثورتين ١٩٥٢ و٢٠١١ وما بعدهما.. كان حوارى مع د.ثروت عكاشة الأب الروحى للثقافة المصرية الحديثة.

كان أول سؤال طرحته عليه هو الفارق بين ما كان يطمح إليه، وبين ما وصلنا إليه الآن؟

قال د. ثروت عكاشة: كنت أتوقع أن تضاف أشياء جديدة تساير ما حدث من تغير في المعرفة والتكنولوجيا وزيادة الأشياء الجادة في وزارة الثقافة وهذا لم يحدث لا أري شيئًا جديدًا في الثقافة يمكن أن أتحدث عنه.. يوجد اختلاف في الرؤي بيني وبين السياسة التي اتبعها فاروق حسني.. لا يمكن أن يوجد

تشابه بيننا.. هو شاطر في تخصصه.. وقد يكون شاطر في مجال وخايب في مجال وأنا خايب في مجال وشاطر في مجال.. ولكن حدث تراجع كبير في الفنون في الفترة الأخيرة.. الموجودون في السلطة الثقافية ليسوا في مقام أو علي مستوى وزارة الثقافة يعني هم فنانون جيدون لكن لم يظهر من يستطيع إضافة شيء.

سألته: كيف تفسر طريقة الاستخفاف التي تعاملت بها وزارة الثقافة مع سرقة لوحة زهرة الخشخاش؟

قال د.ثروت: تابعت هذا الشخص (د.محسن شعلان) وقوله إن قيمة اللوحة لا يزيد علي قيمة البرواز ٨٠ جنيها!!.. وقول فاروق حسنى وزير الثقافة إن السرقة عادية مثل أى سرقة تحدث في متاحف العالم، بينما قيمة اللوحة ليست فقط في ثمنها الذي يزيد علي ٦٠ مليون دولار، ولكن لقيمتها الفنية.. فالأعمال الفنية لا يتم تقييمها بقيمة البرواز الذى لا يستحق السرقة فتركه اللصوص.. وأضاف د. عكاشة متحسرًا: أكيد سربوها للخارج وحكي د.ثروت عن محاولة سرقة تعرضت لها اللوحة نفسها من قبل قائلا: إن لوحة (زهرة الخشخاش) تعرضت للسرقة عندما كنت وزيرًا للثقافة.. وبعد البحث المضنى وتضييق الخناق علي السارقين، تلقيت مكالمة تليفونية ممن سرقوها، قالوا إن اللوحة سوف ترجع لك.. قلت: فين.. قال: عند ترعة كذا.. وعلي الفور أرسلت مدير مكتبى المستشار أحمد لطفى لإحضار اللوحة ووجدها في المكان الذي حددوه.. لا أعرف من سرقها، لكن المهم أنها عادت إلينا.

واضح أن اللوحة عليها العين؟

نعم عليها العين.. وهم يخسفون بها الأرض.. ليس إلى هذا الحد!!

سألته: اختفاء البيانو من المدارس، وإلغاء تدريس الموسيقي وعدم الاهتمام بالرسم، هل أثر علي الشخصية المصرية؟

رد د.عكاشة بالفم المليان: طبعا، تغيرت تمامًا.. أنا كنت في مدرسة فؤاد الثانوية، كان فيها نظام دراسي ممتاز مائة في المائة، كانت توجد الموسيقى والتمثيل والخطابة.. التعليم كان أفضل، وكان لذلك تأثير علينا.. نحمد

ربنا أن جيلنا والجيل الذى جاء بعدنا تعلمنا بشكل جيد.. ثم تراجع التعليم بعد ذلك.. وقال: أنت عندك أولادك وأكيد عارف ما وصل إليه مستوي التعليم.

لم أعلق سوى بالمعلومة التى لدى، بأن أفضل خمسمائة جامعة فى العالم ليس من بينها جامعة مصرية.. وعدت للحوار وسألته:

المشكلة الثقافية الرئيسية التى نواجهها حاليًا هى أن بعض الفئات لا تقبل بالتنوع الثقافى؟

رد د.ثروت متأسيًا: لا أريد القول إنه يوجد تراجع في النيات فى الجهاز الثقافى! لكن توجد رخاوة ورخامة.. لا أعرف توصيفها بالضبط.. المفروض أن تكون فى الوزارة أنشطة كثيرة.. أقول هذا الكلام لأنى أعرف ما أقوله وما لدينا من إمكانات.. فالتضحية التي تبذل من أجل وطنى تعنى حبًا للوطن وعشقًا له.. قمنا بأشياء كبيرة جدًا فى العصر الذى كنت أتولى فيه وزارة الثقافة.. معظم المؤسسات الثقافية الموجودة أنشأناها فى ذلك العصر، منها أكاديمية كاملة للفنون، والصوت والضوء كان شيئًا جديدًا على مصر فى ذلك الوقت وأدخل فلوسًا كثيرة للدولة.. ثم مشروع إنقاذ آثار النوبة، قمت بالدور الذى يجب أن أقوم به أمام ربنا.. لم أقصر فى أى شيء.. حاربت في منظمة اليونسكو لإنقاذ آثارنا، خاصة معبدى أبوسمبل.. والشيء الذى كان يعطى قوة لهذا النشاط أنى كنت أخاطب الرئيس جمال عبدالناصر مباشرة بكل ما نريده فى الآثار.. حتى لا يقولوا فى التاريخ إن الثورة المصرية (ثورة١٩٥٢) جاءت وأوقفت التقدم الثقافى الخاص بالآثار المصرية القديمة، وهي فخر لنا، لأن ليس لها مثيل فى أى مكان فى الدنيا.

أقول لك إننى كنت أعمل مع عبدالناصر كصديق، لم نكن رئيسًا ومرءوسًا، كلنا أخوة، ونشاطنا كله لعزة مصر ونجاح الثورة.. عملت المطلوب منى، وأضفت أشياء كثيرة جدًا والحمدلله.. والاهتمام بالفنون مثل الباليه والأوركسترا وأشياء كثيرة حصلت من خلال أكاديمية الفنون التى أنشأناها ودعونا أعظم الفنانين من الخارج، حتى إن جمال عبدالناصر قال لي: يا ثروت أنت بذلك ستنفق كل الفلوس على الثقافة.. لكنه لم يتوقف عن

دعمى، للأسف جاءت الأمور بغير ما كنت أرضى، فتقدمت باستقالتى.. كنت أول وزير يستقيل فى مجلس الوزراء لأسباب كان وراءها (على صبرى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت)!!

فأسند إلي عبدالناصر رئاسة البنك الأهلى، ولم أكن أفهم شيئًا في أعمال البنوك.. قلت له: يا ريس أنا لا أعرف أصرف ميزانيتى.. فقال لى: يا ثروت علشان تتعلم حاجة جديدة.. قضيت ٤ سنوات رئيسًا لمجلس إدارة البنك الأهلى.. كانت بالفعل إضافة كبيرة لى من زملاء فطاحل فى الاقتصاد موجودين فى البنك الأهلى.. حصلت على خبرة كبيرة جدًا.. عمرى ما كنت أحلم بأن أحصل عليها.

وأضاف د.عكاشة: طبعًا لم أستغل هذه الخبرة التي اكتسبتها، لأن عبدالناصر طلب منى الرجوع ثانية لتولى وزارة الثقافة وهو يقول لى: فلان الذى جاء بعدك خسر الدنيا، وهدم ما قمت به أنت في الوزارة من قبل.. وأريدك أن تكمل ما بدأته.. طلب منى ذلك وأنا لا أطمع فى منصب ولا طلبت أكون وزيرًا فقد كنت سفيرًا ناجحًا جدًا في إيطاليا وفي فرنسا لم أكن أريد منصب وزير، لأن الوسط فى الرئاسة كان سيئًا.. وأنا لا أتحمل أى مضايقات لأنى حساس جدا.. لا أتحمل أن أجد نفسى جالسا مع ناس مخادعة.. فاعتذرت لعبدالناصر وقلت له: أنا متأسف لن أعود للوزارة.ف قال: أنت سفير ممتاز لكن الثقافة أهم.. مفيش غيرك، وراح يذكرنى بما كنت فعلته من إنجازات فى الوزارة الأولى.. وطلب منى أكمل ما قمت به.. ومر على في البيت يوسف السباعى وأخذنى للوزارة بسيارته.. فخجلت وقبلت الوزارة مرغما.

بكيت في الطريق لأني لم أكن أريد الوزارة بسبب ناس كثيرة سيئين موجودين فى الرياسة «مش متربيين».. صعب التعامل معهم.. لكن كنت فى حالى، وأعملت ضميرى سواء فى الوزارة الأولى أو الوزارة الثانية.

بعد ذلك تقدمت باستقالتى عندما حدث خلاف بيني وبين عبدالناصر في مجلس الوزراء.. قلت له: أنا لا أقبل أن وزارة الثقافة تحرم من المال، وتأخذه وزارة الإعلام (كان يتولاها في ذلك الوقت د.عبدالقادر حاتم).. فقال

لى عبدالناصر كلمة «مش تمام».. فقلت له ليس عندي فى الوزارة فلوس لكن عندى أفكار وإنشاءات وأشياء كثيرة بالإضافة إلى أهمية خاصة بالآثار حتى لا يقول أحد إن ثورة ٥٢ جاءت وأهملتها.. سيكون ذلك خطأ كبيرًا جدا لرجال الثورة.. فأعطانى عبدالناصر المبلغ الذي طلبته.. وأصلحنا الآثار كلها والتى كانت خربانة.. خاصة في أبوسمبل.. وكنت أقوم بتنفيذ بعض المشاريع من خلال علاقاتى الشخصية مع فرنسا.. فكان المفكر والأديب أندريه مونرو رئيس وزراء فرنسا وقتها يعطينى كل ما أحتاج إليه من مساعدات من أجل البنية الثقافية فى مصر.. فأرسلت ٢٥ شابا وفتاة للتدريب على الأشغال اليدوية النسجيات إلى فرنسا للدراسة مجانا لمدة ٥ سنوات.. تعلموها وأتقنوها وأقمت لهم مكانا لفن النسجيات في القاهرة القديمة.. لكن للأسف أغلقه فاروق حسني.. كله راح.. وهدموا كل شيء.. كان يحركنى فى عملى حبى للوطن، وأضع كل نشاطى وخبرتى فى خدمة الأهالى الموجودين.

ثم وجه د.ثروت عكاشة كلامه لى: أنت وقتها كنت صغيرا في السن..

فأجبت: ولكنى تربيت علي ما قدمته أنت.. عرفت معنى الفنون الراقية وحصلت على دبلوم النقد من أكاديمية الفنون التى أنشأتها أنت.. وقلت له إن المشكلة التى واجهت الأجيال الجديدة هى تراجع الفنون.. الأغنية والموسيقى والسينما والمسرح.. كل شيء تراجع فى السنوات الثلاثين الأخيرة.. مما جعل الشخصية المصرية باهتة.

طلبت منه يعطينا روشتة لكيفية إصلاح الشأن الثقافى؟

أقترح الاستعانة بشخص عنده برنامج ومشاريع فى الثقافة.. فالثقافة متعددة الألوان.. فيها تنوع.. مفيش اتنين متشابهين..

قلت: الثروة الحقيقية للإنسان هى المعرفة والأصدقاء.. ماذا عن أصدقائك حاليا؟

رد قائلا: لى أصدقاء أعزاء جدا.. على رأسهم خالد محيى الدين، ومايكل غالى وهو مهندس يواظب علي زيارتى وأعتبره ابنى حبيبى.. وعدد كبير من المثقفين، ود.ماجدة صالح أعتبرها كنزا من الجيل الأول للباليه.. وتغير طبعا

بعض الأصدقاء.. ولأن ربنا طول فى عمرى.. لى أصدقاء كثير ماتوا.. كانوا من أشرف الناس فى حياتى.. جمال عبدالناصر، كنت أحبه جدا وانضممت إليه وعملت معه الثورة، كنت فى سلاح الفرسان فى ذلك الوقت.. ولا أنسى الأستاذ خالد محيى الدين، وهو راقد على السرير مريضا، سمعته فى الإذاعة يقول: ثروت عكاشة كان «ستار» الثورة أى نجم الثورة.. لم أنس هذه الكلمة أبدا، ونزلت دموعى.. همست قائلا شوف ربنا ازاى يجازينى بكل خير، لأن عندما كنت أعمل شيئا، كنت أعمله بإخلاص وحماس.. أبويا علمني ذلك.. أنا نتيجة تربية أبى وأمى.

ماذا تتمني لمصر؟

قال مبتسما: أنا لا أريد أن أكون وزير ثقافة تانى.. أنا خلاص، أتمنى لكم الخير والنجاح، والاعتناء بالناس الفقراء الغلابة الموجودين.. كفاية عندنا رجال الأعمال ماسكين كل رأس المال.. والناس محرومة.. حرام.. لابد أن الحكومة تتدخل فى هذا الأمر.. واجبها إسعاد الناس.. وستأخذ عليه أجرا كبيرًا من الله.. تشوف مصالحهم.. للاسف «ده مش موجود».

حياة مستمرة.. وليست خاتمة

حياة مستمرة.. وليست خاتمة

لم تنته حياة د.ثروت عكاشة برحيله عن دنيانا عام ٢٠١٢.. ترك لنا ثروة لا تفنى، وتبقيه حيّا.. كل منها ينطق بأسمه ويخلده.. مازالت رائحة وعبق إنجازاته تحيط بنا.. نعيش بها ونرتشف من معارفها ومتعة فنونها أجيالا وأجيالا.. هو المؤسس الأول للبنية التحتية للثقافة المصرية في العصر الحديث.. مشاعر مختلطة ومتشابكة، تتنوع ما بين الفخر والإعجاب الشديدين، والحسرة والحزن على انهيار كثير من المشاريع التى تأسست فى عهد ثروت عكاشة.



بورتريه بريشة الفنان صلاح طاهر

لا وصاية على الفن والأدب

على الرغم من عصر عبد الناصر وثروت عكاشة شهد اعتقالات لمبدعين وتأميم ممتلكاتهم.. كان عصرا ذهبيا للفن والأدب عموما.. بل أن معظم الأعـمال التى قدمت فى عصرهما يصعب ان تقدم اليوم ونحن فى عام ٢٠٢١.. لم تفرض الناصرية وصاية على فنان أو أديب.. بل تركت أكثر الزهور تتفتح.. فالاسماء والأعمال المسرحية فى الستينات تمثل كل مدارس الفن والأدب.. الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية والوجودية والمعقول واللا المعقول.. كذلك وجد أكثر كتاب المسرح الموهوبين من جميع المـدارس والاتجاهات بعد المصالحة بين الثورة والمثقفين، وجدوا لأنفسهم مكانا، لا فرق في ذلك بين يمين ووسط ويسار.. وألوان الطيف والأدبى والفنى كلها ممثلة من رشاد رشدى وعلى باكثير إلى سعدالدين وهبة وعلى سالم وميخائيل رومان ولطفى الخولى.. ومن عزيز أباظة إلى صلاح عبدالصبور إلى عبدالرحمن الشرقاوى.

كانت المسرحيات حتى قبل هزيمة ١٩٦٧ وفي قمة المركزية الناصرية تتضمن نقدا صريحا أو مغلفا للتجربة الناصرية سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو حضاريا.. وكانت وزارة الثقافة بالذات والدولة بصفة عامة تقف منها موقف الحياد ما أمكن.. ولو كانت تمارس أية وصاية متزمتة ما سمحت «بطوفان» نعمان عاشور المتهكم بصديق الفقراء.. ولا «الفرافير» يوسف إدريس المتهكمين باشتراكيةعبدالناصر.. ولا «بشبراوى» سعد الدين وهبة وهو رجل مصر المريض المشلول.. ولا «بتبريزى» ألفريد فرج وهو بائع الأحلا.. ولا بأوديب على سالم المعزول عن شعبه منذ هزيمة مصر آنئذ.. بل لو كانت الدولة في ظل المركزية المطلقة وملكية الصحافة تمارس الوصاية على الفن والأدب لما استطاع نجيب محفوظ أن ينشر عبر السنوات «أولاد حارتنا» أو «السمان والخريف»، أو «ميرامار» أو «ثرثرة فوق النيل» أو «الطريق» أو«الشحاذ».. وكلها تتضمن وصفا حيا للعاهات النفسية والتشوهات الخلقية التي ملأت مصر منذ ثوره ١٩٥٢.. بل لما استطاع توفيق الحكيم أن ينشر «بنك القلق».. لم تكن هناك وصاية على الفن والأدب، إنما كانت الوصابة على الفكر وحده.

٣٣ سنة عمل رسمى

ثلاثة وثلاثون عاما.. هى كل سنوات العمل الرسمى للدكتور ثروت عكاشة.. من عام ١٩٣٩ الى ١٩٧٢.. كانت البداية وعمره [١٨ عاما] حيث ولد عام ١٩٢١.. وانتهى منه وعمره [٥١ سنة].. موزعة كالآتى: ثلاثة عشر عاما قضاها فى القوات المسلحة قبل قيام الثورة.. وعشرون سنة بعد قيام الثورة تنقل فيها بين وظائف ومناصب مختلفة وكلها فى غاية الأهمية خاصة تقلده منصب وزير الثقافة مرتين يفصل بينهما ٤ سنوات رأس خلالها مجلس إدارة البنك الأهلى.. وبلغت سنوات التفرغ [٤٠ عاما].. أنجز خلالها وحتى رحيله فى ٢٧ فبراير ٢٠١٢ ما كان يصبو إليه من أعمال أدبية وفنية .

العمل مع ٦ رؤساء وزارة

عمل ثروت عكاشة خلال تجربته الوزارية الأولى (من ٧ اكتوبر ١٩٥٨ حتى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢) فى ظل ٣ رؤساء وزراء هم: د.نور الدين طراف الذى يشهد له الجميع بالكفاية العالية والنزاهة المطلقة والمواقف الوطنية المشهودة قبل الثورة وبعدها.. وكمال الدين حسين رفيق كفاح ثروت عكاشة.. كما حظى بالعمل في وزارة يرأسها جمال عبدالناصر الذى امتلأت صفحاته حماسة للثقافة والفنون.

وتجربته الوزارية الثانية (من ١٠ سبنمبر ١٩٦٦ حتى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠) عمل مع ٣ رؤساء وزراء هم: صدقى سليمان وزكريا محيى الدين الذى استمر ٣ أيام فقط عقب هزيمة ١٩٦٧ (من ٩ يونيو إلى ١١ يونيو ١٩٦٧) وهى أقصر فترة لرئيس وزراء، انتهت بعدول جمال عبد الناصر عن قرار التنحى.. وتولى عبدالناصر رئاسة الحكومة حتى رحيله ١٩٧٠.

المناصب

ضابط بالقوات المسلحة، رئيس تحرير مجلة التحرير ١٩٥٢ -١٩٥٣، ملحق عسكري بالسفارة المصرية في بون و باريس ومدريد ١٩٥٣ - ١٩٥٦، سفير مصر في روما ١٩٥٧ -١٩٥٨، وزير الثقافة والإرشاد القومى ١٩٥٨ -١٩٦٢، رئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٦٢ و ١٩٦٦ -١٩٧٠، رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى المصري ١٩٦٢

- ١٩٦٦، نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة ١٩٦٦ - ١٩٦٧، وزير الثقافة ١٩٦٧ - ١٩٧٠، نائب رئيس اللجنة الدولية لإنقاذ مدينة البندقية ١٩٦٧ - ١٩٧٧، مساعد رئيس الجمهورية للشئون الثقافية ١٩٧٠ - ١٩٧٢، أستاذ زائر بالكوليج دى فرانس بباريس (تاريخ الفن) ١٩٧٣، انتخب زميل مراسل بالأكاديمية البريطانية الملكية ١٩٧٥، انتخب رئيس للجنة الثقافة الاستشارية بمعهد العالم العربي بباريس ١٩٩٠ - ١٩٩٣.

الجوائز والأوسمة

الجائزة الأولى فى مسابقة فاروق الأول العسكرية ـ وسام الفنون والآداب الفرنسى عام ١٩٦٥ ـ وسام اللجيون دونير (وسام جوقة الشرف) الفرنسى بدرجة كوماندور عام ١٩٦٨ ـ الميدالية الفضية لليونسكو تتويجا لإنقاذ معبدى أبو سمبل وآثار النوبة عام ١٩٦٨ ـ الميدالية الذهبية لليونسكو لجهوده من أجل إنقاذ معابد فيلة وآثار النوبة، عام ١٩٧٠ ـ جائزة الدولة التقديرية فى الفنون من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٧ ـ دكتوراه فخرية فى العلوم الإنسانية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٩٥ ـ جائزة مبارك فى الفنون من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٢.

المحتوى

ثورة عكاشة باعث النهضة بقلم: سمير شحاته ٥
الكلمات لا تكفى بقلم: نورا ثروت عكاشة ٩
ثروت عكاشة صحفيا: ١١
مجلة التحرير لسان حال الثورة ـ طه حسين أول من أطلق كلمة (ثورة) على ٢٣يوليو ـ سحب الثقة من ثروت عكاشة ـ عكاشة خارج مصر خوفا من انقلابه! ـ «المستبد العادل» رؤية توفيق الحكيم تتحقق ـ أنور السادات رئيسا للتحرير
أول وزير.. وأول وزارة ١٨
مصر لم تكن عقيمة ثقافيا قبل ثورة ١٩٥٢ ـ مصلحة الفنون والمسرح القومى ـ عبدالناصر والمشروع ثقافى ـ أول وزارة ثقافة فى مصر ـ مؤتمر لمعرفة احتياجات الفنانين والأدباء ـ الفنان فيلسوفا سياسيا ـ حرية الفنان ـ الفن الرفيع للعمال ـ العلم والتصنيع والإبداع أمل الفقراء
أكاديمية الفنون ٢٧
معاهد علمية لتفادى الفنون العشوائية ـ الأوقاف تساند مشروع الأكاديمية ـ وضع حجر الأساس وتكريم الفنانين ـ مسرح سيد درويش ـ جزيرة النور ـ معهد السينما ـ معهد المسرح ـ معهد الباليه ـ معهد الكونسرفتوار ـ معهد الموسيقى العربية ـ معهد النقد الفنى ـ معهد الفنون الشعبية ـ الأكاديمية تفتح أبوابها لذوى الاحتياجات الخاصة ـ معهد فنون الطفل
صناعة السينما ٣٩
مؤسسة دعم السينما ـ ينابيع الشمس ـ تطوير استوديو مصر ـ إنشاء النقابات الفنية ـ تأميم صناعة السينما ـ تراجيديا القطاع العام ـ عبدالناصر يتعجل الإنتاج لتفادى بطالة الفنانين ـ الكلاسيكيات العظيمة إنتاج قطاع عام ـ إيجابيات وسلبيات تجربة القطاع العام ـ ثروت عكاشة يغير نهاية فيلم

(جميلة بوحريد) ـ عكاشة يعيد فاتن بأمر عبدالناصر

فنون المسرح ٥١

مؤسسة فنون المسرح والموسيقى ـ القومى وحركة مسرحية قوية ـ المسرح الحر ـ تغير النظرة للفن والفنانين ـ زيادة عدد المسارح ودعم الفرق الخاصة ـ العصر الذهبى للمسرح ـ مسرح العرائس ـ عبدالناصر وملك المغرب يشاهدان عرضا للعرائس

فن الباليه ٦١

المرة الأولى وسام الجمهورية لراقصات ـ تصريح من بوليس الآداب ـ حريق الأوبرا الخديوية

الموسيقى والغناء ٦٧

«أوركسترا القاهرة السيمفونى» ولد فى الإذاعة ـ عبدالناصر يحضر حفل سيمفونى ـ الموسيقى الكلاسيكية لعامة الناس ـ التأثير والتأثر ـ فرق للموسيقى العربية والأرملة الطروب

فنون شعبية ٧٥

تأميم فرقة رضا ـ الفرقة القومية للفنون الشعبية ـ انتقادات بسبب الاستعانة بالخبرة الأجنبية

الثقافة الجماهيرية ٨١

الاستفادة من تجربة الدول الاشتراكية ـ بعثة مصرية ليوغسلافيا لنقل خبراتها ـ للثقافة قصر وبيت ودوار ـ التليفزيون لا يستطيع القيام بدور قصور الثقافة ـ جامعة الثقافة الحرة ـ سعد كامل ـ قوافل وقصور ثقافة ـ سعدالدين وهبة ـ جيل جديد من الأدباء والفنانين بالأقاليم ـ أبوية عكاشة لقصور الثقافة ـ شلل وتطرف بقصور الثقافة

الصوت والضوء ٩٥

تماثيل الفراعنة تتكلم ـ البداية فى الأهرامات والقلعة ـ جمال عبدالناصر و١٧ رئيسا ـ إطلاق الصوت والضوء بالكرنك ـ استغلال المناطق الأثرية

للمسرح والغناء ـ أطلال أم كلثوم على مسرح أبوالهول
الفنون الجميلة والمتاحف ١٠٣
مراسم للفنانين بالبيوت الأثرية ـ تسويق واقتناء ـ تفرغ الفنانين لأول مرة منذ العصر البطلمى ـ الملاخ وراغب يشرفان على تأسيس متحف مختار ـ متحف محمد محمود خليل وحرمه ـ قصر الفنون ـ دار ابن لقمان ـ اختفاء مستنسخات فن التصوير العالمى
فنون السيرك ١١٣
تأميم سيرك الحلو وعاكف ـ السيرك القومى ـ السيرك شاخ ويحتاج تطوير
الآثار ومعجزة القرن العشرين ١١٩
الحيرة بين التنقيب والحماية ـ الاتحاد الاشتراكى يرفض التوعية بالتراث ـ طائرة عسكرية لوزير الثقافة ـ اللجوء إلى اليونسكو ـ الفراعنة فى أوروبا وأمريكا لجلب المال ـ التكتم على سرقة عصا «توت عنخ آمون» ـ فرنسية تحرم نفسها من العشاء لإنقاذ المعابد ـ تحريك معبد أبوسمبل وملوكه الأربعة ـ المعجزة تتحقق ـ «توت» فى باريس وديجول يحتفى بعكاشة ـ إنقاذ معابد النوبة الـ١٧ ـ إنقاذ اللؤلؤة الغرقى ـ ٥٠٪ من الآثار المكتشفة هدية لمن يكتشفها! ـ معابد هدية للدول صاحبة المساعدات الأكبر ـ مصر تساهم بإنقاذ آثار فلورنسا والبندقية ـ قانون الآثار بدأ بالحماية وانتهى بالتفريط ـ متاحف جديدة لاستيعاب الاكتشافات الغزيرة ـ متحف مركب الشمس ـ ذهبية وفضية اليونسكو لثروت عكاشة ـ الوزارة تتجاهل عكاشة بمتحف يضم إنجازاته الأثرية
نشر وكتب ومكتبات ١٣٩
مسايرة تطور أدب الغرب ـ الاقتباس، التأثير والتأثر ـ ٣٦ حبكة ـ السلاسل وشعبية الثقافة ـ مشروع (الألف كتاب) ـ المجلة ونهضة أفريقيا ـ المعارف الإسلامية وقاهرة الألف عام ـ إمكانيات معطلة ـ إطلالة على الكورنيش بأمر عبدالناصر ـ البيروقراطية تغتال دار الكتب ـ معرض وسوق القاهرة الدولى للكتاب ـ إغلاق منافذ للفكر

الوطنية والأدب المصرى ولدا فى باريس ١٤٩
شارل ديجول وتحسن العلاقات ـ العلاقات برجال الفن والأدب بباريس ـ سارتر وسيمون دى بوفوار ١٧ يوما فى مصر ـ ابن قتيبة يمنح الدكتوراة للوزير بدلا من جبران ـ اجازة استثنائية للوزير ـ وسامان من فرنسا
البنك الأهلى بين وزارتين ١٥٧
إسهام البنك فى نشر الثقافة والفنون ـ رجال المال ودعم المسرح ـ طلعت حرب ويوسف كمال ومحمود خليل ـ استضافة مؤرخ فنى فرنسى ـ مؤلفات وترجمات خلال عمله بالبنك
عكاشة وزيرا لثقافة مصر وسوريا ١٦٣
خطة للارتقاء بالثقافة والفنون فى سوريا ـ عبدالحكيم عامر يخصص ٥ ملايين ليرة للآثار فى سوريا ـ الإنقلاب وهروب الوفد المصرى عبر لبنان ـ بداية الانفصال ـ فرعنة المصريين ضد السوريين ـ خطأ عبدالناصر
أدباء وفنانين، اعتقال وتهديد وتأميم ١٦٩
خرجوا من المعتقل أكثر حبا لعبدالناصر! ـ اعتقال عبدالرحمن الشرقاوى ـ أعتقال د.لويس عوض ـ أعتقال ألفريد فرج وأقطاب الفكر والفن ـ اعتقال انجى أفلاطون ـ عكاشة ينقذ نجيب محفوظ ـ عبدالناصر يطلب إقالة يحيى حقى ـ فرض الحراسة على مراد وهبة ـ إصابة سعدالدين وهبة بطلق نارى ـ الأمن يطارد عزالدين نجيب ـ المخابرات تلاحق العندليب والسندريلا ـ عودة فاتن حمامة بأمر الرئيس ـ مراكز القوى ترفض جائزة السنهورى ـ عكاشة: تأميم الاستوديوهات من سيئات الحكم المطلق ـ التأميم يطارد الفنانين ـ محمد فوزى ومديحة يسرى ـ مارى كوينى ـ مضايقات الأمن والاتحاد الاشتراكى لثروت عكاشة ـ توتر العلاقة بين عكاشة والسادات ـ قصر الفنون ثكنة عسكرية ـ ألغاء وزارة الثقافة ـ توقيف ثروت عكاشة من على سلم الطائرة ـ عكاشة يقرأ خبر إقالته فى الصحف ـ عكاشة يضع نفسه تحت تصرف الرئيس فى حرب أكتوبر
عاشوا معه ١٩٥

«فارس العصر الذهبى» بقلم الباليرينا: د.ماجدة صالح ـ («صبى» العلامة الموسوعى) بقلم: مايكل غالى ـ «رسالة إلى الرفيق» بقلم: مجدى عزالدين

مؤلفات وترجمات ودراسات ٢٠٩

(تاريخ الفن.. العين تسمع والأذن ترى) ـ وقف نشر «تاريخ الفن» بأمر السادات ـ المنع يلاحق عكاشة فى بيروت ـ التصوير الإسلامى الدينى والعربى ـ الأمن والأزهر يعترضان على نشر صورة «النبى» ـ مقامات الحريرى ـ الزمن ونسيج النغم ـ التصوير المغولى الإسلامي فى الهند ـ فنون عصر النهضة [الرنيسانس والباروك والروكوكو] ـ مذكراتي في السياسة والثقافة ـ المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية ـ مسخ الكائنات وفن الهوى ـ أعمال جبران خليل جبران ـ مولع بفاجنر ـ المسرح المصرى القديم ـ العودة إلى الإيمان ـ حكمة الرمال ـ مصر فى عيون الغرباء ـ فى طبيعة الأشياء

مبدعون بالزى العسكرى ٢٢٧

ثروت عكاشة ـ يوسف السباعى ـ الشاعر محمود سامى البارودى ـ حافظ إبراهيم ـ عبدالمنعم السباعى ـ د.حسين فوزى النجار ـ د.احمد خليفة ـ أحمد مظهر ـ عزالدين ذوالفقار ـ ليو تولستوى

اللقاء الأخير ٢٣٣

مقتطفات من حوار أجراه سمير شحاته مع د.ثروت عكاشة ونشر في الأهرام يناير ٢٠١١

حياة مستمرة وليست خاتمة ٢٤١

لا وصاية على الفن والأدب ـ ٣٣ سنة عمل رسمى ـ العمل مع ٦ رؤساء وزارة ـ المناصب ـ الجوائز والأوسمة